مكتبة نوبل

١٩٦٩

صامويل بيكيت

مكتبة ٦٨٠

٣ اللّامُسمَّى

مكتبة | 680
سُر مَن قرأ

اللّامُسمَّى

روايـــة

اسم المؤلف: صامويل بيكيت
Author: **Samuel Beckett**

عنوان الكتاب: اللّامُسمّى
Title: **The Unnamable**

ترجمة: حسين عجة
Translated by: **Hussein Ouja**

تقديم: محمد فطومي
Introduced by: **Muhammad Fatumi**

تصميم الغلاف: ماجد الماجدي
Cover Designed by: **Majed Al–Majedy**

الناشر: دار المدى
P.C.: **Al–Mada**

الطبعة الأولى: **2019**
First Edition: **2019**

جميع الحقوق محفوظة: دار المدى

Copyright © 1953 by les Editions de minuit

للإعلام والثقافة والفنون
Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول
dar@almada-group.com
+ 961 706 15017
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272
+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدّماً.
هذا الكتاب مسؤولية الكاتب، والآراء الواردة فيه لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.
This book is the writer's responsibility, and the opinions contained therein do not necessarily reflect the opinion of the publisher.

صامويل بيكيت

مكتبة | 680
سُر مَن قرأ

اللّامُسمَّى

ترجمة : حسين عجة

تقديم : محمد فطومي

مقدمة

النصّ الذي بين يديك كتب نفسه.

هنا في هذه الرّواية، اللّاشي هو الذي يتحدّث. إنّه بامتياز سُعار الكلام عن استحالة الكلام، وهو أيضا محاولة اقتراب من العدم المُطبق التي دفع فيها بيكيت بصنع الكلام إلى أقصى درجاته ألا وهي التّشكيك في إمكانيّته أصلا.

السّارد في هذه الرّواية هو الكلام في حدّ ذاته، صوت لا صاحب له، لا اسم له، ينتقل من جسد إلى آخر إشباعا لنهم الاستمرار في القول. «لأنّ القضيّة هنا قضيّة كلمات، قضيّة صوت،لا ينبغي نسيان ذلك...». هنا في سياق التجرّد من الأجسام والمحسوسات يجدر التّنويه إلى أنّ اللّامُسمّى هي خاتمة ثلاثيّة روائيّة (مولوي، مالون يموت، اللّامُسمّى)، راحت من رواية إلى أخرى تضيق دائرتها؛ فمن مولوي الأعرج العجوز الذي أصبح يزحف في النّهاية إلى مالون منتظرِ الموت الذي لا يكاد يتحرّك، إلى انعدام الجسد تماما في آخر المطاف. نحنُ إذًا إزاء انسياب كلاميّ لامتناهٍ لا يُشبعُ جوعَه للكلام سوى تفسير وجوب عدم الكلام، الأمر الذي يرفع تناقضا ويزجّ بالمُتلقّي في حلقة مفرغة، دوّامة محورها الكلام ومادّتها الكلام ومُحرّكها الكلام. «سأتكلّم لأقول لا أدري ماذا...». ثمّ في خضمّ عاصفة القول هذه تلتقي شخصيّات بيكيت وتنصهر كما لو أنّها تضرب موعدا في أرض غير الأرض التي نعرفها. ويطفو مولوي ومالون ثانية، مُخلّفين سؤالا ممتعا في ذهن القارىء يلوح كاكتشاف،

كفكرة مُلهمة: من كتب الآخر، بيكيت، مولوي أو مالون، الآن وقد زال كلّ فرق بينهما وكاد الكاتب يعترف جهارا أنّه تعب من تأمّل الوجود وإدراك انتمائه إليه؟ كيف يُعقَل أن تخلق شخصيّات بعضها؟ حتّى كأنّ مولوي لم يكن سوى مالون والعكس صحيح وأنّ بيكيت لم يكن سوى شخصيّاته مجتمعة. رواية تعجّ بالاستسلام والإصرار والأسئلة والمفارقات وتحدّيات القول. ليس فيها ما هو مُتوَقّع غير أنّها ستفاجئك في كلّ مرّة. كأنّ المؤلّف فيها يتدارك ما أعلنه في الرّوايتين السّابقتين : "أنا أقصّ إذًا أنا حيّ". ثمّ في مرحلة ثانية: "أنا أكتب إذًا أن أنجز". ليفجّر علاقة غريبة جديدة : نحن من صُنْع الكلام وليس العكس. منكرا فضيلة الفعل على الإنسان، مُشكّكا حتّى في استحقاقه لعبارة : قلتُ. «كلّ هذا ما هو إلّا أكاذيب، الله والبشر، النّهار والطّبيعة، اندفاعات القلب ووسيلة الفهم، بجُبن اخترعتها دون عون أحد...».

لن يكون التّشويق حاضرا بل سيكون أحد الشّخوص، ولا المعنى واضحا لأنّه سيكون حارسا للجملة، أمر مُختلف تماما، لا يكون إلّا نتيجة إشفاق لا حدود له من قبل الكاتب على الإنسان، هذا الكائن العاجز الذي لا يملك ممّا يزعمه سوى الادّعاء.

مرّة أخرى وبعقدة أكثر إحكاما يدعونا بيكيت للاستماع إلى صوت الذي لا اسم له. حيث اللّعبة هي

المحافظة على قانون اللّعبة.

محمد فطومي

مكتبة
t.me/t_pdf

أين الآن؟ متى الآن؟ من الآن؟ أدوّن سؤالي لنفسي، أن يقول المرء أنا، بلا تفكير، لنُسَمِّ هذه أسئلة، فرضيات، لنذهب إلى الأمام، لنُسَمِّ هذا ذهاباً، لنُسَمِّ هذا إلى الأمام، هل يمكن في يوم ما للخطوة الأولى الانطلاق، التي بقيتُ ببساطة عندها، بدلاً من الخروج، وفقاً لعادة قديمة، وقضاء يوم وليلة أبعد ما يمكن عن داري، لم يكنْ ذلك بعيداً، كان من الممكن أن يبدأ ذلك على هذا النحو، لن أطرح بعدُ سؤالاً على نفسي، يعتقد المرء بأنه يرتاح وحسب، لكي يتصرف بطريقة أفضل فيما بعد، أو بلا أفكار خلفية، وها إنّ الوقت يعوزه تماماً بحيث سيكون من المستحيل عليه القيام بأيّ شيء أبداً، ليس من المهم معرفة كيف حدث ذلك، هذا، نقول هذا، دون معرفة ما هو، ربما لم أفعلْ أيّ شيء آخر سوى تأبيد حال واقع قديم، لكني لم أفعلْ أيّ شيء، يبدو عليَّ بأني أتكلم، ليس أنا، مني أنا، ليس مني، بضعة تعميمات بغية الانطلاق، كيف العمل، كيف سأفعل، كيف الشروع؟ عبر تناقض محض أو تأكيدات وإهمالات عاجزة بصورة تدريجية، آجلاً أم عاجلاً، هذا بشكل عام، لا بدّ أن تكون هناك مراوغات أخرى، وإلّا سيكون أمراً ميؤوساً منه كلية، بيد أنه ينبغي اليأس من كل شيء، لنلاحظ، قبل الذهاب بعيداً، إلى الأمام، بأني قلت تناقضاً من دون معرفتي ما الذي يعنيه ذلك، إذ كيف يمكن للمرء أن يكون بيرونيّاً[1] بطريقة أخرى غير عدم معرفته؟ لا

1 – نسبة إلى فلسفة الشاعر الإغريقي بيرون – المترجم

أعرف، مفردات الـ«نعم» والـ«لا» هي شيء آخر، لأنها سترجع لي ثانيةً بالقدر الذي أتقدم فيه، وبطريقة تجعلني أتغوّط فوقَها، عاجلاً أم آجلاً، كعصفور، من دون نسيان واحدة منها، هذا ما يُقال، يبدو أن الواقع، إذا كان بإمكان المرء في الموقف الذي أنا فيه الحديث عن واقع، بأني لست على وشك الكلام عن الأشياء التي لا أستطيع الكلام عنها وحسب، إنما كذلك، وهذا ما هو أكثر أهمية، بأنّي، وهذا ما هو أكثر أهمية أيضاً، ما عدت أعرف، بيد أنه ليس لذلك أهمية، مع ذلك أنا مرغم على الكلام، لن أصمت أبداً، أبداً.

لن أكون وحيداً، في الأوقات الأولى، لكني كذلك بطبيعة الحال، وحيداً، تسرَّعتُ في قول هذا، ينبغي القول سريعاً، وهل يمكننا معرفة ذلك، في عتمة مثل هذه؟ سيكون لي منْ يرافقني، حتى أبدأ، بعض الدمى سأحذفها فيما بعد، الحوائج، ما الذي ينبغي أن يكون عليه الموقف حيال الحوائج؟ أولاً، هل هي ضرورية؟ أيّ سؤال، لكني لا أخدع نفسي إذا توقعتها، الأجدر هو عدم التوقف عند هذا الموضوع، إلى الأمام، إذا حضرت مادة ما، لهذا السبب أو ذاك، سوف آخذها بعين الاعتبار، هناك حيث الناس، كما يُقال، هناك الأشياء، هل يعني هذا إذا اعترفنا بأولئك علينا الاعتراف بهؤلاء؟ لنرَ، ما ينبغي تفاديه، ولا أعرف لماذا، هو عقل المنظومة، ناس مع أشياء، ناس دون أشياء، أشياء من دون ناس، لا أهمية لذلك، آمل أن أتمكن من كنس كل هذا بوقت قصير، لا أرى كيف، ما هو أكثر بساطة يكمن في عدم الشروع، وهذا يعني بأني مرغم على المواصلة، ربما سينتهي بي ذلك في أن أكون محاطاً من كل جانب، في مستودع حاجيات، الذهاب والرجوع بلا انقطاع، مناخ متجر عام، أنا هادئ، لننطلقْ.

مالون Malone هنا، من حيويته الفانية لم يبقَ إلّا القليل من الآثار،

يمرُّ أمامي بانقطاعات محسوبة بلا شك، إلّا إذا كنتُ أنا من يمرُّ أمامه، كلّا، مرة واحدة وإلى الأبد، لن أتحرك، يمرُّ، ساكناً، لكن الأمر لن يكون متعلقاً إلّا قليلاً بمالون، الذي لا يلاحظ منه شيء، شخصياً ليست لديَّ أيّة نية لإزعاج نفسي، برؤيتي له، هو، سألت نفسي ما إذا كنا نقذف بظلّ، من المستحيل معرفة ذلك، يمرُّ بالقرب مني، على بضع خطوات، ببطء، في الاتجاه نفسه دائماً، اعتقدت تماماً بأنه هو، تبدو لي شفقته المعدومة الحواف دليلاً على هذا، بكلتا يديه يمسك على فكّه، يمرُّ من دون توجيه الكلام لي، ربما لا يراني، سأستجوبه يوماً من هذه الأيام، سأقول، لا أعرف ماذا أقول، سأعثر على ما أقوله عندما تحين اللحظة، ليس ثمَّة من أيام هنا، بيد أني أستخدم الصيغة، أراه من قمة رأسه إلى حوضه، هو ينتهي بالنسبة لي عند حوضه، جذعه مستقيم، غير أني أجهل ما إذا كان واقفاً أو على ركبتيه، ربما كان جالساً، أراه من جانبه، أحياناً أقول لنفسي، أليس من المحتمل أن يكون مولوي Molloy؟ ربما يكون مولوي، وهو يحمل طاقيّة مالون، لكن من المعقول أكثر الافتراض بأنه مالون، وهو يحمل طاقيّته الخاصة، خُذْ، هذه هي أولى الحاجيّات، طاقيّة مالون، لا أرى عليه ملابس أخرى، أمّا فيما يتعلق بمولوي، ربما هو غير موجود هنا، هل يمكنه ذلك، من دون علمي؟ لا شك أن المكان شاسع، أنوارٌ ضعيفة تبدو كأنها تسم للحظاتٍ طريقاً بعيدة، في الحقيقة، أعتقد أنهم جميعاً موجودون هنا، انطلاقاً من مورفي Murphy على الأقل، أعتقد بأننا جميعاً هنا، لكني حتى الآن لم ألمحْ سوى مالون، فرضية أخرى: كانوا هنا، لكنهم لم يعودوا إلى هنا، سأفحصها، على طريقتي، هل هناك ما هو أعمق، أكثر انخفاضاً، يمكننا الوصول إليه عبر هذا الهوس الأحمق للعمق، هل يمكن ألّا تكون أماكننا الأخرى المتوقَّعة، ومن ضمنها المكان الذي أنا فيه، مع مالون، سوى مجازاً؟ أنا الذي كنتُ أظنُّ بأنه انتهى من التمرينات، كلّا، لا، أعرف أننا جميعاً هنا إلى الأبد، منذ الأزل.

لن أطرح على نفسي بعدُ أسئلة، ألا يتعلق الأمر بالأحرى بالمكان الذي ينتهي فيه المرء بالتلاشي؟ هل سيأتي اليوم الذي لن يمرّ فيه مالون من أمامي؟ هل سيقدم اليوم الذي يمرُّ فيه مالون من الخلف حيث كنتُ؟ هل سيأتي اليوم الذي يمرّ فيه أحدهم من الأمام هناك حيث كنتُ؟ لا رأي لديّ.

لو لم أكنْ فاقداً للإحساس، ستجعلني لحيته أشفق عليه، تسقط بضفيرتين صغيرتين مختلفتين في طولهما، على هذا الجانب من ذقنه وعلى الجانب الآخر، هل مرَّ الزمن حيث كنتُ أنا أيضاً ألتفت هكذا؟ كلّا، كنت جالساً دائماً في المكان ذاته، ويدي فوق ركبتي، مُتطلِّعاً بما هو أمامي كأني ديكٌ روميٌّ في قفص دجاج، كانت الدموع تهطل على طول وجنتي من دون أن أشعر بحاجة لترميش عينيّ، ما الذي يجعلني أبكي هكذا؟ من حين إلى آخر، ليس هنا ما يُحزن، ربما يكون المخّ قد سال، السعادة التي مرّت على كل حال خرجت تماماً من ذاكرتي، إذا كانت في يوم ما حاضرة، إذا كنتُ أنجز بعض الوظائف الطبيعية الأخرى، فذلك من دون علمي، لا شيء يضايقني أبداً، وبالرغم من ذلك، أنا قلقٌ، لا شيء يتغير هنا منذ أن كنتُ هنا، لكني لا أجرؤ على الاستنتاج بأن لا شيء سوف يتغير أبداً، لننظرْ قليلاً إلى أين ستؤدي بنا اعتبارات كهذه، أنا، منذ أن كنت أنا، هنا، ظهوري في أماكن أخرى مضمونٌ مِن شخصٍ ثالث، أثناء ذلك الوقت، كلّ شيء مضى بهدوء، وفي أفضل نظام، ما عدا بضع ظواهر يفلتُ مني معناها، كلّا، ليس لأن معناها يفلتُ مني، ذلك لأن معناي أنا يفلت مني أيضاً، الكلّ هنا، كلّا لن أقوله، لعدم قدرتي، لا أدين لأحد بوجودي، فهذه الومضات ليست تلك التي تضيء وتحترق، لم يذهبْ إلى أيّة جهة، ولم يقدمْ من أيّ مكان، يمرُّ مالون، من أين تأتيني أفكارُ الأسلاف هذه، من المنازل التي تضيء، حينما يأتي الليل، كونها أخرى؟ بحثتُ في كل مكان، وكلّ هذه الأسئلة أطرحها على

نفسي، ليس من خلال نزعة فضوليّة، لا يمكنني أنْ أصمت، لا حاجة لي إلى معرفة أيّ شيء عنّي، هنا كلّ شيء واضحٌ، كلّا، ليس كلّ شيء واضحاً، لكن يجب على الخطاب صنع نفسه، حينها نختلق الغموض، هذا من البلاغة، ما هو الغريب الذي تنطوي عليه إذاً هذه الأنوار، التي لا أطلب منها أن تكون دالّة، إنما متزحزحة تقريباً؟ هل يعود ذلك إلى عدم انتظامها، عدم ثباتها، تألُّقها القويّ تارة، الضعيف تارة أخرى، والذي لا يتجاوز أبداً قوة شمعتين اثنتين؟ أمّا مالون، هو، فيظهر أحياناً ويختفي بدقة ميكانيزم، وعلى المسافة ذاتها منّي دائماً، بالسرعة نفسها، بالاتجاه ذاته، والوضعية ذاتها، لكن لعبة الأنوار لا يمكن توقعها حقاً، كذلك ينبغي القول بأنها، بالنسبة إلى عينٍ غير مدربة كعيني، قد تفلت منها تماماً، لكن حتى من عيني ألا تفلت أحياناً؟ ربما تكون دائمة ومُثبتة، حينما أراها متذبذبة ومتقطعة، آمل بالرجوع ثانية إلى هذا السؤال، لكني أقول من الآن، من أجل ضمان أكبر، بأني أنتظر الكثير من تلك الأنوار، كما أنتظره من جانب آخر من كل عنصر مشابه لها من حيث عدم اليقين، لكي يعينني على المواصلة وربما على وضع خاتمة له، بعد ذلك، أواصل، لأنه ينبغي المواصلة، نعم، ما الذي قلته، بقاء هذا المكان حتى الوقت الحاضر على هيأته، هل عليَّ الاستنتاج بأنه سيكون دائماً هكذا؟ يمكنني قول ذلك، بطبيعة الحال، لكن مجرد طرح هذا السؤال فعلياً على نفسي يجعلني حالماً، كان بإمكاني القول بأن لا هدف لها سوى تغذية الخطاب، في لحظة بعينها، لكنه يغامر في التلاشي، ذلك لأن هذا التفسير الممتاز لا يقنعني، هل يمكن أن أكون ضحيّةً لانشغالٍ حقيقيّ، مثلما يُقال هو في حاجة إلى المعرفة؟ لا أعرف، سأحاول شيئاً آخر، وإذا ما طرأ تغيّر ما، ناتج عن مبدأ الفوضى القائمة سلفاً في هذا المكان، أو في طريقها للوصول إليه، ما الذي سيحدث حينها؟ يبدو أن ذلك يعتمد على طبيعة هذا التغيير، لكن كلّا، أيّ تغيير هنا سيكون مضرّاً، وسوف يعيدني إلى شارع غايته Gaîté ثانية، شيء آخر، ألم يتغيرْ أيّ شيء منذ أن كنتُ هنا؟ بصراحة، وأنا أضع يدي على قلبي قسماً، انتظروا، حسب

علمي، لا شيء، لكن المكان، وهذا ما أشرت إليه مسبقاً، شاسع، كما يمكن ألّا يتعدى بضع خطوات حسب المؤشر، أمّا فيما يتعلق بمعرفة حدوده، فالحالتان متساويتان، كما يروق لي الاعتقاد بأني أحتلّ مركزه، لكن لا شيء أقلّ تأكيداً من ذلك، بمعنى ما، من الأجدر أن أكون جالساً على حافّته، ما دمتُ أنظر دائماً في الاتّجاه ذاته، لكن من المؤكّد أنّ الأمر ليس كذلك في هذه الحالة، لأن مالون، الذي يدور من حولي كعادته، سيخرج من نطاق كل دورة من دورانه، وذلك ما هو مستحيل بصورة واضحة، لكن في الواقع، هل يتجوّل حقاً، أو أنّه لا يكفّ عن المرور أمامي، بخط مستقيم؟ كلّا، إنه يدور، أشعر بهذا، ومن حولي، كما يدور الكوكب حول شمسه، إذا كان قد أحدث ضجة، أكون قد سمعتها دائماً، باستقامة، في ظهري، إلى اليسار، قبل أن أبصره ثانية، لكنه لم يقمْ بأيّة ضجّة، لأني لست بالأصم، ذلك ما أنا متأكد منه، أعني شبه متأكد، في النهاية، ما بين المركز والحافة هناك دائماً هامش، كما يمكن أن أكون قائماً في مكان ما في واحد منهما، كذلك من الممكن، وهذا ما لا أخفيه عن نفسي، أن أكون أنا أيضاً قد تمّ جرفي في واحدة من تلك الحركات المتواصلة، برفقة مالون، كالأرض برفقتها لقمرها، سيكون عليَّ إذاً التشكي بلا سبب من فوضى تلك الأنوار، وهذا ناتج ببساطة عن عنادي في الافتراض بأنها هي ذاتها دائماً، منظوراً إليها من نقطة بعينها، كلّ شيء ممكن، أو تقريباً، غير أنّ ما هو أكثر بساطة يكمن في اعتباري أنا نفسي كأني مثبتٌ في وسط هذا المكان، مهما كان شكله وامتداده، وذلك ما يُشكل بالنسبة إليّ ما هو أكثر لطفاً من دون شك، إجمالاً: لم يحدثْ أيّ تغيير منذ كنتُ هنا، ظاهرياً؛ وفوضى الأنوار قد تكون وهماً؛ ينبغي خشية أيّ تغيير؛ قلق لا يمكن فهمه.

ألّا أكون أصمَّ تماماً، فذلك ما أستنتجه بوضوح من الضوضاء التي تصلني، لأنه إذا كان الصمت هنا كلياً تقريباً، فذلك يعني أنه ليس تاماً،

أتذكر أنّ أوّل ضوضاء سمعتها في هذا المكان، وغالباً ما أسمعها منذ ذلك الوقت، لأنه ينبغي عليّ الافتراض بأنّ هناك بداية ما لإقامتي هنا، حتى وإن لم يكنْ هذا إلّا لخدمة السرد، الجحيم ذاته، مع أنه أبديّ، تاريخ دورة الشيطان Lucifer، من حريّتي إذاً، في ضوء هذا التماثل البعيد، الاعتقاد بأني كنتُ هنا دائماً، لكن ليس انطلاقاً من الدائم، ذلك ما سيُيَسّر علينا العرض بصورة متفرِّدة، ولا سيّما الذاكرة، التي فكرت بواجب تحريم استخدامها من جانبي، ستكون لها كلمتها التي تقولها، إذا حالفها الحظ، من أسفل الكلمة هناك ألف كلمةٍ لم أحسبها، ربما قد أحتاجها، بعد فترة من الصمت الطاهر إذاً، سمعتُ صرخة صغيرة، لا أدري إذا كان مالون قد سمعها أيضاً، كنتُ مُندهشاً، المفردة ليست قوية، بعد ذلك الصمت الطويل، صرخة صغيرة، سرعان ما تمّ إخمادها، أمّا فيما يتعلق بنوع المخلوق الذي أطلقها وما يزال يطلقها، إذا كان المخلوق ذاته، ولكن من بعيد إلى أبعد، فذلك ما تستحيل معرفته، إنه ليس كائناً إنسانياً، وعلى أيّ حال، ليس هناك كائنات إنسانية هنا أو إذا كان بعضها موجوداً، فقد كفَّ عن الصراخ، هل مالون هو المذنب؟ هل هو أنا؟ حتى لو كانت فسوة، وبعضٌ منها ممزّق؟ هَوَس رث، ما إن يتولد شيء ما، حتى تحدث رغبة في معرفة ما هو، لو لم أكنْ مرغماً على كشفه وحسب، ولماذا الحديث عن صرخة؟ ربما تكون ناتجةً عن شيء ما ينكسر، أو عن شيئين يرتطمان ببعضهما، ثَمَّة ضوضاء هنا، من حين إلى آخر، وهذا يكفي، هذه الصرخة من أجل البداية، ما دامت الأولى، وأخريات، مختلفات كفاية، بدأت بالتعرف عليها، يمكن للمرء أن يموت في عمر السبعين عاماً قبل أن يتمكن من عبادة مُذنّبِ هالي Halley.

قد يُعينني هذا، ما دام ينبغي عليَّ إسناد بداية لي أنا أيضاً، لو كان بمقدوري موضعتها حيال المكان الذي أقطن فيه، هل انتظرتُ في مكان آخر لكي يكون هذا مُستعداً لاستقبالي؟ أو أنتظر حتى آتي أنا وأملأه؟ من

زاوية نظر المنفعة، الفرضية الأولى هي الأفضل بمسافة بعيدة، وسوف تتاح لي دائماً فرصة المطالبة بها، لكنهما مُقزِّزَتان، كلتاهما، سأقول إذاً بأنّ بداياتنا تتطابق مع اللّحظة ذاتها، سواء كان هذا المكان لأجلي، أو أنا لأجله، وحالات الضوضاء التي لم أعرفها بعد، هي تلك التي لم يُتحْ لي بعدُ سماعها، لكنها لا تغيّر أيّ شيء، لم تُغيّر الصرخة أيّ شيء، حتى في المرّة الأولى، ودهشتي؟ كان عليَّ توقُّعها.

لقد حان الوقت من دون شك لمرافقة مالون، لكني سأتحدّث أولاً عن حادثة وقعت مرةً واحدة، وما زلت أنتظر عودتها، حتى الوقت الحاضر، لكن ليس بفارغ الصبر، هناك شكلان، مُستطيلان كالإنسان إذاً، ارتطم أحدهما بالآخر أمامي، سقطا وما عدت أراهما بعد، فكرت بطبيعة الحال بزوج يماثل زوج مرسيه-كاميه Camier-Mercier، في المرة القادمة، حينما سيدخلان ثانية في الحقل، بتقدمهما البطيء الواحد إزاء الآخر، سأكون عارفاً بأنهما سيرتطمان ببعضهما، يسقطان ويختفيان، وهذا ربما يقدّم لي العون في مراقبتهم بطريقة أفضل، هذا ليس صحيحاً، لا أرى مالون إلّا بشكل سَيِّئ، كالمرة الأولى، لأنه إذا كنتُ أنظر دائماً في الاتجاه نفسه، فلا أستطيع رؤيةَ - لن أقول بطريقة مُتميزة، وإنما بالقدر الذي يكون فيه المرئي مسموحاً به - ما يمرُّ باستقامة من أمامي، أيْ، في الحالة الحاضرة، الاصطدام الذي يعقبه السقوط والتلاشي، اقترابهما، لن أراه إلّا بغموض، من طرف العين، كان على الارتطام والسقوط أن يحدثا معاً، هما أيضاً، بخطٍّ منحنٍ و... بطبيعة الحال، على قرب كبير مني، ذلك هو المرئي، إلّا إذا كان وضع رؤيتي لا يسمح لي برؤية ما هو على قربٍ كبيرٍ مِنّي، سأضيف بأنَّ مقعدي يبدو مرتفعاً إلى حدٍّ ما، مقارنةً بالأرض التي تُحيط به، إذا كانت هي الأرض، ربما كانت ماءً، أو سائلاً آخر غيره، إلى حدٍّ كان عليَّ - لكي أرى ضمن أفضل الظروف ما يمرّ باستقامة أمامي - خَفْضُ عينيَّ قليلاً، لكن لن أخفض عينيَّ، عموماً: لا

أرى إلّا ما يحضرُ باستقامة أمامي؛ ولا أرى غير الذي يمرُّ بالقرب مني تماماً؛ ما أراه بشكل أفضل، لا أراه جيّداً.

لماذا تَمثَّلتُ نفسي بين البشر، في النور؟ يبدو لي بأنّي لم أكنْ مسؤولاً عن هذا، حماس، ما زلت أراهم، نُوّابي، سردوا لي حكايات عن البشر، والنور، ولم تكنْ لديّ رغبة في تصديق ذلك، لكن هذا لا يمنع بقاءها معي، لكن أين؟ متى؟ عن أيّ طريق؟ هل تحاورتُ مع هؤلاء السادة؟ هل جاؤوا لإزعاجي هنا؟ كلّا، هنا لم يزعجني أحدٌ أبداً، في مكان آخر إذاً، لكني لم أكنْ يوماً في مكان آخر، من جهة ثانية، لا يمكن أن يكون ما عرفته عن البشر وطريقتهم في تدبير أحوالهم إلّا... وهذا شيء قليل، كان في إمكاني تجاوزه، لا أقول لن يكون له أيّ نفع أبداً، سأعرف كيف أستخدمه، إذا ما اقتضى الأمر، ذلك ما حدث لي سلفاً، ما يجعلني حائراً، يَكمنُ في أني لا بدّ حصلتُ على هذه المعلومات من أناس لم أتمكنْ يوماً من الدخول معهم في تواصل، يشهد الواقع على ذلك في النهاية، إلّا إذا كانت معلوماتي فطرية، كتلك التي لها علاقة بالخير والشرّ، يبدو لي هذا أقلّ الاحتمالات، معرفة فطريّة بأمّي، على سبيل المثال، هل يمكن إدراك شيء كهذا؟ ليس بالنسبة إليّ، إنّهم هؤلاء السادة أنفسهم مَن حدَّثني عنها، كان ذلك واحداً من مواضيعهم المُفضَّلة، كذلك جعلوني أعبّر عن الله، قالوا لي بأني أرتفع إليه في التحليل النهائي، وقد حصلوا على ذلك من ممثّليه في بالي Bally لا أعرف ماذا، المكان الذي ابتلاني، إذا ما صدّقناهم، فيه النهار، ومن ثم لا بدّ من اعتبار ذلك كيفما يكون هدية جميلة، لكن أمثالي هم من كان لديهم الرغبة في افتراسي، لأجل ذلك بذلوا جهداً وشراسة لا تُصدَّقان، لم أعدْ أذكر أيّ شيء عن تلك المحاورات، لا بدّ أني لم أكنْ أفهم منها الشيء الكثير، بيد أني احتفظت في الذاكرة بتوصيفاتها، بالرّغم منّي، لقد أعطوني دروساً في الحُبّ، في الذكاء، الثمين، الغالي، لا بدّ أنّ زمناً طويلاً مضى على كلّ ذلك، إنهم هم

أيضاً من علّمني الحساب، والتفكير، إنها أشياء قدّمت لي خدمات معيّنة، لا أقول بأني أعرفها، خدمات ما كنت أحتاجها لو تركوني هادئاً، وما زلت أستعملها، لكي أحكّ جلدي، أنماطٌ قذرة، وجيوبهم مليئة بالسموم والمكاوي، ربما كانت دروساً عن طريق المراسلة، ومع ذلك أشعر كأني رأيتها، في صور ربما، متى توقّف حشو الجمجمة هذا؟ هل توقف؟ ثانيةً بضعةُ أسئلة، الأخيرة، هل هو مجرد ركود مؤقت؟ كانوا أربعة أو خمسة لأجل إنهاكي، تحت ذريعة أنهم يقدمون لي تقاريرهم، واحد منهم بشكل خاص، اسمه باسل Basile كما أعتقد، خلق لدي اشمئزازاً قوياً، لم ينبسْ بكلمة، لكن مجرد تسليط عينيه المطفأتين لكثرة ما رأتا، كان يجعلني في كلّ مرة أكون أكثر قليلاً مما كنت أرغب فيه، وبئساً له في الدياجير، أما زال ينظر نحوي؟ أما زال يستغل اسمي، ذلك الاسم الذي ألصقوه بي، في عصرهم، المريض، من موسم إلى آخر؟ كلّا، كلّا، أنا هنا في مأمن، وأتسلّى في بحثي عن ذلك الذي أَلحَقَ بي هذه الجروح عديمة المغزى.

يقدم الآخر نحوي على طول، يجعل دخوله كأنه يمرّ عبر طنافس ثقيلة، ويتقدم لبضع خطوات، يتطلّع فيَّ، ثم ينسحب برجوعه على عقبيه، مطويّاً، يبدو أنه يحمل في نهاية ذراعه حاجبات ثقيلة، لا أعرف ما هي، ما أراه منه بصورة جيدة هو طاقيّته، ذروتها مُستهلكة تماماً، كأنها نعلٌ عتيق، لكنها تسمح بخروج بضع شعيرات من شعره الرماديّ، نظرته، المرفوعة وقتاً طويلاً نحوي، أشعر بها تتوسَّل، كأنه كان في إمكاني عملُ شيءٍ ما لأجله، انطباعٌ آخر، من المحتمل ألّا يكون أقلّ زيفاً عمّا سبقه: يحملُ لي هدايا لكنه لا يجرؤ على تقديمها، ومن ثم يعيد حملها ثانية، أو يدعها تسقط ويختفي، هو لا يأتي غالباً، ولا يمكنني أن أكون أكثر دقة من ذلك، لكنه يأتي بانتظام مؤكد، لم تتوافقْ زيارته أبداً، إلى حد الوقت الحاضر، بمرور مالون، لكن هذا قد يحدث ربما، ولن يكون ذلك بالضرورة فسخاً للنظام السائد هنا، لأنّي إذا كانت قادراً

على مسافة بضع بوصات من محيط مالون على الحساب، على افتراض أنه يمرّ على بعد ثلاث خطوات مني، وهذا ما ليس مؤكداً، بالمقابل لا أمتلك عن مطاف الآخر سوى فكرة غاية في الغموض، نظراً للاستحالة التي أجد نفسي فيها، ليس في حساب الزمن وحسب، وذلك ما يكفي لمنع القيام بأيّ عدّ بخصوص هذا الموضوع، وإنما أيضاً عدم قدرتي على مقارنة السرعتين لتنقلاتهما المُتلاحقة، أنا أجهل إذا ما كنتُ سأتمتع بميزة رؤيتهما كلاهما معاً، لكني أميل نحو الاعتقاد بنعم، لأنه إذا لم تُتحْ لي أبداً فرصة رؤيتهما معاً، سيكون من الضروريّ أن يمرّ مالون أمامي بعد الآخر، أو قبله، ودائماً في المُهل المضبوطة نفسها، كلّا، أخطئ أنا، ذلك لأنه يمكن للفاصل أن يكون متنوعاً تماماً (يبدو لي أنها هي الحالة) لكن من دون حذفه نهائياً، يدفعني هذا الفاصل المُتأرجح على التفكير بالرغم من ذلك بأن هذين المخلصين لي سوف يلتقيان ببعضهما في يوم ما، وسيصطدمان أحدهما بالآخر، وربما يتشقلب كلاهما، قلت بأنّ كل شيء هنا يكرّر نفسه آجلاً أو عاجلاً، كلّا، كنت على وشك قول هذا، لكنّي عدلت عن ذلك، لكن ألا يمكن استثناء اللقاءات على هذا الصعيد؟ اللّقاء الوحيد الذي كنتُ شاهداً عليه، منذ أمد بعيد، لم يتجدّدْ بعد، ربما كان نهاية شيء ما، وربما أتخلّص من مالون ومن الآخر، ليس لأنهما يضايقانني، في اليوم الذي سأراهما فيه معاً، أيْ يوم الاصطدام، لسوء الحظ ليس وحدهما من يتجوّل هنا، آخرون يقدمون نحوي أيضاً، يمرون أمامي، ويطوفون حولي، لا شك في أنّي لم أتعرفْ بعد عليهم كلهم، ولا يزعجونني، وهذا ما لا أكفّ عن تكرار قوله، لكن في الأخير يمكن لهذا أن يكون مُضجراً، لا أرى كيف، غير أنه ينبغي عليَّ وضع هذه الحالة في الحسبان، فنحن نحرك أشياءَ من دون إشغال أنفسنا بالوسيلة التي تجعلها تتوقف، لكي نتكلم، الواحد منّا يتحدث كأنه سيكون قادراً على التوقف في اللحظة التي يشاء، كذلك هو الأمر، البحث عن الوسيلة التي توقف الأشياء، وإسكاتُ المرء صوتَه، هو ما يُتيح للخطاب الاستمرار، كلّا، لا ينبغي عليَّ محاولة التفكير بذلك، لكن أن أقول وحسب ما هو

الحال، فهذا أفضل، الأشياء، الأشكال، الضوضاء، الأنوار تجعل الكلام عن هذا المكان بطريقتي المُتعجِّلة في الحديث خرافياً، وعلى أيّ حال، يجب عليَّ، خارج أيّ سؤال، التوصل لمُعاقبتها، هَمّ الحقيقة عند احتدام القول، من هنا أهمية إمكانية التخلص من أحدهم عن طريق اللقاء.

انشغلت بنفسي قليلاً، لأجل التغيير، سأحشر نفسي فيها عاجلاً أم آجلاً، يبدو لي ذلك مستحيلاً، من الوهلة الأولى، هل سأنقلني، أنا، في طابور مخلوقاتي نفسه؟ أن أقول عني، هذا ما أراه، وذاك ما أشعره، وبأني أخشى، آمل، أجهل، أعرف؟ نعم، سوف أقوله، وعنّي أنا وحدي، لا يُخترق، ثابت، صامت، وماسك لحنكه، يستدير مالون، الغريب دائماً عن حالات ضعفي، وها إنّ واحداً لا يشبهني ولن أكون هو أبداً، كان في إمكاني عدم التحرك، لكنه يبقى هو الرب، الآخر، أعرته عينين متضرعتين، تضحيات من أجلي، حاجة للمساعدة، لا ينظر إليَّ، لا يعرفني، ليس هناك ما يعوزه، أنا وحدي إنسان وكل الباقين ملائكة.

الهواء، الهواء، علينا رؤية ما يمكننا سحبه من هذا الموضوع القديم، أن يكون الرماديّ بالدقة شفافاً، في نطاق ما يُحيطني مباشرة، خارج هذه الدائرة المسحورةِ يعرض نفسه وكأنه أغطيةُ خوانٍ مرهفة ولا يمكن اقتحامها، بلون أغمق بقليل، هل أنا من يُلقي بهذا الوضوح الضعيف الذي يسمح لي بمعرفة ما يحدث تحت أنفي، لا أرى منفعة بافتراض ذلك، في هذه اللحظة، فالليل الأشد عمقاً يسمح في النهاية باختراقه، حد نقطة بعينها، سمعتُ ذلك، من دون عون أيّ ضوء آخر غير نور السماء المسود والأرض، ليس ثَمَّة ما هو ليلي، وهذا الرماديّ، يجب أن يكون أولاً دياجير، ثم كثيفاً بصورة مكشوفة، لا تعوزه الإنارة، لكن هذه الشاشة التي يتعثر في الحقيقة بصري عليها، مع إصراري على رؤية الهواء، ألا يمكن أن تكون بالأحرى السور، بغلاظته الرصاصيّة؟ لكي أسحب هذا السؤال إلى منطقة الوضوح،

تعوزني عصاً وغيرها من الوسائل التي أستخدمها، فالعصا لا قيمة لها في ظلّ غياب الوسائل، والعكس صحيح أيضاً، كما سأكون في حاجة، وهذا ما أسجله بطريقة عابرة، إلى استخدام اسم الأفعال المستقبلية والشرطية، حينها سأقذف بها، كالرمح، باستقامة أمامي، وما يحيط بي مباشرة عن قرب ويحرمني من الرؤية، وقد أعرف بأنه لم يكنْ سوى الفراغ ذاته، أو ما إذا كان الامتلاء، وفقاً للضوضاء التي أسمعها، أو، من دون التخلي عنها، حتى لا أعرّض نفسي لخطر فقدانها مرّةً وإلى الأبد، سأقوم باستخدامها كالسيف وقد أضرب بها كيفما اتّفق أما الهواء، أو السور، فمرحلة العصيّ قد ولّتْ، فهنا لا يمكنني الاعتماد بالدقة إلّا على جسمي، جسمي العاجز عن أيّة حركة والذي ما عادت عيناه قادرتين على الانغلاق مثلما كانتا تفعلان من قَبْل، بالقرب من باسِل Basile ومن لفّ لفّه، لكي أرتاح من النظر وأصبح عاجزاً عن النظر، أو ببساطة حتى تُعِيناني على النوم، من دون أن تلتفتا، أو تنخفضا، أو ترتفعا نحو السماء، مع بقائهما مفتوحتين، لكن من دون إرغامات، مُركِّزتان ومحدِّقتان، بغية الإحاطة بالرواق الصغير أمامهما، حيث لا يمرّ أيّ شيء، 99 ٪ من الوقت، لا بدّ أنهما محمرَّتان كالجمر المتوقِّد، أتساءل أحياناً مع نفسي ما إذا كانت قزحيّتا العينين مصنوعتين الواحدة قبالة الأخرى، من ناحية أخرى، إذا تأمَّلْنا الأمر برويَّة، يبدو ذلك الرماديّ ورديّاً نوعاً ما، كريش بعض العصافير، ومن ضمنها الببّغاء الكبير كما أعتقد.

أنْ يتحوَّل كلُّ شيءٍ إلى سواد، أو يصبح كلّ شيء واضحاً، أو يبقى رمادياً، ما يفرض نفسه دائماً نفسه هو الرماديّ، حتى نشرع، فهو كما كان، وبإمكان ما يقدر عليه، أن يكون واضحاً أو أسود، كما يمكنه تفريغ نفسه من هذا، ومن ذاك، لكيلا يكون في النهاية سوى الآخر، لكن ربَّما أخلق لنفسي عن الرماديّ، وفي الرماديّ، أوهاماً.

كيف يمكنني، في هذه الظروف، لكي أكتب، ألّا أضع بعين الاعتبار

مِن هذا الجنون المُرّ سوى جانبه اليدويّ؟ لا أعرف، قد يكون بمقدوري معرفة ذلك، لكني لنْ أعرفه، ليس في هذه المرّة، أنا منْ يكتب، أنا الذي ليس بإمكانه رفع يده عن ركبته، أنا منْ يفكر، بما يكفي حتى أكتب، أنا الذي رأسه بعيدٌ عنه، أنا ماتيو Mathieu وأنا الملاك، أنا جئت قبل الصليب، قبل الخطيئة، جئتُ إلى العالم، إلى هنا.

أضيفُ ما يلي، من أجل التأكيد على ذلك أكثر، تلك الأشياء التي تكلمتُ عنها، والتي أنا في طريقي للكلام عنها، إذا أمكنني، لم تعدْ موجودة، أو ليس بعد، أو لم تكنْ أبداً، أو لن تكون أبداً، أو ما إذا كانت، أو إذا بقيت كما هي، أو ما إذا صارت، لم تكنْ هنا، غير موجودة هنا، ولن تكون هنا، إنما في مكان آخر، لكن أنا موجود هنا، أنا مرغم إذاً على إضافة ما يلي ثانية، أنا هذا، أنا الموجود هنا، الذي لا يمكنه الكلام، ولا يستطيع التفكير، أو الذي ينبغي عليه الكلام، ويفكر ربما إذاً، قليلاً، لا يمكنني وحسب عندما يتعلّق الأمر بي، أنا الذي هنا، إلى هنا حيث أنا، لكني أتمكن منه قليلاً، بما يكفي، لا أعرف كيف، المقصود ليس هذا، مقارنة بي أنا الذي كنت في مكان آخر، والذي سيكون في مكان آخر، وفي تلك الأماكن حيث كنتُ، أو التي سأكون فيها، لكنّي لم أكنْ أبداً في مكانٍ آخر، مهما كان عدم اليقين من القادم، من الأبسط القول بأنّ ما قلته، وما سأقوله، إذا تمكّنتُ، يرتبطُ بالمكان حيث أنا، بي أنا الذي هنا، بالرغم من الاستحالة التي أنا فيها على التفكير، الكلام عنه، بحكم الضرورة التي تحتم عليَّ الكلام عنه حيث أنا، أيْ التفكير فيه، قليلاً ربما، شيء آخر: ما أقوله، أو ما سأقوله ربما عن هذا الموضوع، عن موضوعي، عن موضوع إقامتي، قيلَ مسبقاً، فما دمت هنا منذ الأبد، ما زلت هنا إذاً، على أيّ حال، تلك طريقة في التفكير تروق لي، وجديرة بموقفي، لا ينبغي عليَّ إذاً أن أقلق، ومع ذلك، أنا قلق، لن أذهب إذاً نحو الكارثة، لن أذهب إلى أيّ مكان، فمغامرتي انتهت، أقوالي قيلت،

أسمّي هذه مغامرات، من جانب آخر، أشعرُ، كَلّا، وأخشى كثيراً، ما دام الأمر يتعلق بي وبهذا المكان، ولأنني لست في طريقي بعد لوضع نهاية له، ما دمت أتحدث عنه، وهذا ما لا يؤدي إلى نتيجة، بل وعلى العكس، ما دام هذا الإرغام لن يكون الإرغام ذاته الذي سأصادفه مستقبلاً، بعد أن أكون تخلصت من الشروع ثانية، انطلاقاً من اللامكان، لا من شخص ولا من أيّ شيء، لكي أصل من جديد، عبر طرق جديدة بطبيعة الحال، أو القديمة منها، والتي تظل دائماً مجهولة، من هنا مصدر نوعٍ من الالتباس الذي يشوب المقدمات، أثناء إجلاس المتَّهم المُدان ووضع مكياج له، لكني غير يائس من أن أتمكن في يوم ما من تفادي ذلك، من دون أن أصمت، وفي ذلك اليوم سأتمكن، لا أدري لماذا، من السكوت، وسأكون قادراً على وضع خاتمة، أعرف، نعم، الأمل هنا، مرة ثانية، في ألّا أصنع نفسي، أو أضيّعها، أن أبقى هنا، منذ أن قلت لنفسي بأني هنا دائماً، لأنه كان من الضروريّ قول شيء ما على عجل، لو انتهيت هنا، سيكون الأمر رائعاً، لكن هل ينبغي تمنّيه؟ نعم، أتمنّاه، الانتهاء المُتمنّى، سيكون الانتهاء رائعاً، مهما كنتُ، وحيثما أنا.

آمل أنْ ينتهي هذا المدخل عمّا قريب، لمصلحة العرض الذي سيُقَرَّرُ في شأني، لسوء الحظ أنا خائف، كما كنتُ دائماً، من الذهاب بعيداً، لأن ذهابي أبعد، هو ذهابي من هنا، العثور على نفسي، ثم تضييعها، التلاشي والبدء ثانية، مجهولاً أولاً، ثم شيئاً فشيئاً مثلما حدث ذلك دائماً، في مكان آخر، حيث سأقول لنفسي بأني كنت هنا دائماً، والذي لن أعرف عنه أيّ شيء، ولن أتمكن من معرفة أيّ شيء، ضمن الاستحالة التي أنا فيها فيما يتعلق بالنظر، بالتحرك، بالتفكير، بالكلام والتي سأتمكن عبرها شيئاً فشيئاً، بالرغم من كل هذه العوائق، من معرفة شيء ما، بما يكفي فقط لكي يُكشف بأنه هو ذاته دائماً، ذلك الذي يبدو مصنوعاً لأجلي، والذي لا يرغب فيَّ، وفقاً لما يشاء هو، الذي لن أعرف أبداً ما إذا كان

سيبتلعني أو يتقيّؤني والذي ربما هو ليس شيئاً آخر غير داخل جمجمتي البعيدة، حينما كنتُ أسيحُ معها سابقاً، الآن أنا ثابتٌ، ضائعٌ في الصغر، أو أدفع ضد بوابات رأسي، بيدي، بقدمي، بظهري، بصدري، مردّداً دائماً قصصي القديمة نفسها، قصتي العتيقة، كما فعلت في المرة الأولى، ليس هناك ما ينبغي الخوف منه إذاً، ومع ذلك أنا خائف، خائف مما ستصنعه بي كلماتي، خائفٌ من مخبئي، مرة أخرى، هل حقّاً ليس ثمّة شيء جديد يحاوله المرء؟ أشرتُ آنفاً إلى أملي، لكنه ليس جاداً، وإذا ما تكلّمت لأجل ألّا أقول أيّ شيء، لا شيء حقاً؟ فربما أتفادى قرضي مِن فأرةٍ عجوز شبعانة، وقبّة سريري الصغير معي، أرجوحة، أو تركي أُقرَضُ بسرعةٍ أقلّ، في أرجوحتي القديمة، وقِطَعُ الجسم المسلوخة ستجد الوقت لتلتصق ببعضها، كما يحدث في القوقاز Caucase، قبل أن يجري سلخُها ثانية، لكن يبدو من المستحيل التكلّم من دون قول أيّ شيء، يظن المرء بأنه وصلَ، لكنه ينسى دائماً شيئاً ما، نعم صغيرة، كلّا صغيرة، ما يكفي لفحص كتيبة من التّنانِين، وبالرغم من ذلك لستُ يائساً، في هذه المرة، وفي الوقت ذاته أقول منْ أنا؟ وأين أنا؟ ولا أفقد نفسي، ولا أغادر، والانتهاء هنا، ما يمنع المعجزة، هو العقل المنهجيّ، الذي ربما كنتُ خاضعاً إليه كثيراً، وإذا كان بروميثيوس Prométhée قد فُكَّ أسرُه في عشرين ألفاً وتسعمئة وسبعين عاماً قبل أن ينهي عقوبة حكمه، فذلك ما لا أكترثُ له، لأنَّ ما بيني وبين هذا البائس الذي سخرَ من الآلهة، واخترع النار، وأزال طبيعة الغَرِيْن، وروّض الحصان، أيْ بكلمة واحدة أجبر الإنسانية، آمل ألّا يكون هناك ما هو مشترك بيننا، لكن الشيء الجدير بالملاحظة، إجمالاً: هل سأتمكن من الحديث عني وعن هذا المكان، من دون حذفنا؟ هل تمكنت يوماً من إسكات نفسي؟ هل ثَمَّة علاقة بين هذين السؤالين؟ أحب المراهنة ـ وها إنّنا كثيرون، ربما واحداً فقط.

هؤلاء المورفي Murphy، والمولوي وغيرهما من المالون، لم أنخدعْ

فيهم، جعلوني أفقد وقتي، أبدّد عذابي، بسماحهم لي بالحديث عنهم، فيما كان من الواجب الحديث عني وحسب، لكي أتمكن من إسكات نفسي، لكني قلت للتو بأني أتحدث عن نفسي، بأني على وشك الحديث عني، لا يهمني ما قلته، فالآن سأشرع في الحديث عني، للمرة الأولى، ظننتُ بأني حسناً فعلت بإضافتي إلى رهط الضحايا هذا، لقد خدعت نفسي، لم يشاركوني آلامي، وآلامهم هم لا شيء، مقارنة بآلامي، فهي لا تشكل إلّا جزءاً بسيطاً منها، أيْ تلك التي اعتقدت بأني قادر على التخلص منها، لكي أتأملها، ليذهبوا عني الآن، هم وسواهم، أولئك الذين قدموا لي خدمة، وهؤلاء الذين ينتظرون، ليردّوا لي الصاع صاعين، ومن ثم ليختفوا، من حياتي، من ذكرياتي، من حالات خجلي، ومخاوفي، هذا كلّ ما في الأمر، ما من أحد غيري هنا، ولا أحد يحوم من حولي، ولا يأتي أحد نحوي، أمامي لم يلتقِ أيّ شخص بشخص آخر أبداً، لم يكنْ هناك أيّ وجود لهؤلاء الناس، لم يكنْ أحد منهم ما عداي وهذا الفراغ السميك، والضوضاء، لا وجود لها هي أيضاً، الكلّ صامت، والأنوار التي راهنتُ عليها كثيراً، هل ينبغي إطفاؤها؟ نعم، من الضروريّ، ما من أنوار هنا، كذلك الرماديّ غير موجود، كان يجب القول الأسود، كلّها ما هي إلّا أنا، اللاشيء، وإلّا ما كنتُ قد تكلّمت عنها أبداً، وهذا السواد، الذي لا أعرف عنه أيّ شيء أيضاً، اللهم إلّا كونه أسود، وفارغاً، هذا لبّ القضية، واجب الكلام، سأتكلّم، إلى حدّ انتهاء ما لديّ من الكلام، هذا سينتج ما سينتجه، وباسل Basil وأمثاله؟ لا وجود لهم، اخترعتهم لكي أقول لا أدري ماذا، آه، نعم، كل هذا ما هو إلّا أكاذيب، الله والبشر، النهار والطبيعة، اندفاعات القلب ووسيلة الفهم، بجبنٍ اخترعتُها، دون عون أحد، إذْ ليس هناك أحد، حتى يؤخِّر ساعة كلامي عنّي، ولن يكون الأمر كذلك.

أنا، الذي لا أعرف عنه أيّ شيء، أعرف أن عينَيّ مفتوحتان، بسبب الدموع التي لا تكفُّ عن الهطول منهما، أعرف بأنّي جالس، يداي فوق

ركبتيَّ، بحكم الضغط على فخذي، وإزاء أخمص قدمي، حيال يدي، لكن ما الذي يضغط على فخذي، وعلى باطن قدمي؟ لا أعرف، ظهري غير مسنود، أنقل هذه التفاصيل، لكي أكون متأكّداً من أنّي لست على ظهري والساقان مثنيتان في الهواء، والعينان مغلقتان، من الملائم تأكّد المرء من وضعيته الجسدية من البداية، قبل أن ينصرف إلى أشياء أكثر أهمية، لكن ما الذي يضمن بأني أنظر أمامي باستقامة، مثلما أشرت إلى ذلك؟ لا أعرف، أشعر بظهري مُنتصباً، وعنقي واقفاً وغير ملويّ وهناك رأسي، جالساً بشكل جيد، كالقضيب الجالس على قرن كرته، هذه التشبيهات ليست في محلّها، ثم هناك الطريقة التي تنزل بها الدموع، التي تسيل على خَدَّيَّ ووجهي برمّتهم، وعيناي غائصتان في المناديل حتى العنق، وبطريقة لن تعرف كيف القيام بها، كما أعتقد، على وجهٍ منحنٍ، على وجه مقلوب، لكن لا ينبغي عليَّ الخلطُ بين استقامة الرأس واستقامة النظرة، ولا المستوى العموديّ مع الأفقيّ، هذه القضية ثانوية على أيّ حال، ما دمتُ لا أرى أيّ شيء، هل ثمّة مَلابسٌ عليَّ؟ غالب ما طرحت على نفسي هذا السؤال، لكن سرعان ما صرت أتحدّث عن طاقيّة مالون، عن معطف مولوي، وعن بدلة مورفي، إذا كنتُ هو، أنا هو بطريقة خفيفة، لأني أشعر بدموعي تضحك فوق صدري، على خاصرتي، وعلى طول ظهري، آه نعم، أنا عائم حقاً في الدموع، وهي تتكامل في لحيتي ومن هناك، حينما لا تكون قادرة على السيلان بعد - كلّا، ليس لديّ لحية، ولا أشعر أيضاً، إنها كرة ملساء كبيرة أحملها على منكبي، بلا ملمح، باستثناء عينَيَّ اللتين لم يبقَ منهما سوى المدارين، ولولا اليقين البعيد من راحَتَي يديَّ، وأخمَصَي قدميَّ، والتي لم أعرفْ حتّى الآن كيف السّبيل إلى التخلص منها، لكنتُ قد أخذت طواعية شكل بيضة، إن لم تكنْ مادَّتها، مع ثقبين لا يهم أين يكونان أو لكي أمنع نفسي من الانفجار، لأن مادتها ما هي إلّا مزيج من الصمغ، لكن على مهل، على مهل، وإلّا فلن أصل أبداً، فيما يتعلق بإمكانية الملابس إذاً لا أعرف في هذه اللحظة سوى عصابة الساق، مصحوبة ربما ببعض الأسمال من هنا وهناك، ولن

أقول بعد أشياء فاحشة، لماذا يكون لديّ عضو جنسي، أنا الذي فقد أنفه؟ كلُّ هذا سَقَط، كل الأشياء التي تتجاوز عيني ومعهما شعر رأسي، ومن دون أن تترك أثراً، سقطت إلى الأسفل تماماً ولم أسمعْ أيّ شيء، وربما هذا ما زال يسقط، شعراتي التي تسقط بتأنٍّ دائماً كالعرق، ولم أسمعْ أيّ شيء عن سقوط أذنَيَّ، شيء مُسطَّح، روحٌ صغيرة دائماً، والحُبُّ أنا الذي اخترعْتُه، الموسيقى، عطر الكشمش البرّيّ، لكي أتحاشاها، الأعضاء، الخارج، شيء سهل تخيّل ذلك، آخرون، الله أتخيله بالضرورة، وهو سهل أيضاً، لأنه يُهدّئ ما هو أساسي، ويجعلني أنعس، للحظة، نعم، الله، لم أؤمنْ به، مُحرّض الهدوء، للحظة، ولن آخذ أيضاً فترات استراحة، ألا يمكنني إذاً الاحتفاظ بأيٍّ من تلك الأشياء التي جلبتها لي أفكاري البائسة، المنطوية تحت أقوالي، أثناء الوقت الذي خبأت نفسي فيه؟ وتلك المدارات الناضجة، سوف أجففها هي الأخرى، أسدّها، انتهينا، هذا لم يعدْ يسيل، أنا كرة ضخمة ناطقة، تتكلّم عن أشياء غير موجودة أو موجودة ربما، وذلك ما تستحيل معرفته، المشكلة ليست هنا، آه نعم، ينبغي عليَّ تغيير الأغنية فوراً، ففي المطاف الأخير، لماذا كرة وليس شيئاً آخر؟ ولماذا كبيرة؟ لِمَ لا تكون أسطوانة، أسطوانة صغيرة؟ بيضة، بيضة متوسطة؟ كلّا، كلّا، إنها الحماقة القديمة ذاتها، كنتُ أعرف نفسي دائماً مدوراً، صلباً ومدوراً، لكن من دون أن أجرؤ على قوله، بلا أخاديد، ومن دون فتحات، وغير مرئية ربما، أو ضخمة كسيوروس Sirius في الكلب الكبير، هذه التعابير لا معنى لها، أن أكون مرناً أو صلباً، ذلك ما هو جدير بالأهمية، وبلا ريب هناك أسباب لها، أن أكون مدوراً وصلباً، بدلاً من شكل غير منتظم، يمكن تقعيره وتحديبه وفقاً لصدفة التصادمات، لكني انتهيت سلفاً من الأسباب، أتخلى عن الباقي، بما فيه هذا الأسود الغبيّ حيث ظننت للحظة بأني قادر على السباحة بهدوء في الرماديّ، أيّة أشياء هذه القصص المرتبطة بالوضوح والعتمة، اكتفيتُ بها، لكن هل أدور، تطابقاً مع طبيعتي ككرة، أو أنا متوازن في مكان ما، على واحد من أقطابي التي لا تُحصَى؟ أشعر

بأنه من المُغري معرفة ذلك، من هذا الانشغال الشرعيّ ظاهرياً، أيُّ جزءٍ من الخطاب عليَّ سحبُه، والذي لن يكون على حسابي، كلّا، ما بيني وحقّ الصمت، الراحة الحيّة، يتمدّد السؤال الدائم نفسه، سؤال إذا ما كنت قد عرفت جيداً لكنّي لم أكنْ راغباً في قوله، لا أعرف لِمَ، خشية من الصمت ربّما، أو الاعتقاد بأنه يمكن قول أيّ شيء، أيْ تحبيذ الأكاذيب، لكي أبقى مُتخفّياً، لا أهمية لذلك، لكني الآن على أهبة قوله، دَرسي، إذا ما استطعتُ تذكُّره، تحت السماوات، على الطرق، في المدن، داخل الغابات، في الغرف، في الجبال، في الوديان، على ساحل البحر، من فوق الأمواج، خلف المسوخ، لم أكنْ دائماً كئيباً، ضيَّعتُ وقتي، تنكرتُ لحقوقي، خسرتُ شقائي، نسيتُ درسي، بعدها جحيم صغير على طريقتي، ليس خبيثاً تماماً، مع بضعة مدانين لطفاء أعلّقُ فوقهم مناحتي، شيء ما كالتأوه من بعيد إلى بعيد ومن بعيد ببروق الشفقة المتوقدة في انتظار الساعة التي ترفع رمادنا، أنا أتكلم، أتكلم، لأنه من الضروريّ القيام به، لكني لا أصغي، أبحث عن درسي، حياتي التي كنتُ في السابق أعرفها ولم أكنْ راغباً في الاعتراف بها، والتي قد تكون في بعض اللحظات سبباً لفقداني الطفيف للشفافية، ربما في هذه المرة أيضاً لن أفعل سوى البحث عن درسي، من دون قدرتي على قوله، ومواصلاً في الوقت ذاته الشغل بلغة ليست لغتي، لكن بدلاً من أن أقول ما أخطأتُ بقوله، ما الذي لن أقوله، ما يمكنني ربما قوله، إذا ما استطعتُ، أليس حرياً بي قول شيء ما، حتى وإن لم يكنْ بعد ما ينبغي قوله؟ سأحاول، سأحاول القيام بذلك في حاضر آخر، حتى وإن لم يكنْ بعد حاضري أنا، من دون انقطاعات، بلا دموع، بلا عيون، من دون أسباب، لنقل إذاً بأني كنتُ مثبتاً وإن لم يكنْ لهذا من أهمية، أن أكون مثبتاً أو أدور وأغيّر بلا توقف، في الهواء وعلى اتصال بسطوح أخرى، أو أدور تارة، وأتوقف تارة أخرى، ما دمت لا أشعر بأيّ شيء يمكن استخدامه كنقطة انطلاق لرأي بخصوص هذا الموضوع، وذلك ما ستكون قيمته ضئيلة إذا كان لديّ بعض المعارف العامة ومعها استخدام العقل، بيد أن الأمر هكذا، لا

أحسّ بأيّ شيء، ولا أعرف أيّ شيء وما يتعلق بالفكر، قمت به لكي لا أصمت، لكن لا يمكننا تسمية ذلك فكراً، لا علينا إذاً تَحَسّبُ أيّ شيء، لا عندما أتحرك، ولا عندما لا أتحرك، وهذا أكثر يقيناً، ما دام هذا لا أهمية له، إذاً لنمرّ نحو الأشياء التي لها أهمية، أيّها؟ ذلك الصوت الذي يتكلم، يعرفُ بأنه كذب، لا يكترث بما يقول، ربما لأنه شائخ تماماً أو تمّ إذلاله كثيراً لأنه تمكن في النهاية من قول الكلمات التي تضع له حداً، وبمعرفته أنه غير نافع، لأيّ شيء، ولا يُصغي لنفسه، لكنه يُرهف أذنه للصمت الذي يَقطعه، حيثُ يمكن، ربما أن يعود إليه ثانية في يوم ما ذلك التأوه الطويل الواضح في السابق، ثم وداعاً، لكن هل كان صوتاً؟ لن أطرح أسئلة بعد، ليس ثَمَّة أسئلة، ولا أعرفها، يخرجُ مني، يَملؤني، يزعقُ في وجه جدراني، إنه ليس صوتي، ولا يمكنني إيقافه، لا أستطيع منعه، عن تمزيقي، عن هزيّ، وتطويقي، إنه ليس صوتي، ليس لدي صوت، لا صوت لي وينبغي عليّ الكلام، ذلك كل ما أعرفه، كما يجب الالتفات نحو هذا، والكلام بخصوصه، مع ذلك الصوت الذي هو ليس صوتي، لكن لا يمكنه أن يكون إلّا صوتي، ما دام ليس هناك غيري، وإذا كان هناك آخرون غيري، يمكن للصوت أن يعود لهم، فهم لا يتمكنون من الوصول إليّ، لن أقول أكثر من هذا، ولست قادراً أنْ أكون أوضح من ذلك، قد ينظرون نحوي من بعيد، ولا أرى أيّ ضير في هذا، ما دمت لا أراهم، كأيّ وجه عبر الجمر، وعليهم أن يعرفوا كيف يعترفون لأنفسهم بأنهم ينهارون، لكن هذا طويلٌ جداً، الوقت متأخر، والعينان تنغلقان، غداً ينبغي عليّ النهوض مُبكراً، أنا إذاً منْ يتكلم، وحدي تماماً، لعدم قدرتي على فعل شيء آخر، كلّا، أنا أخرس، وإذا توقفت، بالمناسبة، ما الذي سيحدث لي؟ أسوأ مما حدث لي؟ بيد أنّها أسئلة أخرى، ذاك هو النعت، لا أعرف الأسئلة لكن بعضها يخرج من فمي في كل لحظة، أظن أني أعرف لماذا، لكي لا يتوقف الخطاب، هذا الخطاب غير النافع الذي لا يُعيرني أهمية، والذي لا يجلب لي الصمت ولو في مقطع واحد، لكني قد حُذِّرت، ولن أردّ، ولن أتظاهر بعد بالبحث، سأكون ربما مرغماً،

حتى لا أنضب تماماً، على ابتداع جنّية، بعدّة رؤوس وجذوع، بأذرعها، سيقانها وكل ما يتبع ذلك، مقذوفة عبر المراوحة الثابتة بين ظل غير مكتمل ووضوح مشكوك بأمره، مثلما حدث لي من قَبْل، لكني مليء بأمل ألّا يكون الأمر كذلك، بيد أني أتمتع دائماً بهذا المصدر، كان هذا قد حدث لي أثناء تطويري لدعاباتي، في المرة الأخيرة، أو إلى الآخر الذي يَعتبرونه أنا، لم أكنْ ساهياً عن ذلك، كما اعتقدت سماع دمدمة وسيلة أخرى لسحبي من الورطة، اللطيفة بمعنى آخر، كذلك تمكنتُ، من دون توقفي ولو لحظة واحدة، من قطع ما قاله لي، وما قاله لنفسه، ما سُئِلَ، وما رُدَّ عليه، من الصيغ الواعدة أكثر والتي في الحقيقة وعدتُ نفسي المساهمة بها في المناسبة الأولى، حين أكون قد تخلصت من بعض قطيعي من المُثارين، لكن كلّ شيء انمحى، إذ من الصعب الكلام، حتى كيفما اتّفق، وفي الوقت ذاته ينقل المرء ذهنه نحو مكان آخر، هناك حيث تكون مصلحته الحقيقية، كأنّ دمدمة ضعيفة تُحدّده عبر فُتاته، أو كما يعتذر المرء لأنه لم يمتْ، وما بدا لي سماعه حينها، بعلاقته مع ما سأفعله، ما أقوله، حتى لا أفعل أيّ شيء، لا شيء يُقال، بدا لي بأني سمعته بالكاد، بسبب الضوضاء التي كنتُ في طريقي للقيام بها في مكان آخر، وفقاً للمفردات غير المفهومة كلها لإدانة غامضة، مع ذلك لقد صعقتني كفاية بعض التعابير لكي أقسم مع نفسي، مع استمراري بالصراخ، ألّا أنساها أبداً، والأكثر من هذا أن أعمل على توليد أخريات منها، وتنتفخ في كلّ ما لا يمكن دحضه، مُتصيداً من فمي البائس خطاباً آخر مختلفاً تماماً، من فمي العبثيّ من عبثيّات حكاياته، خطاباً آخر يختلف عن خطابها، الجيد في النّهاية، الأخير في النّهاية، لكني نسيتُ كل شيء ولم أفعلْ أيّ شيء، إلّا إذا كانت على وشك القيام بشيء ما، في هذه اللحظة، وأتمنى ذلك بإخلاص، لأنه إذا ما كانت موسيقى كهذه قد وصلتني، فيما كنتُ أتنازعُ مع قصة ثقيلة لمنْ هم على وشك الموت بتحركهم، وتصادمهم المشترك، المراوحين في المكان والساقطين في حالات تخشُّبٍ قصيرة، أليس من الأحرى أن تكون مسموعة في

الحاضر، بالرغم من الادّعاء بأني لم أكنْ مُعاقاً بشيء آخر إلّا بنفسي؟ لكنّها أفكار مرّة أخرى، وها إنّي بالفعل قد انزلقت، قبل أن يكون في الطرف الأخير، نحو مصادر الخرافة، وإذا ما قلت «باباباباً»، في انتظار معرفة الاستخدام الحقيقيّ لهذا العضو الجليل، يكفي أسئلة، يكفي تفكيراً، أبدأ من جديد، بعد مرور أعوام، كنتُ قد أخرست نفسي إذاً، وبإمكاني إخراسها، وها هي الضوضاء نفسها تشرعُ ثانية، كلّ ذلك ليس واضحاً، قلت أعواماً، مع أنه لا توجد أعوام هنا، لا أهمية للديمومة، السنوات، ما هي إلّا فكرة من أفكار باسِل، طويل، باقتضاب، الأمران سِيّان، احتفظت بالصمت، ذلك هو الشيء الوحيد الذي يُحسب له، إذا ما حُسبَ، لم أعدْ أتذكر إذا كان هذا قد حُسب، وها هو يفلت مني من جديد، لكن أيّ صمت، يا أصدقائي البؤساء، لأني أنا أيضاً لديّ أصدقاء في مكان ما، أشعر بهذا، أحياناً، في هذه اللحظة، أيّ صمت، يا أصدقاء البؤس، في الحقيقة الاحتفاظ بالصمت ليس كلّ شيء، لكن أيضاً ينبغي رؤية نوعية الصمت الذي يتم الاحتفاظ به، أصغيتُ، بقدر الكلام، الفعل، أيّة حريّة، أرهفتُ أذني نحو ما كان ينبغي عليه أن يكون صوتي دائماً، غاية في الضعف، بعيداً تماماً، كالبحر، كالأرض، بحر هادئ بعيد، في طريقه إلى الفناء – كلّا، ليس هذا، بلا ساحل، بلا ضفة، البحر يكفي، وما يكفي من الحصى والرمل، ما يكفي من الأرض، والبحر أيضاً، يأخذ باسل حتمياً أهميّته، سأطلق عليه إذاً اسم ماهود Mahood بالأحرى، هل هذا أفضلُ، أنا غريب، هو مَنْ سرد عليَّ قصصاً عنّي، وعاش من أجلي، وعاد إليَّ ثانية، ودخلَ فيَّ، وجعلني أنازعُ الموت من القصص، لا أعرف كيف حدث ذلك، كنتُ دائماً أحبُّ ألّا أعرف، لكن ماهود قال لي بأن هذا ليس جيداً، هو أيضاً لا يعرف أيّ شيء، غير أن هذا كان يزعجه، وصوته هو الذي يختلط غالباً، دائماً، مع صوتي، بحيث إنّه يطغى عليه تماماً أحياناً، إلى أن حلَّ اليوم الذي غادرني فيه بلا رجعة، أو لم يرغبْ بمغادرتي، لا أدري، نعم، لا أعرف إذا كان هنا في هذه اللحظة أو قد ابتعد، لكني لا أعتقد بأني أخدع نفسي كثيراً إذا قلت بأنَّ ادّعاءاته ما

عادت تؤلمني، أثناء غياباته، حاولت إدراك نفسٍ ثانية، نسيان ما قاله لي، عنيَّ، وعن تعاساتي، تعاسات حمقاء، آلام نافلة، مقارنة بموقفي الحقيقيّ، كلمة مُقزِّزة، بَيد أن صوتي استمر يشهدُ له، كأنه مطرّز مع صوتي، ويمنعني من القول عمّا كنته، ما هو الشيء الذي كنتُ عليه، حتى أتمكن من إسكات نفسي، وأكفّ عن الإصغاء، وحده اليوم، حتى أتكلم ثانية مثله، مع أنه لا يقلقني فصوته حاضر هنا، داخل صوتي، لكنه أضعف، أقل، ولأنه لم يتجدَّدْ، سيختفي يوماً، كما آمل، عن صوتي، تماماً، لكن لتحقيق ذلك عليَّ أن أتكلّم، أتكلّم، ومع ذلك، وهذا ما لا أخفيه عن نفسي، قد يعود، أو بمقدوره المغادرة ثانية ومن ثم العودة مرة أخرى، حينئذ ينبغي الشروع بكل شيء من جديد، سيقول صوتي، الصوت، سأردّد قصّةً عن ماهود، لكي أستريح، هكذا سوف يجري الأمر، يقول، قد يقول، ثمّ، بعد ضربه ثانية على آلة الكتابة، قد أهجم من جديد على الحقيقة، بمئة قوة أكبر، من أجل إقناع نفسي بأني تحركت بحرية، بيد أنَّ هذا لن يكون صوتي، حتى ولو جزئياً، هكذا سيكون الأمر، أو أنْ تشرع القصّة بتأنٍّ كبير، غير محسوس، كأن شيئاً لم يحدثْ، أو كأنَّ الأمر يتعلق بي دائماً، لكني سأكون نائماً بعمق، فمي مفتوح، كالعادة، سأبدو كما أنا في العادة، ومن فمي المفتوح، المُنوّم، سوف تسيل الأكاذيب، من فوقي، كلّا، لن أنام، سأصغي، أثناء كلامي، لكن في الواقع، هل أنا المقصود في هذه اللحظة؟ لبضع دقائق ظننتُ نعم، ثم ها أنا أرى بأنه كلّا، قمتُ بأفضل ما أستطيع، وأنا الآن على وشك الإخفاق، مرة أخرى، لا يهمني إذا ما أخفقت، أحبّ ذلك كثيراً، أرغب فقط في إسكات نفسي، ليس بالطريقة ذاتها التي فعلتها للتو، لكي أفشل بطريقة أفضل، لكن كمنتصر، بشكل طفيف، وبلا خلفية فكرية، ستكون الحياة جميلة، الحياة أخيراً، حينما يستريح فمي يمتلئ باللعاب، فمي الذي لم يكنْ لديه ما يكفي منه، سأتركه يسيل بمتعة خارقة، يشربُ من الحياة،

بعد تلاوة مزموري[1]، صمت، تكلمتُ، كان عليَّ أنْ أتكلَّم، عن الدرس، فيما كان ما ينبغي القيام به هو تلاوة المزمور، خلطتُ ما بين الدرس والمزمور، نعم، هناك مزمور عليَّ فعله، قبل أن أكون حُرّاً، حُرّاً من لعابي، حُرّاً من سكوتي، وعدم الإصغاء بعد، وغير ذلك مما لا أعرف، وها أنتم لديكم فكرة ما عن موقفي، أعطوني مزموراً، عند ولادتي ربما، لمعاقبتي على ولادتي ربما، أو من دون أيّ سبب بعينه، لأنهم لم يحبونني، كما نسيت في أيّ شيء يكمن هذا، لكن هل شخصوا ذلك السبب مرة؟ اضغط، يا صديقي، اضغط بقوة أكبر، بلا تهور، لكن اضغط ثانية قليلاً، إذ ربما يتعلق الأمر بك، أحياناً أقول لنفسي أنتَ، إذا كنتُ أنا الذي يتكلم، إنك تصلُ إلى الهدف ربما، بعد عشرة آلاف كلمة، أخيراً، ثَمَّة هدف ما، بعده ستكون هناك أهداف أخرى، أن أتكلم معي، لم أتكلمْ كفاية مع نفسي، ولم أصغِ كفاية، ولم أردّ عليها كفاية، لم أتعزَّ كفاية، تكلمت من أجل معلِّمي، وأرهفت أذني لكلمات معلِّمي، التي لم تصدرْ منه أبداً، معلِّمي ، وها هي وسيلة نجاح لا ينبغي التغافل عنها، لكني في هذه اللحظة انشغالي موجَّه - لكن قبل أن أنسى الحادثة، ربما هناك العديد منها، رابطة من الطغاة، المنقسمين بينهم بخصوصي، يتناقشون منذ لحظة من الأبدية، كما أنهم يصغون إليَّ من حين إلى آخر، ثم يذهبون ليأكلوا ويلعبوا القمار، في السرّ، على حساب الأميرة، من دون علمي، ويسحبونني نحو النور - في اتجاه المزمور، الذي من دون أيّ خرق أقترب ثانية منه، كما يبدو لي، ذلك الدرس الذي سرعان ما تركته، بلا مراعاة... التخلي عنه، قائلاً في نفسي لو كان هناك مزمور عليَّ فعله، فذلك لأني لم أعرفْ جيداً قول درسي، لهذا حين سأنتهي من مزموري سأقول درسي، في تلك اللحظة وحدها سيكون من حقي البقاء هادئاً في زاويتي، لكي يسيل لعابي وأعيش، وفمي مغلق، ولساني ساكن، بعيداً عن كل مضايقة، وكلّ ضوضاء، وشعوري مرتاح، أيْ فارغ، غير أن هذا

1 - نسبة إلى مزامير داوُد - المترجم

لا يجعلني أتقدم أبداً، لأني سأسقط على المزمور الجيد، لكثرة خلطي للمفردات، ومن ثم يبقى عليَّ إعادة بناء الدرس الجيد، إلّا إذا امتزج الاثنان ببعضهما، وهذا ما هو مستحيل بطريقة واضحة، فكرة مُثيرة للفضول من ناحية أخرى، لا يمكن الاعتماد عليها مطلقاً، فكرة إنهاء المهمة، قبل أن يكون المرء هادئاً، مهمة شاذة، أن يتكلم المرء عن نفسه، أملٌ غريب ذلك المتوجِّه نحو الصمت والسلام، ولأنه لم يكنْ لديّ سوى صوتي، سوى الصوت، يبدو من الطبيعيّ، بعد أن أكون قد ابتلَعتُ فكرة الواجب، أن أرى شيئاً ما لأقوله، حتى هذا، ولأني فاقد ليدي، ربما يتحتم عليَّ التصفيق، أو المناداة على النادل، وجعلهما الواحدة تضرب الأخرى، سيكون ذلك لاذعاً أكثر، ولأني لا أمتلك قدمين، ربما يتحتم عليَّ الرقص على لحن الكرمنيول، لكن لنفترض أولاً، حتى نتقدم قليلاً أكثر، ثم سنفترض شيئاً آخر، لكي نتقدم قليلاً أكثر، بأنّ الأمر يتعلّق بشيء آخر علينا قوله، قد غابَ عن كل ما قلته من قَبْل وحتى اللحظة الحاضرة، هذا افتراض ينبغي أن يتمتع بقوة الدفاع عن نفسه، لكن انطلاقاً من هنا وحتى رغبة قول شيء ما عن نفسي، كلّ ذلك يبدو فجأة قليلاً من الوقاحة، لكن إذا ما كان الأمر يتعلَّق بالأحرى بتقديم المدائح لمعلّمي، مُغنّاة لكي يغفر لي، أو أنْ أكون أنا ماهود في نهاية المطاف وهذه القصص عن شخص آخر يَستغل ماهود هويته ويمنع الصوت عن أن يكون مسموعاً هي قصص مزيّفة من بدايتها إلى نهايتها؟ خُذ مثلاً، هل يمكن لماهود أن يكون معلّمي؟ سأبقى عند هذا الحد، في اللحظة الآنية، فهذا ينطوي على آفاق عديدة في وقت قصير، يبدو أنه حتمياً من المستحيل عليَّ، عند هذه المرحلة، تجنب الأسئلة، مثلما وعدتُ نفسي بذلك، كلّا، كنتُ قد أقسمتُ مع نفسي ألّا أصوغها وحسب، مَنْ يدري؟ ربما سأقعُ، من هنا حتى بعض الوقت، على الترتيب السعيد الذي يمنع صياغتها، لا تكونوا أدعياء، في عقلي، لأن ما أفعله لا أفعله بصورة كاملة من دون عقل، ألّا يكون عقلي، أقبل بهذا طواعية، لكني أتمسك به، منه أغرفُ، أوه! أتظاهر بهذا، مادة ثرية، ينبغي استغلالها، مُغذّية، ولا بدّ من

مصّها حتى العظم ونثرها فوق الشيطان، مُثيرة للحماس من جانب آخر، أرتعش منها، كلام تذروه الرياح، أرتعش وأذهب، لديّ الوقت، الذي نسيته سلفاً، آه نعم، ما سيتعلق به الأمر، في اللحظة، شيء مهم، رحل، لكنه سيعود ثانية، لا أسف على ذلك، شعلة جديدة، واحدة مجهولة، حينما أكون في وضع أفضل، لنأمل بذلك، لتهشيم الرأس عند أول تُرَّهَة، لا حديث إلّا عنا منذ بعض الوقت، أختصر، المعلّم، قلما اهتممتُ بشأنه، قليلاً تماماً، يكفي، لا مزيد من عبارات الـ«رُبَّما» أيضاً، لقد استُهلكت هذه الوسيلة، سأمنع كلّ شيء عني، شرط المرور نحو شيء آخر، المعلم، بعض الأوهام من هنا ومن هناك، كالتي تعطى للـ starape، لجعلي أشكو، ألبسوني وأعطوني مالاً، ذلك هو الفن، بدسّها، ثم لم يكنْ هناك أيّ شيء، أو أن رئيس عمل موران Moran، نسيتُ اسمه، آه نعم، أشياء بعينها، قمتُ بها، اعتقاداً مني بأني أفعل أشياء حسنة، مليئة بالشكوك، أجشّ من التعب، أتذكرها، ليست هي بالذات دائماً، لكن فيما يتعلق بمُعالجة هذه القصة حتى العمق قليلاً، بمزيد من الحماس غير النافع على سبيل المثال، حماسٌ أخضع له تمنَّيتُ أن يكون حماسي، أو قريباً من حماسي، على طريق حماسي، لم أحلمْ يوماً بهذا، وإذا ما حلمت به في الوقت الحاضر، فذلك لأنّي يائس من بلوغ قصّتي أنا، لحظة من الإحباط، ينبغي القضاء عليها وهي حارّة، كان معلّمي إذاً، إذا افترضنا بأنّه كان شخصاً على صورتي، يتمنى لي الخير، المسكين، يبتغي مصلحتي، وإذا كان يبدو عليه كأنّه لا يقوم بشيء كبير حتى لا يَخيب، فذلك لأنّه لم تكنْ هناك أشياء عليه القيام بها، ماذا أقول، لم يكنْ لديه أيّ شيء يقوم به، وإلّا لقام به، ينبغي أن يكون الأمر كذلك، معلّمي الطيب، معلمي المُقتدر، منذ فترة طويلة، المسكين، فرضية أخرى: قام بما هو ضروري، وكانت إرادته حسنة فيما يخصني (إذ قد يكون هناك غيري من الذين يحميهم)، أنا بخير من دون معرفتي بذلك، واحد واثنين، سأميل قليلاً نحو الأوّل، إذا استطعت، بعد ذلك، سأنحني على الآخر، إذا كنت قادراً على الوقوف بعد، كلّ هذا يبدو كحكاية من حكايات ماهود، مع

ذلك، كلّا، كلّ قصص ماهود كانت عني، لكن لتَنحَنِ فوراً، يا عزيزي، وإلّا ستنسى، وها هو حزين، تعيس، بسبب خطئي، إذْ بالنسبة إليه ليس هناك ما يمكن عمله، بالرغم من ذلك يتمسك به، هو الذي من عادته التوجيه، ويُطاع، ها هو إذاً منذ أن وجدت حالة أعتقد بأنه قادر على إثارتها، إرغامي على أن أكون بخير، لأجل راحتي، لكن كان سيحصل على الكثير من النجاح لو توجه نحو مادة ميتة، وإذا لم يكنْ سعيداً بهذا الإطراء، أعني – كنت على وشك القول المشنوق، بيد أني أرغب بذلك تماماً، من دون تحفُّظات، كنتُ على وشك القول بلا توتُّرات، فذلك سيقطع تنفسي، لسوء الحظ ليس لديّ عنق، أريد أن تكون بخير، هل تسمعني، هذا ما لا يكفّ عن تغريده لي، ومن ثم ينبغي عليَّ الردّ، بوضعية محترمة، أنا أيضاً، يا أميري، قلت هذا لكي يشعر باللذة، لكن تبدو عليه التعاسة، أنا طيب، على السطح، كلّا، لم تكنْ بيننا نقاشات، وهو لا يرمي عليَّ أبداً بالكلام، وفي الأخير، للسقوط بشكل سَيِّئ سقط بشكل سَيِّئ، مما لا شك فيه أنه لم يخترني، إذ لا نحصل دائماً على ما نشتهيه، ما يقصده بالخير، خيري، هو قصة أخرى أيضاً، كذلك في إمكانه الرغبة في أن أكون راضياً، ذلك ما حدث، كما يبدو، أو أن أكون نافعاً لشيء ما، أو الاثنين معاً، ضمن خليط لا يُصدق، القليل من الصراحة من جانبه، هو الذي يحتفظ بطبيعة الحال بالمبادرة، وذاك ما يلائمه ربما، من وجهة نظره ومن وجهة النظر التي ينسبها لي، ليفسر نفسه في النهاية، إذ ليس علينا معرفة منْ ينبغي عليه طرح الأسئلة، حتى وإن كنتُ أعرف أين ألحق به، ليخبرني مرة وإلى الأبد ما يريده مني بالدقة، لأجلي، ما يريده، هو خيري، أعرف ذلك، على الأقلّ أقوله، على أمل الوصول به إلى مشاعر أفضل، إذا كان موجوداً، وإذا وجد، ليسمعني، الـ«ربما» الراقية، في النهاية، عليه أن ينورني، ذلك كل ما أطالب بالقيام به، لكي تتولد لديَّ على الأقلّ القناعة بمعرفة ما يعوزني، إذا كان يرغب في أن أقول شيئاً، لأجل خيري بطبيعة الحال، ليخبرني ما الذي عليَّ قوله بالضبط، والذي سأصده مباشرة، صحيح أنه ربما قال لي ذلك من قَبْل مئة مرة، ومن ثم،

ما عليه سوى قوله للمرة مئة وواحد وسأنتبه له، لكن ربما أتجنّى عليه خطأً، معلّمي الطيّب، إذ ربما لا يكون وحيداً مثلي، معلّمي الطيب، وإنّه ليس حراً مثلي، إذ ربما يكون له ارتباط بآخرين، جميعهم طيبين مثله، ويتمنّون لي الخير مثله، لكنهم يتمتعون حول هذه النقطة بوجهات نظر مُتباعدة، في كل الأيام، هناك في الأعلى، في النهارات، وعدة مرات في اليوم الواحد، منذ اللحظة المُتفق عليها وحتى اللحظة المتفق عليها، والجميع مُتّفق عليه باستثناء ما ينبغي عليه الاتّفاق في شأني، لهذا يجتمعون، بخصوص موضوعي، إلّا إذا كانوا من المساعدين، مُكلّفين بإعداد مشروع مُتفق عليه، وأثناء هذا الوقت أواصل وجودي مثلما كان عليه دائماً، وذلك بالتأكيد أفضل من قرار أعرج، قد يكون مأخوذاً بأصوات الأكثرية مَنْ يدري، أو ناتجاً عن مدينة متذبذبة، هم أيضاً، أثناء ذلك الوقت، يتألمون، كلّ واحد حسب إمكانياته، فأنا غير مرتاح، الآن يكفي من هذا، وإذا لم يكنْ هذا يجعلهم أكثر نعومة، فالبؤس لي، ما زلت قادراً على فهمه، إليك، هناك اقتراح، ما دمت أفكر فيه ثانية، قبل أن أعمل عليه بطريقة أفضل، هل سيحرّرونني من حربي المُنهِكةِ؟ ربما سيُريحني ذلك، لا أرى كيف، قد أتمكّن ربما من إسكات نفسي، نهائياً، كلّا، كل ذلك ليس جادّاً، أنا حرّ، مهجور، وهذا ما سيفسد كل شيء من جديد، ماهود نفسه تركني، أنا هادئ، كلّ قصة إنجاز المهمة هذه، حتى أستطيع التوقف، من الكلمات التي ينبغي قولها، والحقيقة التي يجب العثور عليها، بغية أن نكون قادرين على قولها، ولكي أتوقف، مهمة مفروضة، معلومة ومُهملة، منسية، ويجب العثور عليها ثانية، وتركها، لكي لا يتم الكلام عنها من جديد، ولا ينبغي سَماعها، أنا اخترعتها، على أمل أن تُعزيني، وتُعينني على المواصلة، وجعلي أعتقد بأني موجود في مكان ما، مُتحركاً، بين بداية ونهاية، تارة مُتقدماً، وتارة أخرى مُتراجعاً، وتارة ثالثة منحرفاً، لكن في نهاية المطاف قارضاً دائماً للأرضية، كنس كلّ هذا، لا علاقة لي به، أعني العلاقة الخاصّة، يجب أن أتكلّم، بيد أن ذلك غامض، ينبغي عليَّ الكلام، مع أنه ليس لديّ ما أقوله، لا شيء سوى

كلمات الآخرين، ولأني لا أعرف كيف أتكلم، ولا أرغب في الكلام، تكلمت، لم يرغمني أحد على ذلك، ولا أحد هنا، كانت محض صدفة، واقعة، ولن يكون بمقدور أيّ شيء إعفائي منها، ليس هناك شيء، لا شيء ينبغي اكتشافه، لا شيء يختزلُ ما بقي قوله، عليَّ شرب البحر، ثَمَّة بحر إذاً، ألّا أكون قد خُدعت، ذلك ما كان في إمكانه أن يكون الأفضل، مصنوعاً بشكل أحسن، أو أن أكون قد خدعت، من دون أن أكون راغباً في ذلك، أو ظننت بأني لم أكن كذلك، مع معرفتي بأني كذلك، ألّا أكون مخدوعاً بأني لم أنخدع، لأنه أيّ شيء، لكن هذا لا يثبت، كان على الأمور أن تسير، لكن كلّا، هذا تعذيبٌ مَتَاهِيٌّ، تستحيل الإحاطة به، الشعور به، تَحمُّله، نعم، ولا يمكن تحمله أيضاً، أتألم بطريقة سيِّئة كذلك، حتى هذا صنعته بشكل سَيِّئ أيضاً، كديكٍ روميّ يموت واقفاً، وظهره مثقل بالفراخ، وتترصَّده الفئران، عَجِّلْ بما يتبع، وبلا صراخ خاصة، لتكن مَدَنياً نوعاً ما، وتعرف كيف تموت، أثناء ضحك الآخرين، الذي أسمعه من هنا، فهو يتفتح كالزعرور، كلّا، هذا مستحيل، أنا منْ يزعق، بعيداً خلف بحثي، ليس كما اتّفق إذاً، حتى قصص ماهود ليست كما اتّفق، مع أنها غريبة تماماً، على ماذا، لا أعرف، عن بلادي، التي لم أكن أعرفها، ليس أكثر من تلك التي يأتي إليها البشر ويذهبون منها، في بلدانهم، على طرقٍ بنوها بأنفسهم، حتى يتزاوروا فيما بينهم بطريقة أسهل وأسرع، المضاءة بالعديد من الأنوار، الواضحة في تبوُّلها على العتمة كلُّ نورٍ بدورِه، بحيث لم تكنْ هناك أبداً من عتمة، ولا صحراء أبداً، لا بدّ أن يكون هذا مُرعباً، ليكن، ليس كيفما يكن، لكن وكأنه، هكذا هو الأمر، ماهود، كان هناك آخرون قبله، يحسبون أنفسهم أنا، لا بدّ أن يكون هذا شيئاً مخلصاً يمرّ من الأب إلى ابنه، إذا ما حكمنا عليهم من هيئتهم العائلية، لم يكنْ ماهود أسوأ من الذين سبقوه، لكن قبل رسم صورته الشخصية، على القدم، فهو لا يملك سوى واحدة، مُمثّلي القادم في الوجود سيكون قعر قصعة، ذلك ما اتخذت قراراً في شأنه، القصعة

فوق الرأس، والمؤخرة في الغبار، وحتى تليس Tullus [1] ذو الأثداء العديدة، لزيادة الحلاوة، خذ، هذه فكرة، واحدة أخرى، سأصل ربما تقريباً، بضربات بتر، من هنا إلى خمسة عشر جيلاً من الإنسان، لكي أصنع لي صورة بين العابرين، أثناء الانتظار، سيكون ماهود، ذلك الكاريكاتور، ما الذي كنتُ على وشك قوله؟ لا بأس، سأقول شيئاً آخر، كلّ هذا سواء، ماهود، ألسنا في النهاية الشخص الواحد ذاته، مثلما يرغب هو في ذلك، بالرغم من تنكّراتي؟ إذا كنت سأمرّ من المكان ذاته الذي مررتُ به كما يدّعي، بدلاً من بقائي هنا، فلنحاولْ استغلال غيابه لكي نضع نظاماً في عملي، هنا، في بلادي، ما الذي يفعله ماهود، كيف يمرّ؟ وها أنا أقذف نفسي في قصة عبثية، وها نحن وجهاً لوجه، أنا وماهود، إذا كنا اثنين، مثلما قلت، لم أره، لا أراه، أخبرني كيف هو، وكيف أنا، الجميع قال لي ذلك، لا بدّ أن هذا يدخل كثيراً في الخصال، لا يكفي أن أعرف ما أقوم به، إنما أيضاً عليَّ معرفة كيف أكون، في هذه المرة لن تكون لديّ سوى ساق واحدة، مع أني استعدت ثانية شبابي، كما يبدو، يشكل هذا جزءاً من البرنامج، لكن حينما وصلتُ إلى فقرة الموت، الغرغرينا، التخريف، حذفوا مني ساقاً وها أنا ثانية أقف على قدم واحدة، مُتطفّلاً في كل مكان، كفتى، باحثاً عن مخبأ، ساق واحدة وغيرها من علامات التميّز، الإنسانية بالتأكيد، ولكن ليس بطريقة مُبالغ فيها، لكي لا أرتعب، وحتى أترك نفسي تُغوى، سوف يستسلم في النهاية، وينتهي بالاعتراف، تلك هي الكلمة السرية للنظام، لنحاول هذه المرة برأس سمكة، صلعاء بالكاد، ربما ستدع نفسها تُغوى، لا بدّ أن يكون ذلك ما قالوه بينهم، مع ساق واحدة في المنتصف تقريباً، هذا ما سيجعله يضحك ربما، يا مساكين، سيلصقون بي شَرْجاً اصطناعياً في باطن اليد حيث لا ولن أكون هناك، وهم يعيشون حياتهم كحياة إنسان تقريباً، رجل عادل تماماً، رجل بما يكفي ليكون قادراً على أن يكون حقيقياً، على

1 - الملك الملحميّ الرومانيّ الثالث - المترجم

صورتهم، في يوم ما، عندما تكتمل تحولاتي، مع ذلك، بدا لي أحياناً أنّي موجود هنا، أنا، في أماكن مشبوهة، تنهار تحت صفاتي كسيد للخلق، وهو في طريقه لملاقاة الموت، ودائرة زرقاء تذكّر بالسّبانخ من خشونة الرّاحة تحيط به، نعم، أكثر من مرّة كدت آخذ نفسي باعتباري الآخر، حدّ التألم على طريقته، خلال لحظة بأكملها، حينها فتحوا الشمبانيا، وها هو واحد من جماعتنا! مُخضرّاً من القلق، كلب صغير حقيقي، غاطس في الكلوروفيل! يحوم حول المسالخ! لا بدّ أن هذا قد أثقل على معدتهم، فما هم في النهاية سوى مبشرين صغار، في خدمة العابِر الذي لا يمكن كبْحُه، تعال، يا حملي، أيها المرح بيننا، لقد مرَّ سريعاً، كما سترى، فقط الوقت الكافي للقيام بلعبة مع النعجة، هذا من الحلوى، الحب، تلك هي الجزرة التي لم يفقدها يوماً، لا بدّ أني قد مرَّرتُ له واحدة، وكان ذلك في واحدة من دورات المياه الـ W.C، حيث آمنت بنفسي، بل وكنتُ على وشك خلع سروالي، كما كان ماهود ذاته على وشك أن يراني مرة، كنتُ أنا هو للحظة، وهو يتأرجح على عكازيه وفق طبيعة ما، لكن ليس علينا أن نحزن، كانت ضعيفة، وفوق كل شيء، لنكن عادلين، قليلة السكان في البداية، مع كلّ ضربة من العكازين، كنتُ أتوقف، ما يكفي من الوقت لكي ألتهم قرصاً مُهدئاً وأقيس الطريق الذي قطعته، والطريق الذي بقي عليَّ قطعه، رأسي هنا أيضاً، واسع في قاعدته، وعلى منحنياته الصلعاء، لكي يصل إلى ذروة السطح، قمة البناية، تنتشر شعيرات طويلة مثل تلك التي تراها فوق الخال، لا شيء يمكن عمله، بلذّة المُطّلع على ذلك، اعترفوا بأن هذا كان مغرياً، قلت للحظة، لكنها ربما سنوات، ثم سحبت انضمامي، لأن الأمر بدا مُضحكاً، كنتُ قد قطعت عشرات الخطوات، إذا كان في إمكاننا تسميتها بالخطوات، ليس على خط مستقيم بالتأكيد، إنما وفقاً لمنحنٍ واضح المعالم، ومن المحتمل ألّا يعيدني بالدقة إلى نقطة انطلاقي، لكنه بدا كأنه يدفعني نحو لمسها عن قرب، لو كنتُ قادراً على مسك نفسي، ربما كنتُ قد غصت في نوع من اللولب المقلوب، أعني بأن حلقاته بدلاً من أن تتسع تدريجياً، غدت أكثر ضيقاً، إلى حدٍّ لم

تكنْ قادرة معه على المتابعة، إذا أخذنا نوعية المكان الذي يُفترض بأني وجدت نفسي فيه بنظر الاعتبار، في تلك اللحظة بالذات، نظراً للاستحالة المادية للذهاب أبعد، اضطررت إلى التوقف، شرط أن أنطلق ثانية في الاتجاه المُعاكس، أو في وقت متأخر، وأنا منشطر نوعاً ما، بعدما ضغطت نفسي في كتلة واحدة، ما كان بإمكانه أن يكون تجربة ثرية من حيث المنفعة والجِدَّة، وإذا كان حقيقياً مثلما تركت نفسي تقول ذلك، فلن يكون قادراً على أن يكون بصورة مغايرة، فحتى الطريق الأكثر عتمة لهُ ممشىً مختلفٌ تماماً، بعتمة أخرى مغايرة تماماً، في العودة أكثر مما هو في المغادرة، وبالعكس أيضاً، لا نفع من الغشّ، أنا كومة من الأشياء، لكن ثَمَّة صعوبة هنا، لأنه لكثرة ما طُفْتُ نفْسي، إذا تجرأتُ على هذا القطع، وذلك ما لا يحدث ليَّ غالباً، إذا كنت قد طُفْتُ نفسي كثيراً، فذلك لأنه كان يستحق الانطلاق، إذا كان بحكم البحث عن نفسي إلى هذا الحدّ، لا بدّ أني سأنتهي بالعثور على نفسي مطوقاً ثانية، عاجزاً عن الذهاب أبعد خشية تقلّص حجمي، أو الدخول حرفياً في نفسي، أيْ أنّي مرغمٌ، الكلمة ليست قوية تماماً، على السكون، بالمقابل، إذا رميت بنفسي في الاتجاه المعاكس، إذ لا يمكن أن أظل أطوف إلى ما لا نهاية، وليس هناك شيء يمكنه وضع نهاية له، فالمكان الذي خلفوني فيه كرويٌّ، إلّا إذا كان الأرض، لا أهمية لذلك، أنا أفهم نفسي، لكن في الواقع، أين تكمن الصعوبة؟ كانت هناك واحدة قبل لحظة، سأقسم على هذا، من دون الأخذ بعين الاعتبار بأني قد أجد نفسي ثانية، في أيّة لحظة، في أية لحظة، أمام جدار، شجرة ما أو أيّ عائق آخر، حينها سأمنع بطبيعة الحال قطعياً عن المواصلة، آنذاك سيتمّ قطع طوافي فوراً، وبطريقة فاعلة كفاعلية التشنج الذي غدوت ضحية له قبل قليل، لكن العوائق، التي يبدو أنه في الإمكان إزالتها، مع مرور الزمن، ومن ثمّ التقدم، لكن ليس بالنسبة إليّ، فهي توقفني بالضبط، إذا كنتُ أعيش وسطها، لكن حتى في حالة عدم وجود العوائق، إذا كان المرء يرغب في المرور بالخط الاستوائي، سيكون عليه الشروع بالدوران حول الداخل، بحكم قوة الأشياء، مع

مواصلته لطريقه، ثَمَّة ما يشبه هذا في فكرتي، ففي اللحظة التي أتكلم فيها، اللحظة التي أخذت نفسي فيها باعتباري ماهود، لا بدّ أنّي كنتُ على وشك الدوران حول العالم، وربما لن أحتاج إلى القيام بذلك سوى لبضعة قرون، فهزالي الجسديّ، يشهد على تلك الفرضية، وربما خلّفتُ ساقي في المحيط الهادئ، ماذا أقول ربما تركتها في بحر سومطرة، في الأدغال الحمراء الأوراق الهندية الضخمة ذاتها، كلّا، إنّه المحيط الهنديّ، أيّ إنسيكلوبيديا، أو قريباً منه، في النهاية، دخلت إلى الكنيسة، التي انكمش حجمها بلا ريب، والتي تطالب بأن ينكمش أكثر، قبل أن أعثر على والديَّ وزوجتي ثانيةً، أهلي، الذين شدَدْتُهم بين ذراعيَّ اللتين نجحتُ في الاحتفاظ بهما، أطفالي الذين وُلِدوا أثناء غيابي، وجدتُ نفسي في نوع من الرِّواق أو الباحة، المحاطة بجدرانٍ عالية، وعلى أرضٍ تمتزج فيها التربة والرّماد، وقد بدا لي أكثر حلاوة مقارنة بالامتدادات الواسعة والمفتوحة والحركات التي قطعتها، لو كانوا قد زوّدوني بمعلومات أكبر، شعرتُ بأني في أمان تقريباً، وسط الرّواق انتصبت دعامة صغيرة تماماً، بلا نوافذ، لكنها تزخر بِكُوىً للقتل، من دون التأكّد بأنّي تعرفت عليه، ولأنّي تركته منذ وقت طويل قلت في نفسي، هذا هو المرفأ الذي ما كان عليَّ مُغادرته أبداً، فهنا أعزَّتي الغائبون ينتظرونني، بصبر، وأنا أيضاً يجب أن أكون صبوراً، في هذا المكان الزاخر بالحركة، حيث الجد والجدة، والأم مع ثمانية وتسعة أطفال بمخاطهم، وبعيونهم المُلصقة على الكُوّات تابعوا الجهود التي أبذلها، وقلوبهم معي، جعلت تلك الباحة المهجورة منذ زمن طويل فرحة، في الوقت الذي كنتُ أدور فيه نحو الخارج، كانوا هم يدورون نحو الداخل، نظراً لفارق الانحناء، في الليل، حينما كنا نخرج بمجموعة مكونة من أربعة كلٌّ حسب دوره، كانوا يراقبونني بواسطة «بروجكتُر»، وهكذا كانت تدور الفصول، كبر الأولاد، وحالات طمث بتومين Ptomaïne أصبحت أكثر شحوباً، والعجائز تقول بعضُهنّ لبعضِهنّ الآخر، أنا منْ سيدفنك، أنتَ من سوف يدفنني، منذ أن كنتُ هنا، وهم لديهنّ موضوع للثرثرة، بل حتى للنقاش،

الموضوع القديم نفسه، وربما عقب مغادرتي تولّدت لديهنّ مصلحة، المصلحة القديمة ذاتها، هل بدا لهنّ الزمن أقلّ طولاً، ماذا لو ألقى له أحدهم بقطعة يأكلها؟ كلّا، كلّا، لا ينبغي إزعاجه، لم تكنْ لديهم الرغبة في كسر اندفاعي، نحوهم، لم يكنْ قابلاً للتمييز، هذه حقيقة معترف بها بالرغم من ذلك، هم الذين في العادة لا يردُّ أحدُهم على الآخر أبداً، أبواي، زوجتي، تلك التي اختارتني، فيما كان لديها غيري من العشاق، بعد بضعة مواسم ربيعية، وسوف يستسلم، أين أذهب لكي أضعه؟ تحت الأرض؟ ففي نهاية المطاف لن أكون إلّا تحت الأرض، ما الذي لديه حتى يتوقّف طيلة الوقت؟ أوه، كان دائماً على هذا النحو، منذ عرفناه وهو هكذا دائماً، دائماً ما يتوقف، أليس كذلك يا «جدّو»؟ نعم، لم يكنْ هادئاً أبداً، دائم التوقّف، تبعاً لماهود لم أصلْ أبداً، أيْ أنّهم جميعاً توفّوا مِن قَبْل، محمولين كلّ أحد عشر أو اثني عشر منهم في علبٍ تالفة، مع أنواع من التعذيب الفظيع، ولأني لم أتكيفْ مع صراخهم في البداية، ثم مع رائحتهم المُتحجِّرة، تراجعت على أعقابي، لكن لا ينبغي علينا استباق الأشياء، وإلّا لن نصل أبداً، من جانب آخر، هذا ليس أنا، من يدري قد يصل في يوم ما، بإيقاعه المُعتاد نفسه، لقد تباطأ، في إمكان المرء قول ذلك، ثم ذهب بسرعة، لعدة أشهر لم يكونوا يكترثون لساقي، ربما لم تكنْ معي عندما انطلقت، وإذا ما ألقينا له قطعة من الإسفنج، كلّا، كلّا، لا ينبغي إزعاجه، في المساء، بعد العشاء، وأثناء مراقبة زوجتي لي، كان الشيوخ يقصون حياتي على أطفال ناعسين، ذلك ما جعل الكوخ يسهر، تلك طريقة من طرق ماهود، إدخال الشهود المُستقلين كما يُقال، وباستناده على وجودي التاريخيّ، بعد التهام القطعة، أنشد الجميع الترتيلة، سالمين غانمين بين يدَي المسيح، على سبيل المثال، أو يا أيها المسيح، يا محبّ روحي، ضمّني إلى صدرك، على سبيل المثال، ثم ذهبوا إلى أسرتهم، ما عدا ذلك الذي جاء دوره في المراقبة، لم يكنْ الشيوخ دائماً على اتفاق بخصوصي، لكنهم كانوا متفقين بأني كنتُ رضيعاً جميلاً، وأقف على قدمي تماماً، خلال خمسة عشر يوماً أو ثلاثة

أسابيع، مع ذلك، كان رضيعاً جميلاً، هكذا كانت علاقاتهم تنتهي من دون أيّ تغيّر، غالباً ما كان أحد الأطفال مُغتنماً فرصة راحة ما أثناء السرد، وفي الوقت الذي يكون فيه والِدَاي سابحين في ذكرياتهم، منْ يرمي جملة الختام الجاهزة، بالرغم من ذلك كان رضيعاً جميلاً، ضحكٌ شفافٌ وبريء، يطلقه أولئك الذين لم يباغتهم النعاس بعد، وهم يحبون تلك الخاتمة السابقة لأوانها، والرواة أنفسهم، وقد تم اقتلاعهم بغتة من أفكارهم الكئيبة، لم يقدروا على منع أنفسهم من رسم ابتسامة، بعدها ينهض الجميع، ما عدا أمي التي أتعبتها وضعية الوقوف، وهم ينشدون، أيها المسيح الناعم، الهادئ العذب، على سبيل المثال، أو أيها المسيح، يا وحيدي، ويا كلّي، لتسمعني حين أناديك، مثلاً، هو أيضاً لا بدّ أنه كان رضيعاً جميلاً، حينئذ تواصل زوجتي القصص الأخيرة، لكي يحملوها إلى السرير، وها هو ثانية يتراجع على عقبيه، أو يشرع في حكّ نفسه، أو يقوم بحركة تماثل حركة السرطان لعشر دقائق، أو تعال بسرعة، إنه راكع، كان ذلك جديراً بأن يلقي عليه المرء نظرة بطبيعة الحال، كانوا ملتزمين تماماً بسؤاله إذا اقتربت بالرغم من كل شيء، أيْ إذا كنتُ إجمالاً قد تقدمت، لأنهم لم يكونوا راغبين، أيْ أولئك الذين لم يأخذهم النعاس بعد، من دون أن يحصلوا على طمأنة بأنّ قدمَيَّ لم تزلّا، كان بتوتو Ptoto قد هدّأه، من اللحظة الأولى التي تحركت فيها، كلّ شيء كان باتّاً، منذ الزمن الذي اقتربت فيه، من اللحظة التي لم ألبثْ فيها مستقراً، لم يكنْ ثَمَّة من قلق يُخشى منه، قُذِفت، إذ لم تكنْ هناك من أسباب تجعلني أبتعد فجأة، كما لا يتفق هذا مع طبيعتي، حينها تعانقوا جميعاً وتمنّى كلٌّ واحد منهم ليلة طيبة للآخرين، ثم انسحبوا، دائماً باستثناء ذلك الذي عليه القيام بالمراقبة، وإذا نادى عليهم أحدهم، يا والدي المسكين، كان يرغب في تشجيعي بصوت حيّ، لترابِطْ، يا كبيري، فهذا هو الشتاء الأخير، لكن نظراً لألمي، الألم الذي سببته لنفسي، منعه، بحجة أنه لم يحنْ الوقت بعد حتى أتلقّى الصدمة، لكن ما الذي كانت عليه مشاعري الخاصة في ذلك الوقت؟ كيف كنتُ أفكر؟ وبماذا؟ وضمن أيّ مواضع

أخلاقية كنت أتصارع؟ تلك هي النقطة، وهبتُ نفسي بكاملها، وأنا أستشهد هنا بماهود، لعملي، ودون أيّ همّ فيما الذي كان يكمن بالدقة، أو حتى تقريباً، على ماذا كان يقف؟ هذه هي الحركة التي وسمتني بدمغتها، ولأني لم أكنْ قادراً على فعل أيّ شيء بطريقة أخرى، كان الأمر يتعلق بالنسبة إليَّ بوسائلي التي لم تكفّ عن الانحطاط، إن هذا الإرغام وتلك الاستحالة تقريباً التي وجدت نفسي فيها لكي أبرّئ فيها ذمتي التي طوقتني بطريقة ميكانيكية، باستثناء ما يتعلق بصورة خاصة باللعبة الحرّة للفطنة والحساسية، جعلتْني أُشبه جواداً شائخاً، كدابّة أو ما يشبه بحيث ما عاد يحلم حتى بالإسطبل، والذي لم تعدْ لا غريزتُه ولا مراقبتُه قادرةً على إعطائه إشارةً بأنه يقترب أو يبتعد، سؤالٌ من بين أسئلة أخرى، كيف يمكن أن تكون حالة أشياء كهذه ممكنة لكنها لم تعدْ منذ زمن طويل تشغلني، إن هذه اللوحة المؤثرة لموقفي لا تزعجني، وحين أتذكّرها أتساءل في نفسي إذا لم أكنْ أنا منْ كان يتجوّل في الباحة، كما أكد لي ذلك ماهود، ولأن رصيدي من الخدر كان كبيراً، فغالباً ما استملته، من دون تحويل نفسي، بالرغم من ذلك، على تناول جرعة مميتة منه، فهذه قد تقطع عليَّ كل وظيفتي، مهما كانت، مع ذلك لاحظت واعتقدت بأنّي رأيت المنزل، لذا لم أعدْ أفكّر فيه، ولا في الكائنات العزيزة التي ملأته، أثناء الاضطراب المُتعاظم للانتظار، حدّ القرقعة، مع أنّه كان قريباً تماماً، على مسافة عصاً، لم أسرعْ الخطى، كان بمقدوري بلا شكّ القيام بذلك، لكن كان عليَّ تدبير أمري، إذا كنتُ راغباً في الوصول، لم أكنْ أتمسّك بهذا، غير أنّي كنتُ مُرغماً على القيام بأفضل ما يمكن، لأجل الوصول، هدف مرغوب، ولم يكنْ لديّ الوقت الوافر للتفكير به، الذهاب إلى الأمام، أسمّي هذا إلى الأمام، كنتُ دائماً أذهب إلى الأمام، ليس على خطٍّ مستقيم، أو على الأقلّ وفقاً للشكل الذي حُدد لي، ليس ثَمَّة من مكان في حياتي لشيء آخر، ماهود هو منْ يتكلّم دائماً، أنا لم أتوقّفْ أبداً، الوقفات التي قمتُ بها لا تُحسب، كان ذلك من أجل المواصلة، ولم أستخدمها لتأمّل ظرفي، ولكن بِدَلكِي بطريقةٍ أفضل، بمرهم هادئ،

على سبيل المثال، أو أخذ حقنة لودنوم Laudanum [1]، وهي عمليات معقدة بالنسبة لذلك الذي لم تبقَ لديه سوى ساقٍ واحدة، غالباً ما كانوا يقولون، إنه سقط، فيما كنت في الواقع قد مسحت نفسي طواعية، لكي أتخلّى عن عكّازي حتى تظلَّ يدَاي حرَّتَين لأجل الاهتمام بنفسي اهتماماً لائقاً، صحيح أنه صعب على صاحب الساق الواحدة الجلوس كما ينبغي على الأرض، ولا سيّما حين يكون الرأس ضعيفاً وعندما يلحّ الشيء وبقاء الساق رخوة، من كثرة عدم استعمالها، الأبسط هو التخلُّص من تلك العكازات ومن ثم انهيار المرء، ذلك ما فعلته، كان معهم الحق إذاً حين قالوا بأنه سقط، ولم يخدعوا أنفسهم كثيراً، حدث لي أيضاً أن سقطت، من دون رغبتي، لكن ليس غالباً، ليس في غالب الوقت، فشخص هرم ابن عجوز مثلي، مثلما تعرفون، لا يحدث له غالباً السقوط من دون رغبته، لأنه يترك نفسه تسقط في اللحظة المناسبة، في النهاية، سواء كنت واقفاً أو مُنبطحاً على الأرض، أغدق على نفسي العناية الضرورية، في انتظار أن يخفّ الألم، مترصّداً اللحظة التي أتمكّن فيها من الشروع ثانيةً في الحركة، توقَّفت، إذا شئتم، ولكن ليس على الطريقة التي تتصورونها، لقد توقَّف ثانيةً، ومن ثَمَّ لن يصل أبداً، حين دخلت تلك الدار، لو كان هذا قد حدث لي مرة، فسيكون ذلك لأجل الدوران ثانية، وبسرعة ما تني عن التعاظم، ومُتشنِّجة أكثر فأكثر، ككلبٍ مصابٍ بانقباض البطن، أو مُدَوَّد، قالباً الأثاث وسط عائلتي التي تحاول معانقتي إلى حين مُغادرتي، وأنا مقذوف كما بمنجنيق في اتجاهٍ آخر ينتهي بالتواءٍ عظيم، من دون أن أقول لهم مساء الخير، سيكون من الحتميّ عليَّ الالتفات ثانيةً نحو هذه القصّة، إذ ليس من المستحيل ألّا تنطوي على شيء من الصحة، ولأنه ربما لاحظ بأني ما زلت أشكّ، تغافل ماهود كأنه يترك شيئاً يسقط بالصدفة بأنّي لم أكنْ بساق واحدة وحسب، إنما فقدت إحدى ذراعَيَّ أيضاً، أمّا فيما يتعلّق بالعكّاز الموازيّ، يبدو أنه سيكون

1 – مستحضر منوّم يُعَدُّ من كحول الأفيون – المترجم

مكتبة
t.me/t_pdf

بمقدوري استعمال ما بقي لي من إبطي للإمساك بها تحته واستخدامها، مُستعيناً بالقدم الوحيدة بغية تقديم بدايتها في كل مرة يكون فيها ذلك ضرورياً، لكن ما صدمني بعمق، هو أنّ ماهود قد ولّدَ في عقلي، بالطريقة الخرافية التي أخبرني بها، شكوكاً لا تُخترق، من خلال تلميحه لسوء الحظّ الذي لحق بعائلتي وجعلني أطّلع أولاً على ضوضاء منازعتهم للموت، ومن ثم الرائحة التي ندَّتْ عن الجثث، دفعني إلى التراجع، انطلاقاً من تلك اللحظة فصاعداً أصبحتُ غير قادر على متابعته، سأشرح لماذا، فهذا يدعني أفكر في شيء آخر وقبل كلّ شيء بالوسيلة التي تمكّنُني من اللحاق بنفسي ثانية، هناك حيث سأكون في انتظاري، مع أنّ لا رغبةَ لي أبداً في ذلك، غير أنّ فرصتي الوحيدة، هذا ما أعتقده على الأقل، الفرصة الوحيدة لكي أصمت، مع الكلام قليلاً من دون كذب، إذا كان ذلك ما يرغبون فيه، حتى لا يكون هناك كلام بعد، أسبابي، سأقدم منها ثلاثة أو أربعة، وسوف يكفيني هذا، أولاً عائلتي، مجرد أن تكون للمرء عائلة يجعلني أضع إبهامي في أذني، لكن حُسن نيتي كان من القوة بحيث، للحظة، ولرغبة في أن أجد نفسي مقهوراً، ولو لوقت قصير، حتى وإن كان ضعيفاً، في الخرطوم الواسع المتحرك الذي يبدأ من الكائنات الأولية حتى البشر الأكثر حداثة، لكن كلّا، بين هلالين ناقصين، أشرع من جديد، عائلتي، أولاً لم يكنْ لها أيّ دخل بما قمت به، لأني انطلقت من هذا المكان، ومن الطبيعيّ أن أعود إليه ثانية، نظراً لدقة ملاحظتي، كما كان بمقدور عائلتي الانتقال إلى مكان آخر أثناء غيابي، ولتسكن على بعد مئة ميل عن ذلك، من دون أن ترفَّ لي شعرة واحدة من دوّاماتي، أمّا فيما يتعلق بصرخات الوجع وآثار التفكُّك العفنة، إذا افترضنا بأني كنتُ قادراً على ملاحظتها، فالأمر قد بدا لي طبيعياً تماماً، بالطريقة التي عرفته بها، وإذا كان عليَّ التراجع في كل مرة أجد فيها نفسي أمام ظواهر كهذه، فلن أذهب بعيداً، أنا الذي لا يغسله المطر إلّا بطريقة سطحية، والذي كان رأسه، إن لم يكنْ فمه ممتلئاً بالتهوُّرات، قد فرض عليَّ أولاً التراجع مع نفسي، ففي نهاية الأمر قد يكون ذلك ما فعلته، وهذا ما

سيُفسر منهجي الحلقيّ تقريباً، أكاذيب، أكاذيب، لكن لتنطلق، وليأخذ الوباء كلّ عائلتي، لن أتعب من ترديد ذلك، وسوف أعترف به طواعية، لكن شرط ألّا يتأثّر سلوكي بذلك، لنلاحظ بالأحرى كيف حدثت الأشياء واقعياً، إذا كان ماهود صادقاً في ما يقول، لكن لم كان سيكذبُ عليَّ، هو الذي كان يرغب بقوّة التأكّد من تماسكي، وما هو الواقع، من وجهة النظر التي كانوا يتصّورونني من خلالها ربما، وحتى لا أتألّم ربما، لكنّي أنا هنا لكي أتألّم، وذلك ما لم يفهمه حسّادي أبداً، لقد رغبَ جميعهم في ذلك، تبعاً لتصوّراتهم المختلفة فيما بينها كفاية ينبغي عليَّ القول ما هو قابل للتحمّل، وبأنّي موجود مع أنّه ليس لديّ سوى الألم، وإلّا سيكون مُعتدلاً، أو على الأقلّ مُحدّداً، إنهم قتلوني حتى، لحدٍّ جَعَلَنِي أسمع، لأنّه لم يعدْ في إمكاني التحمل، كما لم يعدْ لديّ مصدر آخر سوى الاختفاء، لأنّي لم أعدْ قادراً بعد! كانت تلك لحظة ضرورية ينبغي عليَّ تحمُّلُها، بعدها سأكون مُتماسكاً حتّى الأبديّة، وأصابعي في أنفي، ما الذي ذهبوا نحوه لكي يعثروا فيه على ضربات قاسية! لكن ذروة القصص كانت تلك التي ادّعى فيها ماهود بأني كنت قد تخلّصت بحساب مضبوط من كومة من الدموييّن، إذا لم نتحدَّثْ عن هذين الغبيّين، أولهما الملعون الذي خذلني في هذا القرن والآخر، قمعيّ الشكل، الذي حاولت الانتقام منه، بتكراري، في الحقيقة، لنكن أقلّ صراحة، منذ فترة وأنا لا أعرف ماذا أقول، ذلك لأنّ عقلي في مكان آخر، لكن ها أنا بريء من التّهمة، ففي اللحظة التي يكون فيها عقل المرء في مكان آخر، كلّ شيء يُضحي مباحاً، لنواصل إذاً، بلا خشية، كأنه لم يحدثْ أيّ شيء، ولنرَ قليلاً كيف حدثت الأشياء واقعياً، إذا كان ماهود صادقاً، الذي قال عني بأني يتيم، ثم أرمل، بلا ورثة إلخ، إلخ... بدفعة واحدة، لديَّ الوقت لقذفه في الهواء، في هذه المرة التي يكفي فيها التنفس ليكون من حق المرء الاختناق، وسوف أتخلص منه ببراعة، ولن يكون الأمر مثل كل المرات السابقة، لكني لست راغباً في أن أكون غير عادل إزاء مَنْ يُشهّر بي، لأنني حين استدرتُ وغادرتُ ثانيةً في الاتجاه

الآخر، من دون أن أستنفدَ كل إمكانيات الاتجاه الذي أنا فيه هذا، لم يتخيَّلْ ولو لحظةً واحدة بأن ذلك كان نتيجة لضعفي الأخلاقيّ، كما رغبت في الإيحاء به، إنما مجرَّد هزّة فيزيائيّة، وتبعها تقزُّزٌ من النمط ذاته، بالتّوازي مع صرخات عائلتي التي كانت على وشك الانهيار مُرغمةً، وفي الغازات المُقيِّئة، وهذه الأخيرة أجبرتْني على الابتعاد بنفسي، وإلّا كنت فقدت وعيي تماماً، بعد تثبيت نسخة الأحداث هذه، لم يبقَ عليَّ سوى التأكّد من أنها لن تكون أغلى بكثير عن الأخرى وبأنها تجهل بدقّة ما هو المخلوق الذي كان من الممكن أن أكون عليه عند اقتضاء الأمر، لو كانت عرفت كيف تعاملني، لنلاحظ الآن كيف حدثت الأشياء في الواقع، لقد انتهوا، بعجالة، من العثور عليَّ في داخل المنزل ذي الشكل الدائري وهذا ما لا ينبغي علينا نسيانه، ذاك الذي لا يحتوي طابقه الأرضي إلّا على غرفة واحدة تطلُّ مباشرة على الحلبة، التي بدورها تنتهي فيها صَوَلاتي، وبالمراوحة فوق الآخرين الذين لا تعرفهم عائلتي، والذين غرزت في وجوههم، وبطونهم، رأس عكازيَّ، أثناء وصولي كما أثناء رحيلي، أن يُقال بأني حصلت من ذلك على قناعتي، سيكون لي بمنزلة الحقيقة، فهذا لا يعني بالنسبة إليّ أيّ شيء إذا وجدتُ نفسي أقف على أرضية غير صلبة، طيلة الوقت الذي أكون خلاله في حاجة إليها، لأجل تشنجاتي، أرضية قوية وخالية من العثرات، أحبّ التفكير، مع أني غير متأكد من هذا، فمن المنطقة السفلية لبطن أمي أنهيت، لأيام بأكملها، رحلتي الطويلة، وشرعت بالرحيل اللاحق، كلّا، هذان سِيّان لديّ، فصدر إيسولد Isolde كان كافياً للقيام بذلك، أو أجزاءٌ من أبي، أو واحدٌ من خلفي، لكن هل هذا مؤكّد؟ ألا يمكن أن يكون بالأحرى بأنّي، بقفزة استقلاليّة، بلعت كل ما تبقى من لحم البقر؟ كم عدد المرات التي تركتُ فيها نفسي تسقط خلال مراحل التقلّبات الجوية تلك؟ لكن لنترك كلّ ذلك، لم أكنْ أبداً في مكان آخر غير هذا، ولم يخرجني أيّ شخص من هنا أبداً، تكفي محاكاة الطفل، الذي لكثرة ما سمع بأنهم عثروا عليه في القرنبيط، ينتهي دائماً بتذكير نفسه بأيّة حديقة

خضروات كان؟ وما نوع الحياة التي كان يعيشها قبل مجيئه إلى العالم؟ لن أتكلم بعدُ عن الجسد والمسارات، من السماء ومن الأرض، فأنا لا أعرف ما هي، لقد قالوا لي ذلك، ووصفوا كيف حدث كلّ هذا، وما نفعه، ألف مرة، بعضهم بعد الآخر، بالتعابير الأشد تنوعاً، وبأكثرية مكتملة، إلى حد بدوت معه كأنّي على اطّلاع عليه حقّاً، سيقول من يسمعني بأني لم أرَ أيّ شيء أبداً، ولا شيءً سمعته من أصواتهم، والرجال أيضاً، ما الذي يفصّلونه لي عن البشر، حتى قبل أنْ يضمّوني معهم، كلّ ما أتكلّم عنه، وأتكلّم به، تعلّمته منهم، أقبل ذلك عن طيب خاطر، لكن لا نفع له، وهذا لا ينتهي، ما يجب أن أفعله الآن هو الكلام عن نفسي، وإن كان ذلك بلغتهم، سيكون هذا بمنزلة بداية، خطوة نحو الصمت، في اتجاه وضع حدٍّ للجنون، أن أكون مرغماً على الكلام ولا أقدر عليه، ما عدا الكلام عن أشياء لا تعنيني، ولا أهمية لها، ولا أؤمن بها، والتي لقّنوني إياها لمنعي عن قول من أنا، وأين أنا، والقيام بما يجب عليَّ القيام به بالطريقة الوحيدة التي تضع له نهاية، وفعل ما ينبغي عليَّ فعله، ليس عليهم أن يحبّوني، آه إنهم نظموني بشكل جيد، لكنهم لم يقبضوا عليَّ، ليس تماماً، ليس بعد، عليَّ أن أكون شاهدهم، حتى موتي، كأن بمقدور المرء لعب لعبة كهذه، ذاك ما يريدون منّي القيام به، ألّا أكون قادراً على فتح فمي من دون الادّعاء بهم، بصفة التجانس، ذلك ما كانوا يعتقدون بأنهم اختزلوني إلى مستواه، ألصقوا بي لغةً كانوا يتخيَّلون بأني لا أستطيع استخدامها أبداً من دون تكريس نفسي للاعتراف بأنّي من قبيلتهم، يا للحيلة الجميلة، سوف أرتّبها لهم، رطانتهم، التي لم أفهمْ منها يوماً أيّ شيء بالمناسبة، ولا من قصصهم المنقولة، كأنّها كلابٌ ميّتة، عجزي عن الامتصاص، وملكة النسيان لديَّ، قلّلوا من شأنهما، يا عديم الفهم يا عزيزي، أنا مدين لك لكوني أنا، في النهاية، قريباً لن يبقى شيء من حشوهم للجمجمة، سيكون أنا أوّل ما أتقيَّؤه في النهاية، ضمن عفونات صادحة عديمة الرائحة تتضوّر جوعاً، تنتهي بالغيبوبة، غيبوبة طويلة لذيذة، لكن منْ هم؟ هل يجدر بي حقاً القلق من ذلك، بما لديّ

من وسائل يا «جدّو»؟ كلّا، لكن هذا ليس سبباً كافياً، في عقر ديارهم، وبأسلحتهم الخاصة، سوف أكنسهم، ومعهم دميتهم الفاشلة، آثار لي، سأعثرُ عليها ربما في المناسبة نفسها، ذلك ما تقرَّر، لكن بأيّ حطام ينبغي البدء؟ شيءٌ مُثيرٌ للفضول، ما عادوا يزعجونني منذ مدّة، نعم، فكرة الزمن أيضاً ألحقوها بي، ما الذي يجب استخلاصه، وفقاً لمنهجهم؟ قتل المنهج نفسه، أيْ أنّ صوته يتواصل، لكنه لم يعدْ قابلاً للتجديد، هل يُقدّرونَ بأنه تمّ تقديمي كفاية سلفاً في التفاهات بحيث لن يكون بمقدوري أبداً اقتلاعُ نفسي منها ولا القيام بحركة لا تأثير لها في بثّ الحياة في الجصّ؟ لكن هنا، ودون تحرُّكي، سأكون قادراً على العيش، والإعلان عن وحدتي، لا أحد يسمعني سواي، صفاتهم، حمَّلوني إيّاها، وسحبتُها خلفي، مثلما يحدث في الكرنفال، في ظلّ الصواريخ، الآن حلّ وقتي للتظاهر بالموت، أنا الذي لم يعرفْ أحدٌ كيف يجعلُه يولد، وصَدَفَة المَسْخ التي ما انفكّت تؤويني سوف تتعفَّن، بيد أنّ ذلك يظلّ سؤالاً متعلّقاً تماماً بالصوت، وبأيّ مجازٍ آخر وسِخ، نفخوني بصوتهم، وأصبحت كالنفاخة، كان في إمكاني إفراغ نفسي، لكن صوتهم ما زلتُ أسمعه، منْ، هم؟ ولماذا لم يبقَ أيُّ شيء، منذ بعض الوقت؟ هل يمكن أن يكونوا قد تخلّوا عني، وهم يقولون، هذا ما يمكن فهمه، لم يبقَ أيّ شيء نسحبه منه، لا ينبغي الإصرار على ذلك، لا شيء خطير، آه لكنّها مجرد شبكة صوت إنساني مُجبر، لكي يدمدموا بما تخنقه إنسانيّاتهم، عبر النسيان الصغير، المقيّد، في السرّ، في التعذيب، وقفة صغيرة للمحكوم عليه بالعيش، المُستَعر بالقول ما الذي يعنيه واجب الاحتفال بالنفي، حذارِ، أوه! إنهم مطمئنون، أنا سجين إطنابهم، لن يعرف أحدٌ أبداً منْ أنا، ولن يُسمِعني أحدٌ قولَه، لكن لو قلته، لن أقوله، لن يكون بإمكاني، فما لديّ إلّا لغتهم هم، بلى، بلى، قد أقوله، حتى من خلال لغتهم هم، لنفسي، لكي لا أكون قد عشت عبثاً لأجل لا شيء، ثم حتى أتمكن من السكوت، إذا كان ذلك ما يعطي الحق بالصمت، لكن لا شيء أقلّ ضماناً من هذا، هم منْ يمسك بالصمت، هم

ذاتهم دائماً، فتيلة، فتيلة، ليكن، أنا لا أكترث بالصمت، سأقول منْ أنا، حتى لا أكون ولدت بلا نفع، سوف أرتب لهم خليط لغتهم، بعدها سأتكلم كيفما كان، كلّ ما يرغبون فيه، بغبطة، في مجرى الأبدية، بفلسفة في النهاية، سأقول أوّلاً ما ليس أنا، هكذا علّموني أنْ أنهج، ثمَّ مَنْ أنا، والذي قد تناولتُ جزءاً منه، وما عليَّ سوى إعادة تناول ما كان قد أفزعني ثانية، أنا لست - لكن هل ثَمَّة من داعٍ لقول هذا - أنا لست مورفي Murphy ، ولا واط Watt، ولا مرسييه Mercier، كلّا، ليست لدي رغبة في تسميتهم من جديد، ولا أحد من الآخرين الذين نسيتُ حتى أسماءهم، الذين قالوا لي مَنْ كنتُ، وما الذي حاولتُ أن أكونَه، بالقوّة، عن طريق الفزع، لكي لا أعرف نفسي، ولا أيّة علاقة، أنا لم أرغبْ أبداً، ولم أبحثْ، ولم أعانِ، لا شيء من كلّ هذا، ولم تكنْ لديَّ مواضيع أبداً، ولا خصوم أبداً، ولا إحساس أبداً، ولا رأس أبداً، هذه هي كلّ علاقاتي، من غير المجدي نكران ذلك، بغية السقوط على ما كنتُ أعرفه، شيء من السهل تماماً قوله، ولا يعني في العمق سوى الكلام ثانية ودائماً مثلما يتوقّعون أنْ أتكلّم، أيْ عنهم، حتى ولو لَعَنتهم، والتنكر لهم، هم موجودون ويزدادون شراسة إزاء رغبتهم في دفعي إلى قوله، هذا ممكن، وليس عليَّ معرفته، لا رأي لي، لو كانوا علّموني كيف أتمنى لتمنيت نعم، من المستحيل عليَّ تدبُّر حالي ما لم أسمِّهم، هم ومهاراتهم، هذا ما ينبغي وضعه بعين الاعتبار، من الأجدر سرد قصة ماهود كما هي، أيْ تقديمها، مثلما استلمتها باعتبارها قصتي، فكرة، حتى أنفّر أكثر، سأسردها، أثناء ذلك سأشتغل على ما بقي من عملي الخاص، منطلقاً ثانية من المكان الذي قطعتُه فيه، بالقوة، من الفزع، وعدم الأهلية، ستكون الأخيرة، سوف يبدو أنّي أُنجِزُها بطريقة مُتقنة، فهذا سيجعلهم ينامون، في حالة عزمهم على ترطيب ذاكرتي ثانيةً، بخصوص الطريقة التي أسلكها، هناك في الأعلى، في الجزيرة، وسط مواطنِيَّ، مَنْ يشاركونني الدين، المعاصرين والرفاق، خلال هذا الوقت سأرى ما عليَّ فعله، حتى أكون ظاهراً، ولن يروا سوى النار، لكن لنلاحظ أوّلاً من هم،

عصابة الأشقياء هؤلاء، الذين بعثهم الله كما يدّعون لأجل خيري، في الحقيقة -كلّا، القصة أولاً، لكي يصل ألم قلبي ذروته، الجزيرة، أنا في الجزيرة، لم أغادر الجزيرة أبداً، يا لي من بائس، اعتقدت بأني فهمتُ بأني سأقضي حياتي بالدوران من حول العالم، بطريقة حلزونية، خطأ، لم أكفّ عن اللفّ حول الجزيرة، لا أعرف أيّ شيء غيرها، الجزيرة وحدها، حتّى هي لم أكنْ أعرفها ، لأني لم أجرؤ يوماً على الاطّلاع في شأنها، عندما كنتُ أصل إلى الشاطئ، كنتُ أستدير ثانية، نحو الداخل، طريقي لم يكنْ لولبيّاً، طريقي، هنا أيضاً انخدعت، لكن على شكل حلقات غير نظامية، تارة مُباغتة وقصيرة، وكأنها رقصة الفالس، وتارة أخرى كبيرة كالقطع المُكافئ، ومحتضناً زوابع برمّتها، وتارة ثالثة ما بين الاثنين، في مكان ما، متمحورة بلا أيّ تغيير نحو اتجاه ما كيفما يكن، وفقاً لهلع اللحظة، لكن في تلك المرحلة التي أتحدث عنها كانت حيوية حياتي قد انتهت، فأنا لا أتحرك الآن ولن أتحرك أبداً، اللهم إلّا إذا ما وقعت تحت ضغط دافع ثالث، في الواقع، من المُسافر العظيم الذي كنت عليه، على ركبتي في الأوقات الأخيرة، ثم بالتسلق والدوران، لم يبقَ هناك سوى الجذع (في حالة يُرثى لها)، المُنتصب فوق رأسي الذي نعرفه، ذلك هو جزئي الذي فهمته أفضل وتمسكت بوصفه، ملدوغ، على طريقة الدبّور، في جرّة عميقة، تصل حوافها حتى فمي، في نهاية طريق قليل المارة على نهايات المسالخ، أخذت راحتي، في الأخير، حينما أدرتُ، لن أقول الرأس، ولكن العينان اللتان تتمتعان بملكة الدوران المستقلة، استطعت رؤية تمثالٍ مُوزِّع لحم الحصان، جَذْعٌ. كانت عيناه المُتحجِّرتان، الخاليتان من البؤبؤين قد ثبّتتا عليَّ، أصبحت أربعة، مع عينَي خالقي، والتي هي في كل مكان، لكن لا تظنّوا بأني على وشك امتداح نفسي، مع أني لم أكنْ مُلتزماً بالدقة بالقاعدة، تَسامحتْ معي الشرطة، فهي كانت تعرف، مع أنه كان من المستحيل عليَّ تفصيل الكلام، بأنني لم أستغل موقفي بلا إخلاص لتهييج الجماهير ضِدّ حُكّامهم، عبر الخطابات المُشتعلةِ في ساعات الازدحام أو بهمس

مفردات تدميرية، حين يحلّ الليل، للمارِّين السّكارى، كما أنها لم تكنْ تجهل بأني لم أقمْ، لعدم بقاء أيّ عضو لديَّ، ما عدا الذكريّ، بحركات يمكن تأويلها كشِحاذَة، وهي جنحة خفيفة عقابها العزل المؤقت، الواقع هو أنّني لم أضايقْ أحداً، إلّا إذا كان ينتمي إلى فئة مفرطي الحساسية الذين يرون فرصَ الفضيحة والتشهير في كل مكان، لكن المخاطرة قليلة، لأن هؤلاء أشخاص يتفادون المرور بالحيّ، خشية أن يشعروا بالضيق أمام مشهد بهائم لم ترَ في غالبيتها المدينة إلّا للمرَّة الأولى، وهي في طريقها إلى المجزرة، من زاوية النظر هذه تمَّ اختيار المدينة بطريقة موفَّقة، من وجهة نظري، لكن حتى أولئك الذين فقدوا توازنهم كفاية بحيث لن يشعروا بوقع نظرتي، أعني كانوا مضطربين، وتقلَّصتْ وقتياً قواهم في العمل وشهيَّتم في السعادة، ما كان عليهم سوى إلقاء نظرة عليَّ مرّة أخرى، من بين أولئك الذين كانوا يمتلكون القرار في ذلك، حتى تتمّ تهدئتهم مباشرة، لأن وجهي لم يكنْ يعكسُ سوى رضا ذلك الذي يستحق تذوُّق طعم الراحة، صحيح أن فمي كان أغلب الوقت كتوماً، وبؤبؤاي مغلقان، آه نعم، الماضي تارة وتارة أخرى الحاضر، وفريدة في حالتها جمجمتي بطبيعة الحال، مليئةٌ بالدُمّل والذباب الأزرق، الكثير بالضرورة في هذه السدود، ذلك ما جنبني أن أكون موضوعاً مرغوباً من بعضهم، ومناسبة للسّخط، وها أنا قد تموضعت، كما آمل، مرة في الأسبوع كانوا يخرجونني بوعائي، حتى أفرغه، هذه الخدمة تُليق بصاحبة الفندق المُقابل، وكانت تؤدّيها عن طيب خاطر، ومن دون أن تكون عابسة الوجه، بالرغم من أنها كانت تعاملني برقة باعتباري صغيراً قذراً، لأنها كانت تمتلك حديقة خضار، ودون أن تكون لي صلة بها، لم تكنْ غير عابئة بي، ذلك ما كان ملحوظاً، حتى قبل وضعي في مكاني كانت تستغل الفرصة التي يكون فيها فمي مفتوحاً لكي تلقمه طعاماً رخواً أو عظماً بالنّخاع، وحينما يهتاج الثلج، تأتي لتلقي فوقي غطاءً واقياً لا تنفذ عبره المياه في بعض مناطقه، هناك، في حماية دفءِ المَلجَأ، تعرفت على طيبة الدموع، بالرغم من تساؤلي

بفضل منْ، لأني لم أكنْ مُتأثراً، وهذا ليس مرة واحدة، لكن في كلّ مرة يغطونني فيها بالواقي، أيْ عدة مرات في العام الواحد، نعم، كان ذلك حتمياً، ما إنْ يُلْقَ فوقي الواقي، وما إنْ تتلاشَ الخطوات المُتسارعة لعاملة الخير لأجلي، حتى تشرع الدموع في الهطول، هل ينبغي، هل كان من الضروريّ التعرّف عبرها على علامات الشكر والامتنان؟ لكن في هذه الحالة ألم يكنْ في وسعي الشعور بعدم الامتنان؟ من جانب آخر، أدركت ذلك بغموض، لو كانت قد اهتمت بي بحكم الطيبة وحدها، أو فهمتُ خطأً ما هي الطيبة، حين فسروها لي، لا ينبغي النسيان أيضاً بأني كنتُ أمثل بالنسبة لها قيمة لا يمكن نكرانها، لأنه خارج الخدمات التي أقدمها لخضرواتها، شيدتُ لأجل بنايتها نوعاً من نقاط الدليل أو الإعلان، كما كنتُ أكثر فاعلية من مجرّد رجل كرتون، ذي كرش جانبي، إذا نظرنا إليه من الأمام، وبنحول مُخيِّب، ألّا تكون قد خدعتْ نفسها، ذلك ما يُستنتج من العناية التي أغدقتها على سُريجات الأعياد، ذات التأثير الجميل للغاية عند المساء، ولا سيّما في الليل، علبة بوصلتي، لقد نَصَبتْ هذه الأخيرة، كي يقرأها أيُّ عابر من دون مشقّة، على قاعدة، على حسابها الخاص، وهكذا تعلمت كيف أن حساء اللّفت لم يكنْ كالسابق، في المقابل ما يزال حساء الجزر أفضل مما كان عليه بمرور الزمن، لم يتبدّلْ العصير، هذه لغة أفهمها بالكاد، وهي أفكار واضحة وبسيطة يمكنني البناء عليها، ولا أطالب بأيّ غذاء ثقافي آخر، لفتة واحدة، أعرف تقريباً ما تشبهه، وجزرة أيضاً، ولا سيّما نصف الطويلة، من مدينة نانت Nante ظننت لبضع دقائق بأني أدركت ظلال المعنى بين ما هو سَيِّئ وبين ما هو أقلّ سوءاً، وإذا كان محتوى مفردات الأمس واليوم يفلت مني بالأحرى، فذلك لا ينقص أيّ شيء من لذة جمعي لما هو أساسي منه، فعن خضرواتها، على سبيل المثال، لم أسمعْ أبداً إلّا الخير، نعم، أنا أُمثل لديها نوعاً من رأس المال، وإذا كنتُ قد مُتّ فستكون، أنا متأكد من هذا، منزعجة، هذا ما يجعل مني ملجأً غالياً، يروق لي تخيل أنّه عندما تحين اللحظة الحتمية، أكون قد وفّيتُ دَيْنِي حيال الطبيعة، وسوف

تعارض أيّة إزالة للمزهرية القديمة من مكانها التي هي فيه الآن، والتي كنتُ أقضي فيها حاجاتي، وربما ستقوم بوضع بطيخة، في المكان الذي يظهر فيه اليوم جزء من رأسي، أو قرعة كبير، أو أناناسة كبيرة مع كتلة شعرها الصغيرة، أو أفضل من ذلك، لا أعرف لماذا، لفتة سويدية، كذكرى عنّي، وهكذا لن أختفي تماماً، مثلما يحدث لأولئك الذين يدفنونهم، لكن ليس لأجل الكلام عنها شرعت في الكذب، مرّة أخرى، دو نوبس إبيس سيلميوس De nobis ipis silemus (سنلتزم الصّمت فيما يخصّنا)، من الإيجابيّ أن يكون ذلك شعاري، لكن نعم، لقد أعطوني أيضاً درساً في لاتينية صغار الخنازير، كان ذلك طيباً، ينتشر فيه حنث المواعيد، لنلاحظ بأن الثلج وحده، مع أنه كان عنيفاً، أعطاني حق التغطية بالواقي، لأن أيّ شكل يتخذه تقلّب الجو لا يحرك فيها عاطفة الأمومة، لمصلحتي، حاولت جعلها تفهم، بصدم رأسي بعنف بفتحات القنينة، في اللحظة التي غطتني فيها، وقد قلّت حدة الثلج، أحببت أن أكون متخفياً في الغالب، وفي الوقت ذاته بدأ لعابي بالسيلان، كعلامة على عدم الرضا، لم تفهمْ أيّ شيء، أتساءل أيّ تفسير كان في إمكانها العثور عليه لتبرير سلوكها، لا بدّ أنها تحدثت عن هذا مع زوجها، ربما لكي تسمع نفسها وهي تقول بأني كنت ببساطة على وشك الاختناق، فيما كان الأمر على عكس ما كانت قد سمعته من نفسها، لنكن عادلين، انطلق كلانا من الخطأ، أنا في صنع الإشارات، وهي في تأويلها، لا تخدم هذه القصة أيّ شيء، أنا على وشك الاعتقاد بذلك تقريباً، لكن لننظر بأيّة طريقة يُفترض أن تكون خاتمتها، هذا ما سيُرتّب لي أفكاري، المُضجر هو أنّي نسيت ما يتبعها، لكن هل عرفته مرّة؟ أتساءل مع نفسي إن لم تكنْ قصتي قد توقفت هناك، ما إذا كان ماهود أوقفها هنا، قائلاً في نفسه، من يدري، ها أنت حيثما يجب أن تكون، لم تعدْ لديك حاجة بي، في الحقيقة، غالباً ما استخدموا هذه الطريقة، بتوقُّفهم فجأةً، عند أقلّ إشارة موافقة من جانبي، وتركي مُعلّقاً، بلا أيّ مصدر جديد غير الحياة التي بتَروها، فقط حين يرون بأني لا أستطيع تدبير حالي يشرعون ثانية في

الإمساك بخيط حظوظي العاثرة، ويحكمون عليَّ بأنه ما زال ينقصني شيء من الحيوية، لكي أقودهم وحدي، لكن بدلاً من القيام بالوصلة، كما أعتقد بأني أشرت إلى ذلك مرات عديدة، والشروع ثانيةً انطلاقاً من المكان الذي تركوني فيه، تلقَّفوني على مسافة أبعد من هذا، ومن جانب مختلف تماماً، ربما ضمن أمل جعلني أعتقد بأني قررت الفاصل وحدي، وعشت بلا أيّ مُعين، لفترة طويلة، من دون معرفة كيف أو التذكّر تحت أيّ ظروف، أو بأني متّ، وحدي تماماً، وعدت ثانية إلى الأرض، عن طريق الفرج ككل رضيع، وبلغتُ سنّ الرشد، وحتى سنّ التخريف، بلا أدنى مساعدة من جانبهم، بفضل التوجيهات التي زوّدوني بها وحدها، لكن تحميل حياة إنسان على ظهره، لم يكنْ من دون شك كافياً بالنسبة إليهم، بل عليَّ مسّ أجيال عديدة، بيد أن هذا غير مؤكد، كل ما قصّه عليَّ، ربما يعود هذا إلى وجود متفرِّد، وليس التباس الهويات إلّا ظاهرياً، يرجع إلى انعدام شهيتي بحملها، حينما أصل إلى الموت بوسائلي الخاصة، سوف يكونون في تلك اللحظة في وضع أفضل إزاء حكمهم إذا كنتُ جديراً بالكشف عن مرحلة أخرى، أو إعادة صنع المرحلة الحاضرة، في عقل مُجرّب أكبر، من هنا كنتُ حُرّاً في افتراض أنَّ وحيد الساق الأبترَ الذي تحدثت عنه قبل قليل من جذع السّمكة إلى رأسها، حيث أجد نفسي الآن عاطلاً، لا يشكّلان سوى جانبين من الغلاف الجسديّ ذاته، فيما تبقى الروح بشكل ملحوظ محميَّة من جانب الاستئصالات والرّضوض، بفقداني لساق واحدة، من المحتمل في الحقيقة أن أكون قد ضيعت الأخرى، والأمر ذاته بالنسبة إلى الذّراعين، نقلٌ بسيط في الواقع، لكن ما الذي يمكن قوله إزاء هذه الشيخوخة الأخرى التي ألحقوها بي، إذا لم تخنِّي ذاكرتي، ونضوج العمر الآخر هذا، الذي لا تعوزه لا سيقان ولا أذرع، بل مَلَكَةُ سحْبِ حصةٍ منه وحسب، وما نوع الفتوّة هذا الذي يقولون عنه بأنهم خلفوني فيه كأني ميّت؟ أنا لست في الأوراق الصغيرة، لا شكّ أنها قامت بكلّ ما يمكنها لتجعلني أرتاح منها، لكي تخرجني من هنا، تحت أيّة ذريعة، من خلال

أيّ عمل، ألومها فقط على إصرارها، لأنه بابتعادي عنها يبقى ما لا يبرّئ ذمتي إلّا إذا تخلّت هي عنّي، وأصبحت نفسي عديمة الاستعمال تقريباً، وأعادتها إليَّ، حينها سأشتغل في النهاية، وأقول مَنْ كنتُ، وأين، أثناء كل ذلك الزمن الضائع، لكن مَنْ ذلك الذي ينتظر مني هذا، إذا كان تخميني صحيحاً؟ ومَنْ همَ أولئك الآخرون، أصحاب الأهداف المختلفة؟ ومن ثم عليَّ لعب اللعبة عبر طرح الأسئلة، بالرغم من ذلك، في جرّتي، هل طرحت بعضاً منها؟ في الحلبة، كنتُ غالباً واقفاً ومتحرِّكاً، هل تساءلتُ مع نفسي؟ تقلّصتُ أكثر من الماضي، عندما كنتُ أعود ورأسي بين منكبَيَّ، كأن أحدهم وبّخني، كان بمقدوري الاختفاء، عمّا قريب، على الأرضية التي أصغُر فيها يوماً بعد آخر لو كان في إمكاني تحمُّل هذه المشقة، وعينَاي لم يعدْ يصعب عليَّ غلقهما، لكي لا أرى النهار بعد، لأن الجرة تسدُّهما، على بعد بضع بوصات، ما عليَّ سوى وضع جبهتي على الفتحة حتى لا ينعكس عليها النور الذي قدم من فوق، وفي الليل نور القمر، من خلال مراياها الصغيرة الجميلة الزرقاء، التي تطّلعت أحياناً عبرها لأرى نفسي، لأجل لذتهم، خطأ، خطأ، فذلك العناء وهذا الألم، سيكونان دائماً معي، لأنّ السيدة، حين لاحظت بتقزّز بأنّي أغوص أكثر فأكثر، شجّعتني، وذلك بملئها قاعَ الجرّة بالنشارة، التي تستبدلها كلّ أسبوع، عندما تنظّف حمَّامي، وهذا أقلّ قسوة من التّحفيز، لكنّه أقلّ سلامة أيضاً، الآن أعوّدُ نفسي على النشارة، هذه مشغلة، لأني لم أتحملْ يوماً السكون، حيث تتآكل القوى الإنسانية، والعينان أغلقهما وأفتحهما ثانية، سدّ وفتح، مثلما كان في الماضي، والرأس، أقحمه ثانية وأخرجه، دخول وخروج، كما في الأوقات السابقة، غالباً ما أعيد إدخاله عند الفجر، بعد أن تركته طيلة الليل في الخارج، وهذا ضمن نيّة مُحيرة، خشية احتقار السيدة ودفعها نحو الخطأ، لأن نظرتها الأولى، بعد أن أزاحت الستارة، بشيء من الضجة، كانت نظرتها التي ما زالت ندية من النعاس والشبق، لي، ولأنها لم ترني تحرّكت وعجّلت خطواتها، إنه واحد بين أمرين: إمّا إني خلّصت نفسي، أثناء الليل، أو تقلّصت أكثر من

السابق، لكن قبل أن يكون لديها الوقت الكافي للوصول إليَّ، ها أنا أعيد انتصاب رأسي بحيوية، كشيطان نابض، وعينَايَ جاحظتان ومصوَّبتان نحوها، لأني قادر على الحملقة أيضاً، أعرف كيف أغلقهما وأفتحهما ثانية، كما يمكنني جعلهما كبيرتين أو صغيرتين، يؤنسني ذلك، وإذا كان من المستحيل عليَّ إدارة رأسي، بسبب تصلّبٍ مُبكر في العنق، فهذا لا يعني بأنه مُستقطب دائماً إلى الاتجاه ذاته، لأنه بحكم كثرة هياجي، تمكنتُ من جعل جذعي يصلُ إلى درجة من دورانه التي أريدها، وفقاً لهذا الاتجاه أو ذاك، وهذه اللعبة الصغيرة التي أعتقد بأنها بريئة، كلفتني غالياً، أنا الذي ظننت بأني غير قابل للذوبان، في الحقيقة نحن نجهل ثرواتنا، قبل تضييعها، مما لا شكّ فيه ما زال لديّ بعضٌ منها، والتي ما عادت تنتظر سوى من ينهبها حتى تكون ملموسة لديّ، واليوم، إذا كنتُ ما أزال قادراً على غلقهما وفتحهما ثانية، كما في الماضي، في المقابل، لم أعدْ قادراً، بسبب طبيعتي اللَّعوبة، على إدخال الرأس وإخراجه، كما كان ذلك في الماضي الجميل، ذلك لأن سلسلة موضوعة إلى جانب الجارضة تشدُّ الآن عنقي، تحت الذقن مباشرة، وفمي، المخفيّ سابقاً، والذي غالباً ما ضغطته بسبب رطوبة الحُجرة، أصبح الآن في مستطاع الجميع رؤيته، لكن ينبغي القول أيضاً بأن هذا التحوّل لم يكنْ خالياً من بعض الامتيازات، التي لم أتمتعْ بها من قَبْل، ومن بينها القدرة على صيد الذباب، أختطفها، بلا سلاح، أوَما زالت لدي أسنان؟ أضاعت أعضاءها وبقيت الحشوة، أيّة مهزلة؟ غير أن ذلك يُدهشني، الذباب، ربما ليس مُغذّياً تماماً، ولا مذاقَ طيباً له، بيد أنَّ السؤال لا يكمن في هذه النقطة، إنما في مكان آخر، بعيداً عمّا هو نافع، أو جيّد، أصطاد أيضاً الفراشات في الليل، تلك التي اجتذبتْها الفوانيس الصغيرة، مع أنّها أكثر صعوبة، بيد أني لا أزال في بداياتي، فيما يتعلّق بهذه الممارسة الجديدة، كما أنّي لم أبلغْ بعد سقفي، الآن، ولكي نعود إلى الجانب المعتم من العمل، سأقول بأنّ تلك السلسلة، أو الحلقة، من الإسمنت، تُضايقني كثيراً، عندما ألتفت، أستغلها لكي أتعلم كيف أبقى هادئاً، أن يرى المرء دائماً أمام

عينيه، عندما يفتحهما، نظام الهلوسات الدقيق ذاته، بالنسبة إلى الكثير من الأشياء، لا بدّ أني عرفتُ أفراحها عبر هذا البصيص، في العمق ليس هناك ما يضايقني سوى شيء واحد، ألا وهو أفق القبض عليَّ، إذا واصلت الركض، الاختناق! أنا الذي كنت دائماً من نوع المُتنفسين، الدليل، بقاء قفصي الصدريّ، مع البطن، أنا الذي كان يُدمدم، عندما أفكر في ذلك، في كل استنشاق، وها هو الأوكسجين يدخلُ، عند الزفير، ها هي القذارات تغادر ويصبح الدم قرمزياً، والبشرة زرقاء، والدفع الفاحش للّسان، وورم الصنوبر، يا للعجب، لم أفكرْ في الصنوبر، أيّة خسارة، لم يعدْ لديَّ ذراعان، إذ ربما ما زال هناك شيء يمكن سحبه منه، كلّا، هكذا أفضل، في عمري هذا، إذا شرعت في ممارسة العادة السرية، لن يكون ذلك لائقاً، ثم إنّ هذا لا يمنح شيئاً، في الأخير، ما الذي أعرفه عنه؟ لشدة التقلّصات ذات الإيقاعات الملائمة، وأنا أفكر بكل قواي في مؤخّرة حصان، في اللحظة التي يرفع فيها ذيله، من يدري، قد أوفّق في الحصول على شيء ما، أيتها السّماء، يمكن القول بأن هذا بدأ يتحرك، هل يعني ذلك بأنهم لم يقطعوه لي؟ مع ذلك، يبدو لي أنّهم قطعوه، ربما أخلطه، مع غيره من الضّرر، بالمناسبة، لم يعدْ يتحرّك، سأركّز من جديد، عصاً طويلة، لننطلق، لننطلق، حركة جيدة، لنلاحظ، انتهينا من الموت، هذا أقلّ الأشياء، ففي النهاية المشاق التي تحمّلوها لكي تعيش، الشيء الأساسي تم إنجازه، قتلوك بما يكفي، انتحار كافٍ، لكي تتمكن من تدبير حالك وحدك، كولد كبير، ذاك ما أقوله لنفسي، وأضيف، مُنفلتاً، اخلعوا هذا السكون الخالد، لا مكان له، في هذا الوسط، لا يمكنها فعل كلّ شيء، لقد وضعوك على الطريق الصحيح، ومدُّوا لك أياديهم حتى الهاوية، الآن عليك أنت، بعد أن قمت بالخطوة الأخيرة بلا مُساعد، الاعتراف لهم بالجميل، أحبُّ هذه اللغة الملونة، وتلك التأنيبات ذات الوجه الصريح تماماً، عبر روائع الطبيعة، الشلل هو ما جلبوه، والآن لم يبقَ أيّ شيء يُعجَب به المرء، عليَّ أن أقفز، حتى أتمكن من قوله، وها أنا شخص آخر قد عاش، لا يبدو عليهم الشكّ بأنّي لم أكنْ أبداً هناك،

وهاتان العينان المضطربتان، والفم الفاغر بين الفكين لا تتحمل أيّ مديونيّة حيال خليج نابولي golfe de Naples، ولا لوبيرفلييه Aubervilliers، الخطوة الأخيرة، بماذا؟ أنا الذي لم يعرفْ القيام بالأولى أبداً، أو إنهم سيحسبون أنفسهم راضين إذا انتظرت ببساطة، أنْ تدفعني الرياح، هذا ما أحبه طواعية، وهو من جهتي، لكنهم هم أول مَنْ ينفد صبره، ذلك لأنه ليس ثَمَّة ريحٌ تتماسك، ولا بدّ من انهيار جرف الصخر، لو كنتُ ما أزال حيّاً في داخله، لأملت بسكتة قلبية أو بضعة كسور صغيرة، بشكل عام، يقضون عليَّ بالعصِيّ، لكي يبرهنوا للمسؤولين والمشاهدين، بأنّ بداية ما كانت لي، وما يتبعها، ثم بانتصاب قدمي فوق صدري، حيث لم يتغيَّرْ أيُّ شيء، بالنسبة إلى المتسكّعين، آه، لو رأيتموهم قبل خمسين عاماً، أيُّ نشاط، أيَّة حصافة! مع معرفتي بأنه ينبغي البدء ثانية بكل شيء، لكني قد أُبالغ بمدى حاجتي إليهم، أفرض على نفسي السكون، وأثناء ذلك أتحرك، زحزحتي على الأقل، هل يعوزني الفراش؟ لنرَ الرأس، يمكن للمرء القول بأنّ ثَمَّة شيئاً ما يتحرك فيه، من بعيد إلى بعيد، لا ينبغي إذاً اليأس من احتقان عصبيّ، ماذا بعد؟ أعضاء الهضم والتفريغ، مع أنها كسولة، تتحرك أحياناً، أُشهد على ذلك العنايات التي أشكل أنا موضوعها، شيء مُشجّع، كلّما كانت هناك الحياة، ثمّة أمل، الذباب، باعتباره عملاء خارجيّين، لا أتحدث عنه إلّا لأجل الذاكرة، يمكنه أن ينقل لي مرض التيفوئيد، كلّا، هذا ما تنقله الفئران، لمحتُ بعضاً منها، لكن كانت لديها مشاغل أخرى، دودة شريطية صغيرة؟ ما يضحك، وعلى أيّ حال، أرى بأني أحبطتُ نفسي كثيراً من دون مبالاة، ربما كنتُ قادراً على إشباعهن، غير أني بدأت سلفاً في ألّا أكون هناك، في هذا الدّرب الكارثيّ، الذي دفعوني كثيراً لرؤيته، كان بإمكاني وصفه، كان بمقدوري، قبل لحظة كأني كنتُ هناك، مثلما تمنّوا لي ذلك، مُختزَلاً بالتأكيد، إذ لم يبقَ لي زمن طويل، لكنّ عينَيَّ ما زالتا قادرتَين على ترك انطباع - وأُذُنٌ أيضاً، كافيةٌ، ورأسٌ مُطيع - عن طيب خاطر، على الأقلّ في إعطائي فكرة غامضة عمّا كان ينبغي عليه

عَزْلُه عن ذلك الديكور لكي يتحقق الفراغ والصمت، كان الأمر دائماً على هذا النحو، ففي اللحظة التي يكون فيها العالم مستقراً وما إنْ ألمحْ وسيلةً لمغادرته، حتى يتلاشى كل شيء، هذا المكان الذي تنتصب فيه جرّتي، فوق قاعدتها، مع إكليلها بفوانيسه مُتعددة الألوان، وأنا في الداخل، لن أراها، لأني لم أكنْ أعرف كيفية التعلق بها، أنا ربما، حتى نغيّر قليلاً، قد يضربونني بصاعق، أو بفأس، في أمسية عيد ما، ومن ثم يجري تغليفي بسرعة، لم يرني أحد أو يتعرّف عليَّ، في الكفن، وسيخطفونني بسرعة، يقتلعونني من هنا، للتنويع، ويطرحونني في مكان آخر، كيفما اتفق، وعند خروجي القادم، إذا خرجت في يوم ما، سيكون كلّ شيء جديداً، وسأجد كلّ شيء غريباً، لكني شيئاً فشيئاً سأعتاد، بمساعدتهم، على المكان، وعلى نفسي، وشيئاً فشيئاً ستظهر المشكلة القديمة، كيف أعيش، لدقيقة واحدة، سواء شابّاً أو شيخاً، بلا مُعين، من دون دليل، ومن حياتهم، كما ذكَّرني هذا بمحاولات أخرى، ضمن ظروف أخرى، سوف أستريح، من المساعدين، ومن المُصفّرين، من الأسئلة، كتلك التي طرحتها على نفسي للتوّ، عنّي، عنهم، عن طفرات الزمن، عن تحولات العمر، والوسائل التي يجب استخدامها لإنجاز عمل ناجح في النهاية، هناك حيث أخفقت دائماً، لكي يكونوا راضين، ويتركونني ربما هادئاً، وحرّاً في ما أقوم به بطريقتي، حتى أُرضي الآخر، ويتركني هادئاً، ويقدم لي وصلاً بذلك، وحقّ الراحة، والصمت، إذا كان ذلك يعتمد عليه، هذا معناه انتظار الكثير من مخلوق واحد، وشرطاً كبيراً يُفرض عليه في التظاهر أولاً كأنه لم يكنْ موجوداً، ثم كأنه كان موجوداً، وحقّه في الراحة هناك حيث تارة يكون وتارة أخرى لا يكون، أو يُصمِتُ اللغة التي تفرضُ مثل هذه التعابير، كذبتان، ثوبان رثّان لا بدّ من حملهما إلى النهاية، ومن ثمّ إخلاء سبيل المرء، وتركه وحيداً في اللّامُفكَّر فيه وما لا يُقال، حيث لم أكفَّ عن الوجود هناك، أو أنّهم لا يتركونني موجوداً، وقد يكون هذا أقلّ راحة مما تظاهرت التفكير فيه، وأكون أخيراً وحيداً فيه ، من دون المُزعجين، هذا غير متماسك، الراحة كلمة

تعود إليهم، ومفردة فكر أيضاً، ذلك ما كان عليه منحي، مثلما يبدو لي، فرصة للهذيان، قد يكون مؤسفاً السقوط على ما هو جديد، من دون أن أراه، وأن تتوقد شمعة أخرى، من دون علمي، نعم، أشعر بأنّ لحظة إلقاء نظرة إلى الخلف قد حانت، لو أستطيع، والإشراف على الوضع برمّته، إذا كنتُ راغباً في التقدم، فقط لو كنتُ أعرف ما أقول، أوه، أنا هادئ، ما كان ذلك ليكون سوى شيء واحد، ذاته دائماً، أنا لست من أولئك الذين يغامرون في تبديل الأغنية، ما عليَّ إلّا المواصلة، كأنه كان هناك ما ينبغي عمله، شيء ما قد بدأ، مكان بعينه يمكن الذهاب إليه، الكلّ يعود ثانية إلى مشغلة الكلمات، لا ينبغي نسيان ذلك، أنا لم أنسَه، لا بدّ أني قلته سابقاً، ما دمت أقوله، ينبغي عليَّ الكلام بطريقة بعينها، بنوع من الدفء ربما، كلّ شيء ممكن، أولاً عن ذلك الذي لم أكُنْه، كأنّي كنتُه، ومن ثم، كأني كنت هو، عن هذا الذي هو أنا، قبل أنْ أتمكن. إلخ... إنه سؤال يتعلّق بالأصوات، أصواتٌ يجب تمديدها، بطريقة جيّدة إلى أن تتوقف، قصدياً، حتى تبرهن لي، كالصّوت الذي يرغب حالياً في أنْ أكون حيّاً، الطريقة الجيّدة، الدفء، اليسر، الإيمان، كأنه صوتي أنا، وهو يقول لي كلمات، كلمات تقول لي إنّي في الحياة، ما دامت تريد أن أكون حيثما تقول، لا أعرف لماذا، مع بليونات أحيائها، وتريليونات موتاها، وهذا لا يكفيهن، بل يجب عليّ الذهاب أيضاً، وأنا في حالة تشنُّج ضئيل، إلى صرخة الطفل الوليد، لأنحب، لأضحك هازئاً وأدمدم بحبّ الجار ومنافع العقل، وها هي، الطريقة الجيدة، لا أعرفها، تلك اللّقطات الغبيّة أخذتُها بدقّة منهم، وتلك الدمدمة التي تخنقني، هم الذين حشوني بها، وهذا يخرج مثلما هو، عندما أتثاءب، هم من أسمع، ضمانات القفل القديمة هذه، حيث لا يمكنني تغيير أيّ شيء، ببغاء، لقد سقطوا على منقار ببغاء، لو كانوا قالوا لي ما كان عليَّ قوله، لكي يصادقوا عليَّ، كنتُ سأقوله بالضرورة، آجلاً أو عاجلاً، ثم ماذا! سيكون هذا غاية في السهولة، وقد لا يطاوعه القلب، إنّما على قلبي الخروج من فمي أيضاً، مُتلوِّياً وفق قَيءٍ من الكلمات المُنمّقةِ، حينئذ سأتّخذُ في النهاية مظهر

الاعتقاد بذلك، ولن تكون كلماتٍ ملقاةً في الهواء، في الأخير، لا ينبغي علينا فقدان الأمل، ربما قد أصلُ إليه، بطريقة ميكانيكية تماماً، لكثرة ما تركتُ فمي مفتوحاً ودمائي مبرومة، لكن الصوت الآخر، ذلك الذي لا يتمتع بالحماس نفسه في مملكة الحيوان، والذي ينتظر أخباري أنا، ما محتواه؟ وها أنا مرتبك، لأنه فيما يتعلق بي تحديداً، أنا أفهم نفسي، كما يبدو لي بأنهم لم يقولوا لي أيّ شيء ثانية، هل يمكن الحديث عن صوت ما، في هذه الظروف؟ كلّا من دون ريب، وبالرغم من ذلك هذا ما فعلته أنا، من جانب آخر، ينبغي إعادة النظر في قصّة الصوت هذه برمتها، تصحيحها، وتكذيبها، مع أنني لا أنتظر أيّ شيء، أجدني ضحية للمواصلات، لنُسَمِّ هذا أصواتاً، لِمَ لا في نهاية المطاف، ما دمنا نعرف بأنه لا شيء من ذلك؟ بيد أن هناك حدوداً، كما يبدو، لننتظرها، بثقة، لا شيء يعني إذاً، أيْ ليست هناك علاقة متواصلة، مناشدات ضعيفة، أكثر ما تكون، من بعيد إلى بعيد. فلتصغ لي، عُدْ إلى نفسك ثانية، هناك إذاً شيءٌ ما يُقال لي، لكنه يخلو من أيّة معلومات، ولو ضمنية، لكني غير قادر على تلقّي أيّة واحدة منها، ما دمت لست هناك، وذلك ما كنتُ أعرفه سلفاً، كذلك لم أغفلْ عن ملاحظة، في لحظة من الاستقبال الاستثنائي، أنّ تلك التعزيمات قد استعارت واسطة التنقل نفسها التي يستخدمها ماهود وجماعته، في تنقلاتهم، أيْ أنّ قولي سيكون مُنحرفاً لو قلت بأني كنتُ لا أزال آملاً، عبر هذه الكشوفات القادمة، قيمة ما، مُقارنة بتلك التي وضعوها في رؤوسهم، أقصد القائلة إنّه من الأفضل لي أن أكون موجوداً، بيد أنّ هذا الأمل الرقيق، قد عدت منه قبل قليل، إذا لم تخنّ ذاكرتي، عذابان بالمجمل، ربما ينبغي تمييزهما، كالمنجم مع المهنة، فيما يتعلق بالفزع الذي يتوجب عليَّ تقديمه، لكنه بائس من حيث المتعة، أو المصلحة، أنا، من هذا؟ محكوم بالأشغال الشاقة، يُلقي برأسه باتجاه نصب هرقل Hercule، الذي يقوم في الليل، بخديعة يقظة حارس المساجين الأزليين، ويرخي مجدافه بين المصاطب، في اتجاه الشرق، وينادي العاصفة، باستثناء أني ما عدتُ أنادي عليها، بلى، بلى، ما زلتُ

مُتوسِّلاً، سيمرّ عبري هذا، في الرحلة القادمة، فوق بحر الرّصاص هذا، أخلط بينه وبين الجنون الآخر، ذلك الذي يكمن في الرغبة في المعرفة، وإرادة المرء على تذكّر عيبه، لكن هنا لا يمكنهم أخذي، فذلك شيءٌ جيّد بالنسبة للتكاليف المشحونة بالإدانة، بعد قول هذا، لا ينبغي علينا التفكير فيه، ولا علينا التفكير في أيّ شيء، ولن نفكر بعد إلى الأبد، بعضٌ منهم حشود، وبعضهم الآخر فرادى، وعليهم وحدهم توسّلي، إنهم يتكلّمون اللغة نفسها، الوحيدة التي علّموني إياها، قالوا لي هناك العديد منه، أنا لستُ آسفاً عليهم، ففي اللحظة التي ينقطع فيها الصمت، بتلك الطريقة، لا يمكن أن يكون سوى شيء واحد، أنظمة، صلوات، تهديدات، مدائح، توبيخات، أسباب، مدائح، نعم تركتُ نفسي تقول بأنّي قمتُ بخطوات مُتقدمة، هذا حسنٌ، يا ولدي، سيكون ذلك كل شيء بالنسبة إلى اليوم، لتدخل في ليلك غداً، وهأنذا، بلحيتي البيضاء، وحتى وسط الأطفال أيضاً، أتكلم كما اتّفق، خشية أن يضربوني، سوف أموت وأنا في الصف السّادس، محمّلاً بالأعوام والمزامير، وقد أصبحت صغيراً ثانية، مثلما كنتُ حين كان لي مستقبل، وساقاي عاريتان، مرتدياً بلوزتي السوداء القديمة، مبلّلاً لباسي، ماهود طالب، للمرة الخامسة والعشرين ألفاً، ما هو حيوان الثدييّات هذا؟ وسأسقط متخشباً ميتاً، مُستهلكاً من الأصول، لكني أكون قد قمتُ بخطوات متقدمة، قالوا لي ذلك، فقط ليس كفاية، ليس كفايةً، آه، أين كنتُ منها، من واجباتي؟ أنسى، كان ذلك ضرورياً لتفتّحي، وعوز ذاكرتي، هذا صحيح، التلميذ ماهود، ردّد بعدي، الإنسان حيوان ثدييٌّ من النوع الراقي، لم أستطعْ، السؤال دائماً عن الثدييّات، في هذا المرعى، بيننا، لتعترفوا بذلك، ما الذي يمكن أن يكون تأثير ذلك عليه، على التلميذ ماهود، أن يكون الإنسان من هذا الفصيل أو ذاك؟ ففي النهاية ينبغي الافتراض بأن شيئاً لم يَضِعْ، ما دام هذا يسيل ببطء، متحرّراً بفضل الكوابيس، إنه الانفراط، سوف أدفع ثمنه، أرى ذلك من هنا، قبل أن أستيقظ، بسرعة، هاتوا لي أمّاً، حتّى أمصّها حدّ البياض، وأقرص ثدييها، غير أن هذا يحتم عليَّ

إعطاءه اسماً ما، لهذا المتوحّد، بغير كلماتي، ليس هناك خلاص، سأسمّيه إذاً «وورم» Worm، حان الوقت، وورم، لا أحب هذا، لكن ليس لديّ أيّ خيار، سيكون اسمي أنا أيضاً، بل وأرغب فيه، حين أكون قد كففت عن تسميتي بماهود، إذا بلغته يوماً، قبل ماهود، كان هناك آخرون مثله، من المُعتَقَد والجنس نفسه، ومسلحون بالمذراة الثلاثية نفسها، لكنّ وورم هو الأول من صنفه، يقولون هذا، لأنّي لا أعرفه، مُنهكاً، تخليت عن النهوض، ربما هو أيضاً سيتم إبداله، بعدما أكون قد وضعت نقاط الدليل، لم يحصلْ على الكلام بعد، البائس، أنه يُدمدم، ولم أنقطعْ عن سماع دمدمته، أثناء حديثه مع الآخرين، الوحيد الذي عاش بعد موتهم جميعاً، ماهود أيضاً، إذا كان ماهود غير موجود بعد، ما زلت أسمعه، الوفيّ، يتوسلني للتخفيف من لغة الأحياء الميتة هذه، ذلك ما أعتقد أنّي فهمته، بفضل النبرة، وهذا ما لا يتغيّر، إذا تمكنت من الصّمت سأفهم بشكل أفضل، ذلك ما يريده مني، ما يريد أن أكونه، وما يرغب في أن أقوله، ثم يرعد، في النهاية! لكن كلّا، عليَّ أن أصمت، وأن أتنفّس، لكن لا بدّ أني فهمت على سبيل الخطأ، إذ لو صمت ماهود فسوف يصمت وورم أيضاً، أن يطلبا منّي المستحيل، أتقبل ذلك طواعية، ما الذي لم يطلبوه منّي بعد؟ لكن العبث، أنا الذي قلّصوه إلى حدود العقل، صحيح أن المسكين ووورم لا دور له في ذلك، ما الذي عرفه عنه؟ لكن لننهِ فكرتنا، قبل التغوط فوقها، إذا كنت ماهود، فأنا وورم أيضاً، أو إذا لم أكنْ بعد وورم، سأكونه، حينما أكف عن أن أكون ماهود، لنذهب الآن نحو الأشياء الجدّية، كلّا، ليس بعد، حكاية أخرى عن أمّ ماهود ربما، لكي أنتهي من فظاظتي، كلّا لا داعي لذلك، فهذا سيخرج عندما تحين ساعته، القرص هنا دائماً، منذ الأزل، نعم، كلماتهم الضخمة يجب أن تخرج من هنا أيضاً، لكلّ وارد، مشكلة الحرية، سأعالجها أيضاً، موضوع مُتوقّع، لم يعدْ سبقاً، لكنّي ربما تعجّلت بجعلهما يتعارضان، هذان المحرضان الخائبان، ألا يكمن خطأ الأول في عدم قدرتي على أن أكون الثاني؟ إنهما متواطئان إذاً، تلك هي طريقة التفكير، ساخنة، أو هل ثَمَّة

ثالث لا يعرف الرقص على قدميه، أيْ أنا في النهاية منْ يُسند إليه هذا الإخفاق المزدوج؟ وجهي الحقيقيّ، هل سأراه في الأخير، تغمره ابتسامة؟ لديّ انطباع بأنّي سأعفى من هذا المشهد، ولا في لحظة واحدة كنتُ أعرف عمَّا أتكلم، أو منْ الذي أتكلم عنه، ولا متى، ولا أين، ولا بماذا، وما هو السبب، لكني ربما أحتاج إلى خمسين سجيناً لقضاء تلك الحاجة الكئيبة وسوف ينقصني دائماً الواحد والخمسون لغلق الأصفاد، هذا ما أعرفه، من دون معرفة ما معناه، الجوهريّ هو ألّا أصل أبداً إلى أيّ مكان، وألّا أكون في أيّ مكان، لا في بيت ماهود، ولا عند وورم، ولا في بيتي، وليس من المهم معرفةُ بأيّة وثيقة إعفاء، يكمن ما هو أساسي في تحريك القدمين دائماً حدّ النهاية، نهاية أوتارهما، ما دام هناك عيون، شواطئ وإله رياضي مُنهك في السماء، لكي يُرهق المخلوق، عبر أنذال مفروضين عليهما، أنا بلعتُ ثلاث صنارات دفعة واحدة وما زلت جائعاً، من هنا مصدر الضوضاء، آه كم هذا مريح أن يعرف المرء أين هو، وأين سيمكث، من دون أن يوجد، ليس هناك سوى أن ينشطر بهدوء، مع ملذات معرفته بأنه ليس أحداً، خسارة أن أكون طيلة هذا الوقت مُرغماً على العطاء من فمي، ذاك ما يمنع هطول الدّم منه براحته، وهو يقول نيم، نيم، على أيّ حال، لا يمكن للمرء الحصول على كلّ شيء، في الأزمنة ما قبل الأخيرة، سيقودونني في يوم ما إلى السطح، وذلك ما سيجعل الجميع متّفقين، على ما يلي، لم يكنْ هناك موجب لتحميل المرء نفسه هذه المشقّة، لأجل ضحية ضعيفة كهذه، أو لأجل قتلة تافهين إلى هذا الحدّ، أيّ صمت سيكون، والآن، دعُونا نقُوم بجولة حول وورم، سيفرحه ذلك، هذا العزيز القذر، سيرى ما إذا كان الآخر ما زال يراقبني دائماً، لكن حتى من دون هذا سيفشل، لن يقبض عليَّ، ولن يسلّمني له أحد، أتحدث عن وورم، أقسم على ذلك، فالآخر لم يمسكني، ولم يسلمني له أحد، في الماضي، وحتى الحاضر، أنا ذلك الذي لم يقبضوا عليه، ولن أسلّم له، والزاحف بين المصاطب، في اتجاه النهار الجديد الواعد بالروعة، المشدود بأحزمة النجدة، تلك التي تستدعي الغرق، الخط

الثالث يسقط مباشرة من الغيوم، بخيط من الرصاص، وهذا لأجل روحي، ستكون قد مرت فترة طويلة على تعليقي لها، لو كنت أعرف أين هي، وها نحن إذاً أربعة، إنه جزء مُربع، كنتُ أعرف ذلك، سنكون مئة بحيث سنحتاج إلى واحد لكي نكون مئة زائد واحد، سأفتقدنا دائماً، وورم، أو كما أميل لتسميته واط Watt، وورم، ما الذي يمكن قوله عن وورم، الذي لم يكلّف نفسه عناء الفهم؟ ما الذي يجب قوله له لكي يتوقف عن إشاعات العبث هذه، في دميتي المتحرّكة؟ ما الذي يمكنني قوله عنه ولم أقله عن الآخر؟ إنها فكرة، ربما هي رغبتي في أن أكون وورم هي التي ستجعلني أكون ماهود، حينئذ ليس عليَّ سوى أن أكون وورم، بلا شك قد أفلحُ في الوصول إلى هذا، إذا ما أجبرت نفسي على أن أكون تارتمبيون Tartempion، حينها لا ينبغي عليَّ سوى أن أكون تارتمبيون، قف هنا، ربما ستكون لديه من الرحمة حيالي، ويشفقُ عليَّ، ويتركني أتوقّف هنا، لن يكون الفجر ورديا دائماً، وورم، وورم، وتنطلق الباخرة، بنا نحن الثلاثة، من جانب آخر، يبدو لي أنه كان عليَّ سلفاً، على عكس ما بدا لي بأنه كان عليَّ قوله، بأنّي سأقوم ببعض المحاولات في هذا الاتجاه، كان عليَّ أخذ ملاحظات عن ذلك، على الأقلّ في رأسي، لكن وورم لا يمكنه تسجيل أيّة ملاحظات، وعلى أيّ حال، هذا هو التأكيد الأوّل، أعني نفياً، ما يمكننا البناء عليه، لا يستطيع وورم أخذ ملاحظات، ماهود يقدر عليها، ذلك هو الأمر، لنفتل، لنفتل، نعم، تلك هي خاصية (واحدة من بين أشياء أخرى) ماهود في أخذ ملاحظات، وإن لم يُوفّق في ذلك دائماً، فبعض الأشياء، ماذا أقول، كلّ الأشياء، بطريقة ما يمكن سحب جزء منها، حسب قاعدته، وبالفعل رأيناه وهو يقوم بذلك، في الباحة، وفي جرّته، بمعنى ما، كنتُ أعرف بأنه يكفيني الكلام عن وورم حتى أشرع في الحديث عن ماهود، بسعادة وفهم أكبر من السابق، فجأةً بدا لي قريباً، وهو ينظر بطريقة منحرفة نحو ميداليّات آكل لحوم الخيل دوكروا Decroix، إنها ساعة تناول مشروب فتح الشهية، وقد توقفنا سلفاً لكي نلقي نظرة على قائمة المأكولات، ساعة جذابة،

ولا سيّما حين تكون تلك، وهذا ما يحدث، ساعة الغروب، التي تمنح أشعتها، بعد كنسها لشارع أنفيلاد Enfilade، ظلاً لا نهاية له لتمثالي، وأنا أمتطي حصاناً فوق الجدول والرصيف، كنتُ قد نظرت إليه، عندما كنتُ أتمتّع بحرية أكبر في الاستدارة عما أنا عليه الآن، منذ وقفة القيد بالأصفاد، حينها كنتُ أعرف بأن رأسي يرقد هناك، ويمشون فوقه، وفوق ذباباتي، التي لم تتوقفْ عن التزحلق بطريقة جميلة، فوق الأرض، كما رأيت الناس تصعد نحوي، على طول ظلّي، تتبعه ظلال أخرى طويلة مُرتجفة ووفية، لأني أخلط أحياناً بيني وبين ظلي، وأحياناً أخرى كلّا، وتارة لا أخلط بيني وبين جرّتي، وتارة أجل، هذا يعتمد، على الكيفية التي نصير بها هلاليّين، وغالباً ما كنتُ أنجح في عدم التعثر، حتى اللحظة التي لم أعدْ أرى نفسي فيها، لأني لم أكنْ هناك، لحظة ممتعة حقاً، تُصادَف من حين إلى آخر، وذلك ما أشرتُ إليه سابقاً، مع مشروب فاتح الشهية، لكن هذه الغبطة، التي كنتُ سأحكم عليها من جانبي بأنها غير عدوانية، وتخلو من الخطر بالنسبة إلى الآخرين، أتغافل عنها، منذ أن صارت لي سلسلتي، التي تجعل وجهي مشدوداً نحو الحاجز، فوق ذقني بالضبط، لأنه كان من الضروريّ للزبون تشكيل وجبات طعامه، من دون تعريض نفسه للسّحق. اللّحم، في هذا الحيّ، يحظى بتثمين كبير، وكان بعضهم يأتي من بعيد، من مسافة بعيدة تماماً لأكله، بعد ذلك، يتزاحمون من أجل الذهاب، من العاشرة مساءً يغدو كلّ شيء صامتاً، كما في القبر، مثلما يُقال، وذلك ما يُستنتج من مراقباتي، المتراكمة بمرور السنوات العديدة والخاضعة بالتدرّج للاستقراء، هنا يقتلون ويأكلون، وجبة هذا المساء الكروش، إنها صحن شتائي، أو نصف الموسم، بعد قليل ستأتي مارغريت Marguerite لتنوّرني، إنها متأخرة، أكثر من عابر أَوْقَدَ سلفاً شهابَ زناده، من تحت أنفي، مدمدماً، لكي يرى بطريقة أفضل ما أسميته اليوم، لمزيد من الأناقة، بطاقة النهار، شرط ألّا يكون قد حدث لها شيء ما، مُحسنتي، لن أراها قادمة، ولن أسمع خطواتها، بسبب الثلوج، بقيتُ طيلة النهار تحت غطائي، في مطلع الفصل الميّت، صَنعتْ لي عشاً من

الخرق، مرصوصاً تماماً من حولي، لكي تسبق حالات البرودة المتوقعة، ناعم، أتساءل ما إذا كنت سترشّ هذا المساء جمجمتي برشاشها، تلك هي آخر اكتشافاتها، إذ لم تعدْ قادرة على تخيّل أيّ شيء جديد، لأجل العناية بي، كانت تودّ أن تتوقف دمّلي عن الرشح! إذا اضطربت الأرض، وقد يبتلعني المسلخ، عبر السياج، في عمق ثغرة ما بين كتلتي بناية، ظهرت لي السّماء، ثَمَّة قضيب حديدي جاء ليسدها، حين رغبت، إنه طرف صغير لسماء شمالية مُنخفضة، طويل ونحيل، لو كان بإمكاني رفع رأسي، فسوف أراه مُنبثقاً من القبّة الكبيرة للسماء، وماذا تضيف على هذه الدقائق؟ كانت الأمسية قد بدأت بالكاد، أعرف ذلك، يفضّل ألّا ننطلق الآن، كما لا ينبغي أن ننطق بوداعنا الأخير مرة وإلى الأبد ثانية، لهذه الركامات، وإذا ما تأملت في انتظار ولادة شيء ما عقلاني؟ هيا، لنجرب مرة، ثَمَّة فكرة حضرت مباشرة، ربما كنتُ مُخطأً لأني لم أتأمّلْ أغلب الوقت، لأقولها بسرعة، قبل أن تتلاشى، كيف يمكن للناس عدم ملاحظتي؟ إذ ليس هناك أحد غير مادلاين Madeleine قد أبصرت ذلك، مارّ مُتعجل، هارب أو يلاحق أحدهم، أدرك بأني أفلتُّ منه، لكن هؤلاء المتسكّعين الذين جاؤوني كي يسمعوا عذاب البهائم، والذين يبدو أنهم عاطلون عن العمل، هل يقومون بخطواتهم في انتظار شروع القتل؟ لكن هؤلاء الجياع، الذين فرضتهم لائحة الأكل، إن كان ذلك برضاهم أو عدمه، وجدوا أنفسهم تماماً أنفاً لأنف معي، أمام أنفاسي؟ وأولئك الأطفال الذين ذهبوا إلى المنطقة وعادوا منها، هل كانوا مُتلهّفين للتسلية؟ حتى بالنسبة للشخص الإنساني، الذي تمّ غسله للتوّ ووضعت له بضع شعيرات فوق رأسه، كما أعتقد، التفلسف بنجاح مثير للفضول، في الموقف الذي يكون فيه شخصي أنا، هل سيكون مردّ ذلك الحياء، الخشية من التسبّب في الألم، حتى يتظاهر المرء بتجاهل وجودي؟ بيد أن ذلك ينمّ عن عاطفة مُرهفة يصعب علينا إسنادها للكلاب، التي تأتي لتبول فوق منزلي، ودون أن يبدو عليها بأنها تخمّن أنّ هناك بشرة وعظاماً في داخله، مردّ ذلك إذاً أنّه لم تعدْ لديَّ رائحة أيضاً، مع ذلك، إذا ما كان

يتحتم على أحد أن تكون له رائحة، فهو أنا بالدقة، كيف يمكن لماهود، ضمن هذه الظروف، توقع كيفية سلوكي بطريقة عادية؟ يردّ الذباب نيابة عني، إذا شاء المرء، لكن إلى أيّة نقطة؟ ألا يتوقف بالشهية ذاتها فوق روث البقرة؟ كلّا، طالما لم أحصلْ بعد على توضيحات بخصوص هذا الموضوع، وإذا ما ميّزني آخر من غير مادلاين، سيكون من المستحيل عليَّ تصديق أنهم يحكون عنّي كفاية بغية متابعة عرضَيْن ولا سيّما أن هذه الشهادة التي أدّعيها، والتي دونها حتماً ستنهار المشاريع التي حدّدوها لي، إذ سأكون عمّا قريب عاجزاً عن إدراكها، لكثرة تقلّص ملكاتي، منذ وقت قصير، هنا لا شك أن مبدأ المبادلة هو الذي سيقودنا أبعد، لكن إذا متّ قريباً، بعد ترك الأشياء في أفضل حالة، وإن لم أكنْ قادراً على تصديق بأني في الحياة، ويجازونني على معرفتي بأني لم أكنْ مثلما تمنّوه لي، لأن ذلك قد حدث لي مرّات عديدة سابقاً، دون مكافأتي بإجازة للراحة، وسط ديدان الأرض، قبل انبعاثي ثانية، لكن ما الذي ما زال المستقبل يضمره لي هذه المرة؟ أن أنحدر نحو القبر الفاغر باعتباري كائناً حسّاساً ومُفكراً، وعلى أيّ حال هذا شيء ممتاز، إذ قد يمرّ سيّد ما في يوم، بعد أن يكون مرَّ على جميلته في اللحظة التي يكون فيها خناق الموت على وشك أن يقدّم لي لمحة أخيرة للجهاز الزمنيّ، ويلاحظ، بقوة بحيث لن أتمكن من سماعه، ويقول أنتم لا ترون بأن هذا الشخص ليس على ما يرام، لتنادوا على عربة الإسعاف! وهكذا بحجر واحد، إذا بدا كلّ شيء على وشك الشروع ثانية، أصيب الهدفين المحددين، سأكون ميتاً، لكني أكون قد عشت، إلّا إذا اعتبرناه ضحية للهلوسة، نعم سيكون من الواجب، لكي لا يبقى هناك أيّ شكّ، أن يكون لمستقبله الزمن الكافي للردّ عليه، هذا صحيح يا حبيبتي، يمكننا القول بأنه سيردّ، هناك سأكون مُسمَّراً، وسوف يولد في الأخير عند أول شهقة، أو في واحدة من يقظاته التي غالباً ما تطرد لسوء الحظ هيبة الوفاة، ماهود، كنتُ أعرف طبيباً يدّعي بأن الشهقة الفائقة، من وجهة النظر العلمية المحضة، لا يمكنها الخروج إلّا من الأساس، وإلى هذه الفتحة الأخيرة ينبغي على

العائلة تقديم المرآة، قبل فتح الوصية، ومهما يكن، ولكي لا ندخل في هذه التفاصيل الجنائزية، كنت قد خدعت نفسي كثيراً حينما افترضت بأن الموت في حدّ ذاته كان يُشكل علامة، أو حدساً حادّاً حتى، لمصلحة حياة قائمة سلفاً، وأنا من جانبي لم أعدْ أتمسك بمطلب مغادرة هذا العالم حيث يحاولون إقحامي بلا شهادة بأني كنتُ فيه مثلما ستقدمه لي ضربة على المؤخرة أو نكحة، ولا أهمية لطبيعة الانتباه، ما دمت لا أشكّ بأني كنتُ المؤلّف، كلّا، لن أتمسك به، لأني أعرف بأنه لا يقدم أيّة خدمة، ولا يُغيّر أيّ شيء، ولا يضع نهاية لأيّ شيء، لكن إذا شهد لي الثلثان، بموضوعية تامة، هنا، أمامي، وأنا أتكفل بالباقي، أن يكون كلّ شيء بسيطاً وواضحاً، حينما يفتح المرء عينه على الداخل، شرط أن يتمّ عرضه أولاً، بطبيعة الحال على الخارج، لكي يتمتع المرء من التناقض بأفضل طريقة، وقد ألومُ نفسي، مع أنّي لم أكنْ قادراً، فوق طريق جيّد كهذا، لأني لن أشرع عمّا قريب ثانية، آه كلّا حينئذ، ثم كفاني من عاهرة الشخص الأوّل، لأنّها أصبحت مُفرطة في الأخير، الأمر لا يتعلق بها، إذ سأجلب لنفسي الضجر، لكن الأمر لا يتعلّق بماهود أيضاً، لم يحنْ الوقت بعد، ولا حتى بوورم، آه، لا أهمية للضمير الشخصيّ، شرط ألّا نكون مخدوعين حياله، ثم نأخذه مطوياً، سنرى ذلك في وقت لاحق، أين وصلت؟ آه، نعم عند ملذّات الواضح والبسيط، لنحاول خلط المسكينة مادلاين معه، الطيّبة تماماً بالنسبة إلى مزيد من الاعتبارات، مزيد من الشّراسة لدى ملاحظتي، ما الذي يمنعني من اعتباره سبباً كافياً لحضوري الواقعيّ، في شارع برانسيون Brancion، يا لها من جزيرة مضحكة، كانت تخلصني من غوائطي البائسة كل أيام الآحاد، وتبني لي عشاً قبل قدوم الصّقيع، وتحميني من الثلج، وتبدّل لي نشارتي، وتنثر فوق رأسي المريض الملح، آمل ألّا أكون نسيتُ أيّ شيء، لو لم أكنْ هناك؟ هل كانت ستضع سلسلة في عنقي، وتقيمُ لي نصباً، مُزخرفاً بالفوانيس، دون التأكّد من مسألة ما إذا كنتُ أتحلّى بتماسك ما؟ كم سأكون سعيداً لو تمكّنت من إدراك مثل هذا الوضوح وتكون العدالة قد

استتبَّت، العدالة التي تحملها في النهاية، لسوء الحظ أنا أعتبرها من أكثرهنّ خضوعاً لضمانة ما، بل ولا يمكن استقبالها حتى، ما الذي يمكن التفكير فيه إزاء عناياتها بي، التي تضاعفت منذ بعض الوقت، إن لم تكنْ دليلاً على اضطراب عظيم؟ أيّ فارق مقارنة بهدوئها في الأوقات الأولى، حيث لم أكنْ أراها إلّا مرة واحدة في الأسبوع، لنقل ذلك بوضوح، هذه المرأة على وشك فقدان إيمانها، بي، إنها تحاول تأخير اللحظة التي ستعترف فيها في الأخير مع نفسها بأنها كانت تأتي في كل لحظة لكي ترى إن كنتُ لا أزال أتخيَّل قليلاً، في الساحة، كذلك فإن الإيمان بالله، ولنقل ذلك بتواضع شديد، يتمّ فقدانه أحياناً بعد مضاعفة حماس المراقبة، كما يبدو، هنا أسمح لنفسي بالتمييز (ما أفكرُ فيه دائماً)، أن يكون معبدي فعلاً هناك، لا أتخيل نكرانه، فذلك أمر لا يعنيني، مع أن الحضور في مثل هذا المكان، الذي لا أنوي التخاصم بشأن واقعيته أيضاً، وجرّته شديدة الاتّساع بحيث لا يصدقها المرء، من البساطة الكبيرة بناء معبد؛ أبسط من إنزال موضوع الإيمان فيه، لكني أخلط بين البرج وما يحيط به، هذا ما يؤدي إليه التمييز، لا أهمية لذلك، إنها تحبني، وشَعرتْ به دائماً، هي تحتاجني، كان بمقدورها التمتّع بمحلّ تجارة، وأن يكون لها حديقة، زوج، وربما أطفال، مع ذلك ثَمَّة فراغ فيها لا يمكن لغيري ملؤه، لا غرابة في الأمر، ضمن هذه الظروف، أن تكون لها رؤى، اعتقدتُ أني لمحتُ فيها، في لحظة بعينها، صلة قرابة عائلية، بي، أم، أخت، بنت، وما لا أدري ماذا، أو حتى زوجة على وشك حبسي، أيْ إن ماهود، حين رأى بأنه لم يكنْ مهتماً بقطعته الرئيسة، نفثَ في أذني هذه الفرضية، وأضاف، لم أقلْ أيّ شيء، من جانب آخر، إنها ليست خرقاء كما تبدو عليه، من الوهلة الأولى، بل إنها تنطوي على بعض الأمور الشاذة التي لم تصعقني، في لحظة بثّها، من بين تلك الأمور مسألة عدم وجودي في عيون أناسٍ غير مُنحازين، أيْ الجميع، لكن حتى لو اعترفنا بأنّهم اختاروا إخفائي عن الطريق العام، إذاً لماذا تحمّلوا عناء جعل رأسي عالياً كأنه مُثبت بدبوس بطريقة فنّية مُضاءة ما إن يقدم الليل؟

ستقولين لي، لا أهمية لاسم الضمير الشخصيّ، وبأن الحصيلة هي التي تُؤخذ بعين الاعتبار، شيء آخر، لم توجّه لي هذه المرأة الكلام أبداً، على حدّ علمي، حدثَ لي وقلت العكس، خدعتُ نفسي، وإذا حدث لي هذا فيما بعد، سأخدع نفسي، إلّا إذا كنت أخدع نفسي في هذه اللحظة، في الملف على أيّ حال، بالاستناد على أيّة أطروحة يفضلها المرء، ولا كلمة عاطفية واحدة أبداً، ولا توبيخ، ألِأنّها تخشى الإشارة نحوي للآخرين؟ أو تقضي على السراب؟ أختصر، يقترب اليوم الذي ستنكرني فيه، مُخلِّصتي الوحيدة، لم يحدثْ أيّ شيء، ما تزال الفوانيس منطفئة، هل كان المساء نفسه؟ ساعة العشاء مرّت ربما، كان يمكن لمارغريت القدوم، الرحيل، العودة ثانية، ثم الرحيل، كعادتها، ودون ملاحظتي لذلك، كان بمقدوري التوهُّج بكلّ نيراني، لحظة طيِّبة، من دون توقعي لها، وبالرغم من ذلك، ثَمَّة شيء ما تغيّر، لم يعدْ الليل كالعادة، لا لأني ما عدت أرى النجوم، فمن النادر ظهور نجمة هناك، في كوّة السماء الضيقة التي بإمكاني رؤيتها، ولا لأني ما عدت أرى أيّ شيء، ولا حتى بسبب الحاجز، فهذا غالباً ما حدث لي، كذلك ليس بسبب الصمت، فهي زاوية صامتة في الليل، وأنا نصف أطرش، هذه ليست المرة الأولى التي أرهف فيها الأذن عبثاً نحو ضوضاء الإسطبلات، فجأة سيصهل حصان، حينها سأعرف ما إذا تغيّر شيء ما، أو أرى فانوس الحارس وهو يمرّ في ساعة الركوع عند الباحة، يجب التمتّع بالصبر، إنّها باردة، في هذا الصباح هطل الثلج، لا أشعر بالبرودة فوق رأسي، ربما ما زلت تحت الواقي، أو ربّما وضعته فوقي ثانية، خوفاً منها ألّا يواصل الثلج النزول في الليل، أثناء تفكيري، لكن هذا الإحساس الذي أحبه بقوة، والواقي الثقيل فوق رأسي، فقدتهما، هل يمكن أن يكون رأسي قد غدا عديم الإحساس؟ هل تمت مهاجمتي، أثناء تفكيري؟ لا أعرف، سأصبر، ولا أطرح على نفسي أسئلة، سأكون حذراً، مرّت ساعات، لا بدّ أن النهار طلع ثانية، لا شيء قد تغيّر، لا أسمع أيّ شيء، ولا أرى أيّ شيء، لم يعدْ رأسي يشعر بأيّ شيء، وضعتهم أمام مسؤولياتهم، ربما كانوا قد أطلقوا

سراحي، لأنّ هذا الإحساس في أن أكون محبوساً تماماً، بحيث لا يمسّني أيّ شيء، هو إحساس جديد، كذلك لا تضغط النشارة على عصافيري، لم أعدْ أعرف أين أنتهي؟ غادرت، أمس، عالم ماهود، الشارع، والمطعم الحقير، مكان القتل، النصب، ومن خلال السياج، السماء كأنّها قلم لوحة، لن أصغي لصرخات البهائم، ولا طقطقة الشوكات والكؤوس، ولا شظايا صوت الجزارين الغاضبين، ولا صلوات الصحون والأسعار، ولن تكون هناك أيّة امرأة ترغب في أن أعيش، ولن يُعتم ظلّي المساء، انتهت قصص ماهود، فقد فهم بأنها لا يمكن أن تتوافق معي، لقد تخلّى، وأنا الرابح، مع أني حاولت أن أخسر، لكي يكون فرحاً ويتمتع بالسلام، أنا الرابح، هل حصلت على السلام؟ لن يجيبني أحد، إذ لا يبدو بأني سوف أصمت، من جانب ثانٍ، كل هذه الافتراضات مغلوطة بلا شك، قد يقذفون عليّ ثانية حزاماً بأفضل الأسلحة، عند قفزة عدد الأموات، لكن من الأحرى بمعرفة ما الذي على وشك الحدوث حتى أقدم تقريراً عنه، يتطابق مع وظيفتي، كما لا يجب نسيان بأني أحياناً أنساه، والأمر برمته يتعلق بالصوت، ما يحدثُ هو الكلمات، أقول ما قالوا لي أن أقوله، على أمل أن يُنهك منْ يكلمني، فقط أنا أقوله بطريقة سيِّئة، لأني لا أتمتع بأذن، ولا برأس، ولا بذاكرة، الآن أسمع نفسي تقول إنّ صوت وورم هو الذي يبدأ، أحوّل القصة، نحو ما تستحقه، هل يعتقدون بأني أظن أنا منْ يتكلم؟ هذا هم أيضاً، لكي يجعلوني أعتقد بأن لديّ أنا أناي ويمكنني الكلام عنها مثلما يفعلون هم، فخّ ثانٍ، لكي أعثر على نفسي بغتة، كررراك[1]، وسط الأحياء، إنها وسيلة سقوطهم إلى الأسفل، لأنهم فسروا لي ذلك بطريقة خاطئة، لن يتمكنوا أبداً من التغلب على حماقتي، لِمَ يكلمونني بمثل هذه الطريقة؟ ربما لأن بعض الأشياء تتغير أثناء مرورها بي، الأشياء المهمة، وبأنهم لا يستطيعون فعل أيّ شيء حيالها، هل يعتقدون بأنّي أصدّق أنني أنا مَنْ

1 - صوت انفصام - المترجم

يطرح هذه الأسئلة؟ هذا هُمْ أيضاً، مُشوهاً بعض الشيء ربّما، أنا لا أقول بأنه ليس المنهجَ الجيد، ولا أقول بأنهم لن يقبضوا عليَّ أبداً، ذلك ما أتمناه، لكي يقذفوني، الصيدُ هو المُتعِب، ذلك العواء الذي لا نهاية له، الصور، هل يتصورون أنه عبر الضغط على الصور سيتمكنون من إسقاطي في الفخّ، كالأمهات اللواتي ينفخن حتى لا يصاب الرضيع بالتهاب الكلية، هم، نعم، هم، كلهم الآن في حقيبة واحدة، على وورم لعب اللّعبة، يمرّر أحدهم يده نحوه، أتمنى له المزيد من اللذة، لنقل بأني اعتقدت بأنه مُعادٍ لما حاولوا قوله عني، خطوة في اتجاهي، يجعلني أكون هو، هو مناهض-ماهود anti-Mahood، حتى يقول لي بعدها مباشرة، لكن ما الذي أفعله أنا، سوى العيش، قليلاً من الحياة الوحيدة الممكنة، هذه هي الخدعة، أو عن طريق العبث يقنعني أن أكون، عبث عدم القدرة، لسوء الحظ لا يخدمني في شيء أن أكون على اطِّلاع مسبق، لو كنت أنا هو، لأنني لم أكنْ لوقت طويل، من ناحية أخرى، أتمنى له المزيد من النجاح، في مشروعه الجَسور، بل سأشترك معه حتى، مثلما فعلت مع ماهود وجماعته، في حدود ما أقدر عليه، لأنه ليس بإمكاني فعل شيء آخر، وأعرف إمكانياتي، وورم، أن يُقال لا أعرف منْ هو، أين هو، وماذا يحدث، سيكون قول الشيء القليل، ما يجهله، هو أنّ ثَمَّة شيئاً ما يمكن معرفته، حواسه لا تعلِّمه أيّ شيء، لا عنه هو، ولا عن الباقي، وهذا التمييز غريب عليه، مع أنه لا يحسّ بشيء، ولا يعرف أيّ شيء، هو موجود بالرغم من ذلك، ولكن ليس لأجله، لأجل البشر، فالبشر منْ يدركه ويقوله، ووورم هنا، ما دمنا ندركه، كأنه لا يمكن أن يكون ثَمَّة وجود إلّا مُدرَكاً، على الأقلّ من جانب ذلك الذي يقوده البشر، واحد، ثم الآخرون، واحد مستدير نحو كامل القدرة، كامل الجهل، يحوم حوله، وبعده الآخرون، نحو ذلك الذي يرغب أن يكون غذاءه، هو الجائع الذي لا شيء آخر لديه، ما دام يخلو من كل ما هو إنسانيّ، لا شيء عنده، ولا هو يساوي شيئاً، جاء إلى العالم من دون ولادة، ظلّ ينتمي إليه بغير عيش، ولا يأمل الموت، بؤرة الأفراح، الآلام، والهدوء،

لأننا لا نرى ما يتغير إلّا قليلاً، نظن بأننا نرى مزيداً من الواقع، ذلك الذي هو خارج الحياة ستكون له في النهاية الحياة الطويلة العبثية التي تريد منا ألّا نتوقف عن الوجود، ما الذي يستثنيه هيجان الكلام، وهيجان الفكر الذي يريد من المرء أن يعرف من هو، وما كان عليه، التّائه في الحلم، في الأعلى، تحت السماء، حينما يخرج من الليل، هذا الذي يجهل نفسه ويصمت، ما يجهله يُسكته، ولأنه لم يكنْ قادراً إلّا على إرغام نفسه، هذا الذي يحيط نفسه بذاك الذي يتعرف عليه، ويبعث له بالغمزة نفسها التي كان يبعثها دائماً، شكراً لهذه الأفكار الأوليّة، إنها مُشجّعة، ولم ينتهِ هذا بعد، هذا الذي يبحث عن وجهه الحقيقيّ، ليطمئن، سيعثر عليه، مُتشنّجاً من القلق، وعيناه جاحظتان، ذاك الذي يرغب أن يكون قد عاش، أثناء عيشه، ليهدأ، ستخبره الحياة كيف، تلك هي الطمأنات الجادة، يا وورم، لتكن وورم، سترى بأن ذلك مستحيل، أيّ قفاز من المخمل مُستهلك قليلاً من جانب الكتائب، بسبب شدة الارتطام، آه، لنتظاهر بأننا لا نرى في ذلك سوى الثريّات، وليبدأ التجهيز، انطلاقاً من هذا الرقم الذي عاد ثانية من كثرة المؤامرات، والمعروض برخاوة كأنه اليوم الأول، لكنه سؤال يتعلق بالصوت وحسب، وتُبعد كل صورة أخرى، أن يعبرني في النهاية، الطيب، الأخير، صوت ذلك الذي لا صوت له، باعترافه الشخصيّ، هل يصدقون بأنهم أناموني عبر إيضاحات الحنجرة؟ ما الذي بمقدور ذلك فعله لي، أن أنجح أو أخفق؟ المشروع لا يعود لي، إذا كانوا يرغبون في أن أنجح، سأفشل، مثل حكاية احتفظْ لي بهم خلف ظهرك، هل ثَمَّة كلمة واحدة تعود لي في كل ما قلته؟ كلّا، لا صوت لديَّ، في هذا الفصل لم يبقَ عندي صوت، هذا واحد من أسباب العقل التي جعلتني أمتزج مع وورم، لكني دون صواب raison، لا للعقل، أنا كوورم، بلا صوت ولا عقل، أنا وورم، كلّا، لو كنتُ وورم، لن أعرف ذلك، ولن أقوله، لن أقول أيّ شيء، ولن أعرف أيّ شيء، سأكون وورم، لكني لا أقول شيئاً، لا أعرف شيئاً، تلك الأصوات لا تعود لي، ولا هذه الأفكار، إنما أعداء يقطنونني، ويجعلونني أقول ليس بإمكاني أن أكون وورم،

الحصين، الأفكار التي تجعلني أقول ربما كنتُ هو، مثلهم هم، التي تجعلني أقول، لأنه لا يمكنني أن أكون، عليه أن أكون، لأني لم أستطعْ أن أكون ماهود مثلما كان عليَّ أن أكونه، سأكون وورم، أيْ لن يكون بمقدوري أن أكونه، لكن هل هم الذين يقولون دائماً، ربّما لأني فشلت في أن أكون وورم، سأكون ماهود، في الإدارة، بطريقة غير مباشرة، كأني، مع صمت قصير، وكأني أصبحتُ كبيراً لكي أفهم بالتلميح، بعض الأشياء، لكن كلّا، ما زلت في حاجة إلى تفسيرات، عن كل شيء، مع ذلك، لا أفهم، وبهذه الطريقة أثرتُ حفيظتهم، في النهاية، بحماقتي، هم من قال هذا، حتى يُنيموني، لكي أعتقد بأني أكثر حماقة مما أنا عليه، وهل هم أنفسهم منْ يقول، عندما أصبحت وورم، على عكس كلّ التوقّعات، سأكون في الأخير ماهود، وورم يكشف عن نفسه باعتباره ماهود، انطلاقاً من اللحظة التي يكون فيها؟ آه لو كانوا قد بدؤوا وحسب، لتركتهم يفعلون بي ما يشاؤون، وأن ينجحوا هذه المرة، حتى يفعلوا بي كل ما يرغبون، أنا على استعداد في أن أكون كلّ ما يبغون، لقد أُنهِكْت لكوني مادة، مادة، مُعَنَّفة دائماً عبثاً، أو في حرب منهكة، يتخلّون عني، ككومة، كومة بحيث لن يكون هناك أحد بالجنون الكافي كي يرغب في إعطائها شكلاً، لكنهم غير متفقين بينهم، مع أنّه كان في إمكانهم أن يكونوا على الحافّة، لم يعرفوا أين أنا، ولا كيف أنا، فأنا كالغبار، وهم يريدون فعل إنسان طيب من الغبار، وها هم منهكون وغير قادرين على الذهاب إلى حد العجز، هذا من أجل مرجحتي، لكي آتيه، وأيضاً حتى يبدو لي بأنهم يسمعونني أقول، أنا في النهاية، وجاء دوري في الأخير، لذلك لا يمكن أن يكونوا هم منْ يتكلم هكذا، آه، كما أتمنى العثور على صوت لي ضمن هذه الحفلة، التي ستكون نهاية لمشقّاتهم، ومشقّاتي أنا، لقد تكلمَ، يعتقدُ بأنه تكلم، وهو واحد منا، الآن علينا القيام كلنا باللفّ السريع، جميعنا، لهذا كانت هناك فترات صغيرة من الصمت، لكي أقطعها، إنهم يظنون بأني لا أتحمل الصمت، وبأن رعب الصمت سيرغمني في يوم ما على قطعه، كيفما يكون، ولهذا يصمتون في كلّ

لحظة، بغية دفعي إلى نهاية الشوط، لكنهم لا يجرؤون على الاحتفاظ بصمتهم لفترة طويلة، لأنه يمكن للعمل الانهيار، صحيح أني لا أحبها، هذه الثقوب الصغيرة التي ينحني عليها الجميع، وترقّب همّة إنسان ما، هذا ليس بالصمت، وإنما أفخاخ، ولا يمكنني الرغبة في أيّ شيء آخر سوى السقوط فيها، ومع إطلاقي لصرخة يمكن اعتبارها صرخة إنسانية، كالقرد المجروح، الأول والأخير، ثم يختفي، إلى الأبد، بعد أن خدعَ، لكنهم يجعلونني، في النهاية، أسند صوتاً ما لوورم، في لحظة مرح، قد أجعله، من يدري، مرحي، في لحظة التباس، وها هو الرهان قد شرعَ، لكنهم لن يبلغوه، هل تمكنوا من جعل ماهود يتكلم؟ يبدو لي كلّا، أعتقد بأنّ مورفي Murphy قد تكلم من حين إلى آخر، الآخرون ربما أيضاً، لا أتذكر، لكن بطريقة سيِّئة، كنتُ أرى المُقامِق[1]، أشعر بأن هذا سينطلق، لا بدّ أنهم كانوا يعتبرونني فظّاً كفاية، مع قصصهم عن الكينونة والوجود، نعم، الآن وقد نسيتُ من يكون وورم، كيف هو، أين هو، وما يفعله، سأشرع في أن أكون، كلّه بالأحرى ما عدا الكلام عن مرشحي معهد المعلمين في فرنسا، مكان ما بسرعة، دون منافذ، بلا مخرج، مكان مضمون، ليس كجنة عدن، ووورم في داخله، لا يشعر بأيّ شيء، لا يعرف أيّ شيء، لا يقدر على شيء، ولا يرغب في أيّ شيء، إلى أن يسمع هذه الضوضاء التي لن تتوقف، حينها ستكون الخاتمة، لم يعدْ وورم موجوداً، نعرف ذلك، لكننا لا نقوله، نقول هذه يقظة، بداية وورم، لأنه لا بدّ من الكلام، الآن ينبغي الكلام عن وورم، يجب التمكن من ذلك، لم يعدْ هو، لكن لنتظاهر بأنه هو دائماً، الذي ترتعش أذنه، لنسلمه إلى التعاسة، إلى وسائل تعزيمه، هو الذي عينه على المراصد، ورأسه في الألم، نعم، لنُسمِّ هذا وورم، حتى نتمكن من كتابتنا، من خلال مفردات الشعوذة، لكن ذلك ما زال جزءاً من الحياة، الحياة في كل مكان ودائماً، تلك التي يتحدث عنها الجميع، الوحيدة الممكنة، فوورم المسكين هذا،

---

1 - المتكلّم من بطنه - المترجم

الذي كان يعتقد بأنه واحد آخر، هو الذي لم يكنْ يؤمن بأيّ شيء، ها هو يبدو، إذا لم نخطئْ، يشبه المحكوم عليه بالحياة، أو يشبه معتوها، أين وصلت؟ تلك هي أولى أفكاري، بعد حياة من الإصغاء، ما هذا السؤال، الذي بقي من دون إجابة، سأقفز إلى أسئلة أخرى، من النوع الشخصيّ أكثر، في وقت متأخر تماماً، سأختم ربما، قبل بلوغ الإغماء ثانية، وذلك بالتعامل معي كحيّ، إذا تكلمنا من ناحية التقنية، لكن لن يشرع منهجياً، سأبذل أفضل ما لديَّ، كما هو الأمر دائماً، لعجزي عن القيام بشيء آخر، سأتركهم يفعلون بي، جثة أكثر من أيّ وقت مضى، مثلما تلقيتها، عن طريق الأذن، أو صرخة من خلال الشرج، بواسطة قمع، سأعيدها مثلما هي، الكلمات، عبر الفم، بكل نقائها، وفي النظام ذاته، بالقدر الذي أستطيع معه، التردّد الضعيف هذا، بين الوصول والمغادرة، وذلك التأخّر البسيط في التفريغ، جعلت منهما مشغلتي، ذلك كلّ ما بإمكاني فعله، بسكبة واحدة وها هي الحقيقة تجتاحني في النهاية، مع التحفّظ دائماً على ألّا يُزيّفوها ثانية، أصغي، مُتمهّلاً كفاية، أنا وورم، أيّ أنّي لم أعدْ هو، ما دمت أسمع فجأة، لكني سأنسى هذا، في دفء البؤس، سأنسى بأني لم أعدْ وورم، لكن نوعاً من توسانت لوفرتير Toussaint Louverture [1] من المنطقة العاشرة، التي يحسبون حسابها، يا وورم، أنا ألمح هذه الضجة التي لن تتوقف، مع توليدها لشيء من التنوع، في عمق ضجر لا اسم له، في نهاية لا أدري أية أزلية، التي لم يقولوا لي شيئاً عنها، لكني أتمتع بما يكفي من فطنة هائجة تجعلني أعرف بأنّه كان صوتاً في الطبيعة حيث يمكنني التفاخر بأني وضعت سلفاً قدمي فيها، هناك أنواع من الضجة أكثر إزعاجاً بطريقة أخرى، والتي لن تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم سماعها، بعد ذلك لتذهبوا وتحكوا بأني لا أتمتع باستعدادات أوليّة حيال الوضع الإنساني، أيّ طريق تمّ قطعه منذ سوء الحظ الأول، أيّ

1 – أحد أبرز قادة ثورة الزنوج ضد العبوديّة والاستعمار الفرنسيّ خلال القرن الثامن عشر – المترجم

أعصاب حيّة تمّ قلعها من البلاهة، وما يتصل بها من الفزع، ونار المخ، لقد استغرق ذلك زمناً طويلاً، كان طويلاً، للمسلوخ، لتنظيم نفسه، أوه، لا شيء، حماقة، المصير المشترك، مهزلة، حدّثوني عن الزهور، وانتهيت بشمها، هكذا يمرُّ هذا، بعد ذلك سوف يشدّدون على الأشواك، أيّ تنوع مذهل، وهذه الأخيرة، لا بدّ من الرجوع إليها لغرزها أكثر، مثلما حدث للمسيح المسكين، كلّا، أنا لستُ بحاجة إلى أحد، ستشرع بالدفع من مؤخرتي، وحدها تماماً، في اليوم الذي قد يتولد لديّ فيه شعورٌ بأني أطوف من فوق ظرفي، جرّة من الأشواك، في الهواء المُعطِّر، لأنه ليس علينا استباق الأمور، هناك منْ يحسدني، لأنه لا مهنة لديَّ، ولا واحدة، خذوا، ما زلت أجهل كيف أتنقل، لا محلّياً مقارنة بي، ولا بصورة عامة، مقارنة بالخراء، لا أعرف كيف أرغب فيه، لكني أريده عبثاً، ما لا يأتي منّي ما عليه سوى التوجه إلى مكان آخر، كذلك ملكة الفهم لديَّ، لم تصبحْ ناعمة بعدُ كي تشتغل بعيداً عن حالات الطوارئ المُتطرفة، كأنها ألمٌ عنيف يظهر للمرة الأولى، قضية تتعلّق بعلم الدّلالة، على سبيل المثال، الذي يمكنه تفعيل مسار الزمن، لكنه لن يتمكن من إيقافي، أترك للآخرين متعة التأمل اللّاشخصي الخالية من المصلحة، حيث يتمّ مسح الديمومة، أنا لا أفكر، إذاً ما كان هذا الجنون المدوّخ ككرة زنابير يجري تدخينها، يتجاوز حدّاً معيناً من الرعب، هل يعني هذا بأنّي أصبحت أقلّ عرضة، بفضل التعود؟ سيكون ذلك بمنزلة نقص في فهم مدى سعة نقاط الدليل الغارق أنا فيها والتي لا تمنح، كما يبدو، أيّ شيء من الجانب الذي ينتظرني، بعد الخروج من الرهبنة، هذه الأضواء، التي تلمع من بعيد، ثم تشبّ، تخفتُ وتتركز عليَّ، أضواء تعميني، وتبلعني، وما كلّ هذا إلّا مثال، كان باستطاعتي معرفتها، بيد أنها تمنحني ما ينبغي التفكير فيه، فحتى الوقت الحاضر وبلا انقطاع، وفي اللحظة الأخيرة، ما إن أبدأ بالاكفهرار، حتى تنطفئ، تُدخن وتصفر، على حدّ سواء، وبالتالي أكون قد فقدت هدوئي، وفي رأسي، الذي شرعتُ بالكاد في تحديد موقعه، هناك في الأعلى وعلى خط مستقيم تقريباً، تظهر الشّرارات ثم

تسقط ميتة من جديد، من فوق البوابات، أحياناً أقول في نفسي بأنّي أنا أيضاً في رأس ما، الرعبُ هو ما يجعلني أقول ذلك، والرغبة في أن أكون مُطمئناً، ومن كل جانب تحيط بي عظام سميكة، كما أضيف بأني على خطأ في ترك نفسي ترتعب من أفكار شخص آخر، يشطر سمائي من أشعتها المسالمة ويسندُ إليَّ إشاعات لا دلالة لها، لكن لكلّ شيء وقته، وفي الغالب الكلّ ينام، مثلما كان في ذلك الوقت الذي كنتُ فيه حقاً وورم، ما عدا هذا الصوت الذي يشوهني، الذي لا يتوقف أبداً، لكنه يتحول في الغالب إلى خليط ملتبس ومُتردّد، كأنه على وشك التنصّل، غير أن هذا ما هو إلّا لحظة ضعف، إلّا إذا ما كانت مقصودة، لتجعلني أتعلم كيف يكون الأمل، كان ذلك مضحكاً، مُستهلكاً مثلي، في بداية تلك الحقارة التي قادوني إليها، وتذكرت ثانية كيف كانت حالتي عندما كنتُ وورم، قبل أن يسلموني لهم، وذلك لكي يغروني بقوله، فأنا في النهاية وورم، كما حاولت تصديق بأنه كان في المكان نفسه الذي كنتُ فيه، غير أنّ هذا قد أخفق، لكنهم سيعثرون على وسيلة أخرى، أقلّ خطراً، حتى يجعلوني أقرُّ، أو أفعل كأني اعترفتُ، بأني أنا ذلك الذي يسمّونه، أو إنهم سينتظرون، واضعين في نظر الاعتبار التعب، والإلحاح الذي لم يتوقفْ، بغية جعلي أنسى تماماً ذلك الذي ما كان عليه أن يكون، مثلما جعلوني أكون، من دون الكلام عن أمس، ولا ذكر للغد، بالرغم من ذلك، بدا لي أنّي تذكرت، وبأنّي لن أنساه أبداً، كيف كنتُ، عندما كنتُ هو، قُبيل أن يغدو كلّ شيء غامضاً، لكن هذا مستحيل بطبيعة الحال، ما دام لم يكنْ في إمكان وورم معرفة كيف كان، ومنْ كان، هكذا يريدون أن يكون الحق معي، كما يبدو لي أيضاً، وهذا ما يُرثى له أكثر، بأنه في إمكاني أن أصيره، لو تركوني في سلام وحسب، رائع حقاً ذلك التحوّل، أتساءل ما إذا كان هذا سيؤدّي بنا إلى مكان ما، لو كان في إمكانهم التوقف عن الكلام الذي لا يقولون عبره أيّ شيء، في انتظار صمته كلياً، لا شيء؟ بعجلة تمّ قول ذلك، ليس أنا من يتوجّب عليه الحكم، بأيّة واسطة يمكنني الحكم؟ ما زال هذا تحريضاً، إنهم يسعون

إلى نفاد صبري، وأن أفقد فجأة سيطرتي على نفسي لكي أطلب مساعدتهم، كلّ هذا مُرقّع بخيط أبيض، أحياناً أقول في نفسي إنهم يلقّنونني، وورم يلقّنني، لا أهمية للشخص، وأنّ مُورِّديَّ عديدون، أربعة أو خمسة، مع ذلك، ليس هناك تناغم، ولا تناضد، إنه بالأحرى الفرد القذر نفسه الذي يتسلّى بالظهور كمتعدّد، بتبديله للسجل، للّهجة، للنّبرة والحماقة، إلّا إذا كان في الواقع كذلك، شصّاً صدِئاً وعارياً، سأوافق عليه ربّما، كلّ هذه قطع حلوى، غير أنّها كانت هناك أيضاً لحظات طويلة من الصّمت، من البعيد إلى الأبعد، لم أقلْ خلالها أيّ شيء، لأنّي ما عدت أسمع، أيْ عندما كنتُ أرهف السّمع كنت أنصت إلى نوع من الوشوشة، لكنّها لا تخصُّني، إنها لهم وحدهم، يتشاورون حولها من جديد، لا أسمع ما يقولونه، لكني أعرف فقط أنّهم هناك، وبأنهم لم ينتهوا بعد، مني، لقد تباعدوا بعضهم عن بعضهم الآخر قليلاً، إنّها أسرار، أو إذا لم يكنْ هناك سوى شخص واحد، سيكون هو، يتشاور مع نفسه، مُدمدماً، وهو يعضّ شاربه، ومن ثمّ ينجز قطعة كبيرة من الفواحش، أصغي عبر الأبواب، أنا، ما إن يحلّ الصمت! آه، لقد حدّدوا مرتبتي، لكن ذلك بغية ألّا يكون هناك أيّ أحد، بيد أن اللّحظة لم تحنْ بعد للحديث عن هذا، طيب، ما هي لحظة الكلام؟ عن وورم، في النهاية، طيب، ينبغي الصعود إلى الأعلى، لكي نبدأ، وحتى الوصول إلى أصوله، وعلى المقاصد المتواصلة، تتبعه، بصبر، من خلال المراحل المختلفة، والاهتمام بإظهار التسلسل الحتميّ، الذي صنع منّي ما أنا عليه، الكلّ في حركة واحدة مُتَشَيطِنة، بعد ذلك، أخذَ ملاحظاتٍ يوماً بعد آخر، إلى أن استسلم، ووضع نهاية لنشيد الحرب الصادح مع رقص الضحيّة، على طريقة صراخ الطفل الوليد، شرط ألّا تكون هناك بذور، يا ماهود، لم أعرفْ كيف أموت، يا وورم، هل ستستهلكني الطبيعة؟ إنها المشكلة ذاتها، لكن ربّما لن تكون مع الشخصية، في نهاية المطاف، سيخبرهم المستقبل بذلك، لأنّ ظهره قوي، لكن علينا دائماً الصعود، ثم نتدحرج، عكس هذا بالدقّة ما كان ينبغي قوله، لكن إذا كان من الضروريّ قول كلّ

ما يجب قوله، صعوداً، أو نزولاً، لا أهمية لذلك، فسأنهل من الأذن، إنها جيدة، في ما مضى كان ليل الأزمنة، لكن منذ ذلك الوقت، أيّ وضوح، وها أنا مُسمّر في كل الحالات، على أصولي، باعتباري شخصاً للنّقاش بطبيعة الحال، وليس ثَمَّة شيء آخر يُحسب حسابه، انطلاقاً من اللحظة التي نستطيع فيها القول، واحد آخر Un autre على الدرب، يصير كل شيء على ما يُرام، ما يزال أمامي ألف سنة ربما، لا أثر لذلك، إنّه على الطريق، بدأت بالتعرف على قسمات المكان، أتساءل في نفسي هل سيكون بمقدوري التسلّل عبر القاعدة، في صباح ما، وقت الفطور، كلّا، لا أستطيع التحرك، ليس بعد، تارة في رأس، وتارة أخرى في بطن، شيء غريب، وتارة ثالثة ليس في مكان بعينه، ربما يكون ثقب بوتال Botal، فيما ينبض ويتألم كل ما حولي، طعوم، طعوم، هل سيكون لي صديق، من بينهم، يهزّ رأسه بكآبة، ولا يقول أيّ شيء، من حين إلى حين، دعونا، دعونا، يمكن للمرء أن يكون قبل أن يبدأ، هذا يتمسكون به، وعلى الأصول القدوم معه، هذه الأزمنة التي تركض، تعدو على الفرس، هي ذاتها النائمة، نفسها، وهذا الصمت الذي ينبحون عبثاً ضده، والذي سيستعيد عافيته في يوم ما، هو نفسه كما في الماضي، مخدوشٌ قليلاً، يمكن قول هذا، أثناء عبوره، مفهومة لديَّ تلك الكلمات المليئة بالظلال، وأنا أيضاً ذلك السلف الذي لا يمكن التفكير فيه، ولا قول أيّ شيء عنه، ربما سأتكلّم عن هذا، وعن الأزمنة غير القابلة للاختراق حيثُ كنتُ هو، حينما يتمّ قتلهم هم، الذين كانوا مقتنعين بأنّي لن أولد أبداً مرة ثانية، وذلك لخطئي بتركي لهم يتصوّرون، نعم، ربما أتحدّث عنه، للحظة، كأنه صدىً، ساخر، قبل أن ألتحق به، ذلك الذي لم يعرفوا كيف يفصلوني عنه، من جانب آخر، ها هو الضعف سلفاً، ذلك ما يشعر به المرء، لكنّ ذلك تظاهرٌ، حتى أُثار بالخطأ، هكذا هو الأمر لديهم، ومن ثَمَّ سأقبل، تحت تأثير الحزن، عباراتهم، حتى أحصل على سلام أعرج، لكن ليس بمقدوري أنا القيام بأيّ شيء، ذلك ما يتظاهرون بنسيانه في كل لحظة، لا أقدر على الإثارة ولا يمكنني أن أكون كئيباً، كما كان في إمكانهم

تفسيرهم لي كيفيّة حدوث الأمر، وضمن أيّ ظروف، لكني لم أفهمْ أيّ شيء، ومن خلال أيّة عبارات؟ لا أعرف ما الذي يريدونه، قلته، لكني لا أعرفه، أنا أبثّ أصواتاً، بطريقة أفضل من الفضيلة كما يبدو لي، إذا لم يكفهم ذلك، لن أستطيع فعل أيّ شيء، إذا تكلّمت عن رأس، في ما يتعلق بي، فذلك لأني أسمع منْ يتكلّمون، لكن يكفي ترديد الشيء نفسه، إنّهم يأملون أن يتغير هذا في يوم ما، وذلك ما هو عادي، وإذا دفعوني فوق أنبوب التنفس أو أيّ مكان من مسار المقذوف، ستكون لديَّ دمّلة جميلة وفكرة ما في داخلها، نقطة انطلاق لتعفّن مُعمّم، وذلك ما سيسمح لي بالمرح كأيّ شخص آخر، لمعرفته بالسبب، وعمّا قريب لن أكون سوى جدول قروح يجرف الصّدأ النّافع للعقل، آه، لو كنت في جسدي، مثلما يريدون تصديقه، لن أقول، وربما هذ ليس من الحماقة كما يبدو، فكرتهم الصغيرة، يقولون بأنّ لديّ ألم، على غرار الجسد المُفكّر، لكني لا أحسّ بأيّ شيء، يا ماهود، لقد أحسست قليلاً، للحظات، لكن هل تقدَّموا جرَّاء ذلك؟ كلّا، سيكون من الأفضل لهم البحث عن شيء آخر، شعرتُ بالإرهاق، بالذباب، بالنشارة تحت جزئي المقطوع، بالواقي فوق جمجمتي، في اللحظة التي أخبروني فيها عنه، لكن هل هذه حياة، تلك التي يتبخّر فيها كلّ ذلك ما إن يمرّ المرء من موضوع إلى آخر؟ لا أرى لماذا لا تكون؟ لكن لا بدّ أنهم حَكَموا بِلاداً، إنهم يُعقّدون الأمور للغاية، ويبالغون كثيراً بطلبهم، يريدون منّي التألّم في العنق، كبرهان مُخجل لا يُدحَض، وفي الوقت ذاته ينتظرون منّي الكلام عن السماء، يريدون أن أكون عارفاً، مع علمهم بأنّ عنقي يؤلمني، والذباب يلتهمني والسّماء عاجزة عن تغيير أيّ شيء هناك، ليجلدوني بلا توقف، وبلا نهاية، وبقسوة أكبر دائماً، كعادتهم، سأبدو في الأخير كأني أعرف على ماذا أتكئ، كما يمكنهم الاستراحة من حين إلى آخر، لكنّي سأواصل صرخاتي، لأنّهم أخبروني بذلك، قبل أن يشرعوا، من الضروريّ الصراخ، هل تسمع، وإلّا لن يكون هناك أيّ شيء، وحين يحزنني التعب في الأخير، أو الشيخوخة التي تجعلني عاجزاً، وحين

تتوقف صرخاتي، لأنّها تحتاج إلى ما يُغذّيها، حينئذ سيتمكّنون من الإعلان عن موتي، بكلّ ما يرفقه من المظاهر الشرعية، ولن تكون لي حاجة بالتحرّك كي يتكلّموا، واحد منهم يربّتُ على كتف الآخر، كأنّه يريد نفض الغبار عنه، بالأيدي الشائخة الناشفة نفسها، المُتعبةِ، لكنّه ما عاد يتحرك، سيكون ذلك غاية في البساطة، لا بدّ من السماء ولا أدري ماذا بعد، أنوار، أجهزة تنوير، عقل لثلاثة أشهر، ولعبة التعازي، لكن لنغلقْ هذين الهلالين، حتى نتمكّن من الإعلان، وبقلب غير مُثقَل، ونفتح هلالين لاحقين، الضوضاء، إلى أيّ مدى بقيت محض أذن؟ جواب، حتى اللحظة التي يتوقف فيها بقاؤها، مع أنها جميلة مقارنة بما سيأتي، فحلقات الأصوات المتنوعة هذه، التي هي ذاتها دائماً، والتي تعود بلا تأخّر، كافية لجعل رأس المرء يشيب، البراعم أولاً، قبل أن تكون ضخمة، صامتة، ثم مُطفأة، عندما يحين دور العين، وأسوأ من الألم، مُغلّفة بالألم، لكن هنا ينبغي الانسياب، لا أهمية للجهاز، في اللحظة التي أصل فيها إلى القول، قبل فقداني للسمع، إنه صوت، وهو يُكلمني، وأتساءل، بتشجيعي لنفسي، إن لم يكنْ هو صوتي، لنقرّر، مهما كانت الطريقة، بأنّه ليس لديّ صوت، لنمرّ من البرودة إلى الدفء بطريقة سرّية، من المغليّ إلى المتجمّد، ذات التأثير الواحد، إنها نقطة انطلاق، ورحيل، وهم لا يرونني، لكنهم يسمعونني، لاهثاً، مُقيّداً، هم لا يعرفون بأني مُقيد، يعرف هو أن هذه ليست سوى كلمات، لكنّه لا يعرف ما إذا كانت هي ذاتها، هكذا بدأ الأمر، ولم يتوقفْ حياله أيّ شخص يسلك طريقه الجيّد، وفي يوم ما سيجعلها كلماته، ظنّاً منه بأنّه وحده، بعيداً عن الجميع، ولا يبلغه أيّ صوت، وسيأتي في اليوم الذي سيتكلّمون معه، نعم، أعرف بأنّها كلمات، ومضى الوقت الذي كنت أجهلها فيه، مثلما كنتُ أجهل دائماً بأنّها كلماتي، يمكنهم الأمل إذاً، لو كنتُ في مكانهم، لاكتفيت بمعرفة ما أعرفه، وقد لا أطلب أيّ شيء آخر سوى المعرفة، وما أسمعه، لم يكنْ تلك الضجّة البريئة للأشياء الصامتة عبر ضرورة البقاء، لكنها الثرثرة المُرعبة للمحكوم عليهم بالصمت، ستأخذني

الشفقة، وأعفي نفسي، ولن أستشرس بالكشف عن جلّادي الخاص، لكنهم قساة، شَرِهون، بالقدر الذي كانوا عليه، إن لم يكنْ أكثر، عندما جعلت نفسي ماهود، بدلاً من التّقليل من مطالباتهم، ذلك لأنني لم أقلْ شيئاً بعد، ما إن أمسكوا الثّرثرة عن أذني، حتّى سالت مباشرة من فمي، أو من الأذن الأخرى، كان ذلك ممكناً أيضاً، لا نفع من مضاعفة مناسبات الخطأ، ثقبان وأنا في وسطهما، مغلقاً قليلاً، أو واحداً، دخول وخروج، حيث تتزاحم الكلمات، كالنمل، المُتعجّل، غير المُكترث، الذي لا يجلب شيئاً، ولا يحمل أيّ شيء، ومن الضَّعف بحيث لا يستطيع الحفر، لن أقول بعدُ أنا، ولن أقولها أبداً، ذلك غاية في الغباء، سأضع في مكانه، في كل مرة أسمع فيها الشخص الثالث، إذا انتبهتُ لذلك، إذا كان هذا يُسليهم، كما لن يغيّر ذلك شيئاً، ليس هناك سواي، أنا غير الكائن، حيثما أكون، ومن الـــ، كلمات، يقول إنه يعرف بأنها كلمات، لكن كيف يمكنه معرفة ذلك، هو الذي لم يسمعْ أبداً شيئاً آخر، شيئاً مُفكَّراً فيه، لكن هذه الأنوار، التي تنطفئ وهي تصفّر؟ هذا صحيح، شيء آخر إضافة إلى ذلك، أشياء أخرى كثيرة، لسوء الحظّ كثافة عناصرها حالت من دون أبسط تلميح حتّى الوقت الحاضر، لنستشهد أولاً بنفثة ذلك الذي يهمّه الأمر، ها هو يتنفس، ولم يبقَ عليه سوى الاختناق، يتنفخ الصدر، يتقوقع، العمل المُستهلك طريق جديد، والكآبة ستعمّ من فوق إلى تحت، وعما قريب ستكون لديه ساقان، إمكانية التسلق، هذا مُزيف، لم يشرعْ بعد بالتنفس، ولن يتنفس أبداً، ما هذه الضجة الصغيرة إذاً، بنغمتها المُشتعلة بطريقة مزعجة، التي تذكر بنفثة الحياة، لدى أولئك المقروضين؟ هذا مثل سيِّئ وتلك الأنوار التي تصفر عند انطفائها؟ إنها بالأحرى ضحكة كبيرة تتزّ، في مشهد فزعه، وخيبته، أن يكون مغموراً بالضوء، ثم بغتة يغطس في الظلام، هذا يبدو لهم بمنزلة طرافة لا تُقاوم، لكن منذ الوقت الذي كانوا فيه هناك، في كلّ المحيط، تمكنوا من صنع ثقب في الحاجز، ثقب صغير، تُلصق عليه الأذن، كلّ بدوره، وتلك الأضواء ربما تكون الأضواء المُسلّطة عليه نفسها، من وقت إلى آخر،

لكي ينتبه للتقدم الذي أحرزه، لكن مسألة الأضواء هذه تحتاج إلى مُعالجة خاصّة، لأنها غاية في الغرابة، لوقت طويل، وبرأس مرتاح، حلّ الثلاثة والعشرون، ما الذي يجب استنتاجه؟ الضجة الوحيدة لوورم كانت ضجّة الأفواه، كلمات، تجشُّؤات، ضحكات، مصّات، رشّ لُعاب وسواها من الغرغرات المتنوعة؟ لنرَ، مع عدم نسيان أنين الهواء المطويّ تحت حمله، سوف يتعلّم، ذلك هو الجوهريّ، لكن في وقت لاحق ستهيج العاصفة فوق الأرض، وتغطّي فوراً التعبير الحرّ عن الآراء، سيعرف حول ماذا يدور الأمر، أيْ أنّها لن تكون نهاية العالم، كلّا، ففي المكان الذي يجد نفسه فيه لا يمكنه التعلّم، والرأس غير قادر على الحركة، ولن يعرف أكثر مما عرفه في اليوم الأول، لا يفعل سوى الإصغاء، التألم، ولا يفهم، بأنّ هذا ينبغي أن يكون ممكناً، وُضَعَ له رأس، انطلاقاً من الأذن، حتى يستشيط بطريقة أحسن، لا بدّ أن يكون ذلك هكذا، الرأس هناك، مُلتصق بالأذن، ومنطوٍ على الغضب وحده، ذلك كلّ ما هو جدير بالاهتمام، في هذه اللحظة، إنه محوّلٌ، تكون فيه الضوضاء ضاجّة ومُرعبة، وبلا معونة العقل، هذا كل ما هو ضروري، للحظة، وسوف ننشغل فيما بعد بتحريكها دائرياً، عندما نكون قد أخرجناها من هنا، لِمَ الصوت البشريّ في ظروف كهذه؟ وليس بالأحرى عواء ضباع أو ضربات معول؟ جواب، حتى لا يكون خائفاً أكثر، حينما سيرى التواء شفاه حقيقيّة، لديهم ردّ على جميع الأسئلة، فهم مع بعضهم، ثم إنّهم يحبّون الكلام، ويعرفون بأنه أسوَأ المناشير، بالنسبة لشخص غير مُطّلع، إنّهم عديدون، ويحيطون بالمكان كلّه، وربّما يرفعون أيديهم، سلسلة لا نهاية لها، يمسكون بحلقاتها، ويتكلّم كلّ منهم بدوره، ويستديرون على شكل دائرة، بطريقة مُوَقّعة، وهذا ما يجعل الكلام يَأتي دائماً من الجهة ذاتها، لكنهم في الغالب يتكلمون في آن معاً، يقولون كلهم في الوقت ذاته، الشيء ذاته بالدقة، لكن بمجموعة غاية في الكمال بحيث يمكن للمرء القول بأنّها صوت واحد، فم واحد، إذا عرفنا بأن الله وحده يمكنه أن يكون في كلّ مكان، في آن معاً، أحدهم، لكن

ليس وورم، الذي لا يقول أيّ شيء، لا يعرف أيّ شيء، أيضاً، وكل حسب دوره، يستغلون يهوذا الإسخريوطي[1]، الراغبين منهم، أثناء تكلّم أحدهم، ينظر الآخر، بلا شك نحو منْ سيتبعه، الذي ستكون ملاحظاته، في حال تحقّقها، غير خالية بالضرورة من علاقة بما كان قد رآه، في حالة تحقّقه، أيْ إذا كان ما رآه يُثير اهتمامه، بحيث يبدو له جديراً بالإشارة، ولو جانبياً، لكن ما الذي يأملونه، منذ الأزل، بعد تحقّق ذلك؟ لأنّه من الصعب التّصديق بأنّ حيويتهم خالية من أمل ما، وما هي طبيعة التغيير الذي يرقبون تقدّمه، بلصقهم لعينٍ واحدة على الثقب، وسدّ الأخرى؟ فهم لا يتحرّكون بدافع تربويّ، وذلك ما قرّره، والسؤال لا يتعلق بتعليمه أيّ شيء، في هذه اللحظة، فلغة التعليم المسيحية هذه، العسليّة، الحقودة، هي اللّغة الوحيدة التي يجيدون التحدث بها. ليذهبوا، ليحاولوا الذهاب إلى ما هو أبعد من هذه الضوضاء المُمزّقةِ، هذا كلّ ما يطالبون به، في هذه اللّحظة، حيثما يكون المكان الذي يذهب إليه، كونه في المركز، سيذهب نحوهم، إنّه في الوسط إذاً، وها نحن نحصل في النهاية على علامة دليل ذات أهمّية قصوى، مهما كان نوعها، ينظرون لكي يروا ما إذا تحرّك، لكنّه لم يكنْ سوى كومة عديمة الشكل، وبلا وجه قادر على عكس قصّة مُعذَّب، والذي لا شكّ بأن ترتيبه المُتلبّد، المتراكم نوعاً ما، مُعبّرٌ، بالنسبة للأخصّائيّين، وبالتالي يسمح لهم بعد الحظوظ التي يمكنه عبرها الوثوب، أو المغادرة بطريقة غير محسوسة، كأنه تلقّى ضربة الموت، في الكومة ثمّة عين، زائغة، مفتوحة دائماً كعين حصان، لذا لا بدّ لهم من عين، ويظهرون له عيناً، حيثما ذهبَ سيذهب نحوهم، نحو اللّازمة التي سيحيطون بها، وذلك بمعرفتهم أنّه على الطريق، أو نحوهم عندما يصمتون، بمعرفتهم أنّه على الطريق، لكي يتيقّن بأنّه حسناً فعل، أو في اتجاه الصّوت الذي سيكون أكثر نعومة، كأنه يبتعد، حتى لا

1 - بحسب الإنجيل فإنّ يهوذا الإسخريوطي هو التلميذ الذي خان يسوع وسلّمه لليهود مقابل ثلاثين قطعة فضّة - المترجم

يتوقف هو، على مثل هذا الطريق الجميل، ولكي يؤمن بأنه ابتعد عنهم، لكن ليس كفاية بعد، يقترب إذاً تدريجيّاً، كلّا، إنّه لا يقدر على الإيمان بأيّ شيء، ولا يحكم على أيّ شيء، لكن نوعية الشّهوات التي لديه ستتدبّر الأمر، وستحاول الذهاب إلى هناك حيث السلام، وتترك نفسها تسقط عندما تتوقف عذاباتها، أو عندما تتألم بطريقة أقلّ، أو حينما تنضب قدرتُها على التحمّل، حينئذ، سيُعاود الصوت، ضعيفاً في البداية، ثمّ أخفت فأخفت، من الجانب الذي يرغب في الابتعاد عنه، لكي يؤمن بأنه مُلاحق ويواصل طريقه، نحوهم، وهكذا سيقودونه إلى الحدّ الفاصل، وإلى نقطة دقيقة من الإبط، الذي صنعوا فيه ثقوباً أخرى، بغية تمرير الذراع والاحتفاظ بها، كلّ ذلك ليس سوى فيزياء، بوصوله إلى هناك، ولأنّه لم يستطعْ الذهاب أبعد، بسبب العائق، وكذلك نفاد قدرته على التحمل أبعد من ذلك، ولأنه لم يكنْ في حاجة إلى الذّهاب أبعد، في تلك اللحظة، بسبب الصمت العظيم الذي سيسود، سيدع نفسه تنهار، إذا افترضنا بأنّه كان واقفاً، لكن حتّى الحيوان الزّاحف يمكنه ترك نفسه يسقط، بعد هروب كبير، يمكن قول هذا، من دون نزع الملكية، سيترك نفسه يسقط، وستكون زاويته الأولى، تجربته الأولى في البقاء عمودياً، في المَلجَأ الشاقوليّ، لإسناد أولئك الذين كانوا في الأسفل، لا بدّ أن يكون هذا يعني شيئاً ما، أن يسند المرء أحدهم، وهو ينتظر النّوم، الشعور بدرع يطوقه، ليس من جانب واحدٍ من جوانبه الستة وحسب، ولكن من جانبين، وللمرة الأولى يشعر بأنه غير معرّض إلّا من أربعة جوانب، في انتظار النّعاس، لكن هذه الغبطة، لن يشعر بها وورم إلّا بطريقة غامضة، كونه أقلّ من بهيمة، قبل أن يصبح ثانية ما كان عليه، أو مع فارق بسيط، في مطلع ما قبل تاريخه، حينها سيقبضون عليه ويقتادونه إلى بيتهم، فما داموا قد تمكّنوا من صنع ثقب للعين، وآخر غيره أكبر لأجل الذراعين، لذا سيكون في إمكانهم صنع غيرها أكبر لتكون بمنزلة ممرٍّ لوورم، الذي لا ينبغي أن يكون أكبر، من العتمة إلى النّور، لكن ما نفع الكلام عمّا سيفعلونه ما إن يتحرّك وورم، لكي يقتادوه حتماً إلى

بيتهم، ما دام عاجزاً عن الحركة، مع أنّه كان يرغب في ذلك أغلب الوقت، إذا كان في إمكاننا الحديث عن الرغبة عندما نتحدث عنه، وذلك ما لا نستطيع القيام به، ولا ينبغي فعله، لكن بهذه الطريقة يجب الكلام عليه، وهي الطريقة نفسها التي ينبغي الكلام بها معه، كأنه موجود في الحياة، كأنه قادر على الفهم، حتى إن لم يكنْ لهذا نفع، ولا يقدم خدمة لأيّ شيء، وتلك سعادة بالنسبة إليه، لا يمكنه التحرك، وإن تعذّب جرّاء هذا، ذلك لأنّه سيكون بمنزلة توقيعه وثيقة موته، أيْ أن يتحرك إلى هناك أبعد من المكان حيث هو، للبحث عن القليل من الهدوء، والقليل من صمت الماضي، لكنّه قد يتحرّك في يوم ما، في يوم يتحوّل فيه جهد الأزمنة القديمة، الضعيف إلى ما لا نهاية، إلى قوة تُجدّد نفسها، ببذل جهد أعظم، قويّ بما يكفي لاقتلاعه من هناك، أو أنّهم سيتركونه في نهاية المطاف، يُخلي يده، ويسدّ الثقوب وينطلق، نحو مشاغل مثمرة بشكل أكبر، على الخط الهنديّ، إذ يجب اتخاذ قرار في هذا الشأن، وأنْ تميل كفَّتَا الميزان، من هذه الجهة أو تلك، كلّا، يمكن للمرء قضاء حياته هكذا، من دون أن يتمكن من العيش، ولا يُمكِّنَ أحداً من العيش، ويموت بلا نفع، لأنّه لم يكنْ أيّ شيء، ولا يفعل شيئاً، من الغريب أنّهم لم يذهبوا للبحث عنه في داره، مع أنّهم يعرفون كما يبدو مدخلها، لا يجرؤون، فالهواء الذي يقبع في عمقه ليس مصنوعاً لهم، غير أنهم يرغبون في أن يتنفس هواءهم، بإطلاقهم كلباً ربما، مكلّف بمهمة جلبه ثانية، لكن حتى الكلب لا يمكنه العيش هناك، ولا دقيقة واحدة، أو بواسطة عصاً طويلة ربما، مزوّدة بكلّاب في مقدمتها، ذلك لأن الباحة واسعة، حسناً، إنّه بعيد عنهم، بعيد للغاية بحيث لا يمكن بلوغه، وإن كان ذلك برأس ذئب، تلك اللّطخة الصغيرة، الوحيدة وسط البركة، إنها هو، وها هو الآن في بركة، كانوا قد استخدموا كلّ الوسائل، يقولون بأنّهم يرونه، هو تلك اللّطخة التي يرونها، يقولون إنّها هو، ربما تكون هو، يقولون إنهم يسمعونه، لكنّهم لا يعرفون عنه أيّ شيء، يسمعونه ربّما، نعم، إنّه يَسمعُ، ذلك هو اليقين الوحيد، وورم يسمع، مع ذلك ليست الكلمة المناسبة، غير أنّه

يستطيع الذهاب، بل يجب عليه الذهاب، إنّهم يسيطرون عليه إذاً، في الروايات الأخيرة، سيكون مرغماً على التسلّق، حتى يتمكّن من الوصول إليهم، أوه، سوف يتغير هذا أيضاً، الانحدارات الرقيقة التي تلتقي ببعضها فيه، تصبح مستوية تحته، هذا ليس لقاءً، وليست بركة، ولم يتجرجرْ، بعد قليل سيجثم فوق ربوة، لا يعرفون ماذا يقولون، حتى يتمكّنوا من الإيمان به، ليضيفوه إلى ما يخترعونه، لكي يُطمْئنوا أنفسهم، وهم لا يرون أيّ شيء، يرون ما هو رمادي، كدخانٍ ثابت في مكانه، مُتجانسٍ، حيث يمكنه أن يكون، إذا كان من الضروريّ أن يكون في مكان ما، وقد أقسموا بأنه هو، في المكان الذي يطلقون نحوه أصواتهم، الواحد تلو الآخر، على أمل طرده من هناك، سماعه وهو يتحرك، رأيته وهو يبزغُ، على مرمى من مناجلهم، مذاريهم، رفوشهم المسنَّنةِ، وكلّاباتهم، تمّ إنقاذه في الأخير، واستسلم في النهاية، ثم يكفي الكلام عنهم، انتهى دورهم، كلّا، ليس بعد، يجب الاحتفاظ بهم، ما زال من الممكن استخدامهم، لنتركهم هناك، ولندُرْ من حولهم، ونحن نطلق الصرخات، عبر الثقب، إذ لا بدّ أن يكون هناك ثقب للصراخات أيضاً، هل هم أنفسهم من يَسمعهُ؟ هل كانت ثَمَّة حاجة لهم حقّاً حتى يتمكَّن من سماعهم، هم وأشباههم من الدمى؟ يكفي تنازلات، إلى العقل الهندسيّ، يسمعُ، ذلك كلّ ما في الأمر، هو الوحيد، وأخرس ضائع في الدخان، ليس هناك نار، لا أهمية لهذا، جحيم مُضحك، خالٍ من التدفئة، ولا يقطنه أحد، ربما هذه هي الجنة، قد تكون أنوار الجنة، والعزلة، وهذه الأصوات هي أصوات المُغتبطين الذين يتنازل بعضهم إلى الآخر، غير مرئيين، بالنسبة للأحياء، بالنسبة للأموات، كلّ شيء ممكن، إنها ليست الأرض، ذلك ما يُعتدّ به، ولا يمكن أن تكون الأرض، التي يقطنها وورم وحده، أو الآخرون إذا شئنا، معروضين مثله، ليس بعيداً عنه، صامتين، ولا يمكن هزّهم، وذلك الصوت ليس صوت أولئك الذين يبكون عليهم، يحسدونهم، يُناشدونهم، هذا ما يُفسّر عدم الترابط، كلّ شيء ممكن، نعم، للأسف، يعرف بأن ذلك صوت، لا يعرف كيف، لا يعرف أيّ شيء، لا يعرف إلّا

الشيء القليل، لا يُفهم منه أيّ شيء، لا شيء تقريباً، لأنّ ذلك ليس قابلاً للفهم، مع هذا ينبغي أن يكون، لأن ذلك أفضل، أن يُفهم منه قليلاً، أو لا شيء تقريباً، تماماً كالكلب الذي تُلقى إليه القاذورات نفسها دائماً، الأنظمة ذاتها، التهديدات نفسها، والمُلاطفات ذاتها، ذلك ما تمَّ حسمه، سأكون قادراً على الاستنتاج، لكن هذه العين، لنتركْ له هذه العين أيضاً، لأنّها لأجل النظر، تلك العين الواسعة والشرسة السوداء البيضاء، النديّة، لأجل البكاء، لكي يتعلم العادة، قبل أن يتمّ تسليمه لكلارني Killarney، ما الذي يفعله له، لا شيء، سيحتفظ به مفتوحاً، العين تبقى مفتوحة، عين بلا بؤبُؤ، ليس هناك حاجة للبؤبؤين هنا، حيث لا يحدث أيّ شيء، أو القليل، وقد يمكنه تضييعها، تلك المشاهد غير المتواترة، إذا تمكّن من ترميش عينه، لو كان قادراً على غلقها، لكنّي أعرفه، لن يفتحها بعد، الدموع تتدفق بلا انقطاع تقريباً، لا نعرف لماذا، لا نعرف أيّ شيء، إذا كان ذلك بسبب الغضب الكبير، أو الحزن، الأمر هكذا، وقد يكون الصوت هو ما جعله يبكي، من الغضب، أو من أيّ انفعال آخر، أو لأنه كان عليه أن يرى، من حين إلى آخر، شيء ما، ربما يكون هذا هو السبب، ربما يبكي لعجزه عن الرؤية، مع أنه يبدو من الصعب أن نسند له مبادرة بمثل هذه القوة، يتأنسن li s'humanise، ليّن العريكة، وسيخسر، إذا لم يفتحْ عينه، وإذا لم ينتبه، وبماذا يمكنه الانتباه، بماذا يمكنه الحذر، بماذا يمكنه تشكيل ولو فكرة ضعيفة عن الظّرف الذي هم على وشك الإيقاع به فيه، مع أذنيه، بعينيه، بدموعه مع شيء يشبه الجمجمة التي يمكن لكل شيء أن يحدث فيها، تلك هي قوّته، قوّته الوحيدة، ألّا يفهم أيّ شيء، وعدم قدرته على الانتباه، عدم فهمه لما يريدونه، ويجهل أنهم هناك، وألّا يشعر بأيّ شيء، آه لكن حذارِ، إنّه يحسّ، إنه يتألم، الضّجيج يجعله يتألم، ويعرف ذلك، يعرف بأنّه صوت، ويفهم، بعض التعابير، بضعة أداءات، كلّ هذا سَيِّئ، رديء، ليس إلى هذا الحد، إنهم هم مَن يَقولونه، لا يعرفون عنه أيّ شيء، يقولونه لأنهم يتمنونه، ربما هو لا يعرف أيّ شيء، ربّما هو يتألم من اللاشيء، وهذه العين، مرة أخرى من الفنتازيا،

يَسمعُ، هذا صحيح، ومرة أخرى هم من يقول ذلك، لكن ينبغي الموافقة عليه، من الأجدر التوافق، وورم يسمع، هذا كلّ ما يمكن تأكيده، وعندما كان هناك وقت لم يكنْ يسمع فيه، يقولون هذا الشيء نفسه، لقد تغيّر إذاً، هذا شيء خطِر، حافلٌ، إلى حد عدم قدرته في الذهاب أبعد، لا أهمية لهذا، لنمنحْه ثقتنا، العين أيضاً، بطبيعة الحال، لكي ندفعه نحو الهروب، حتّى يصير خائفاً بما يكفي لقطع علاقاته، هو يسمّي هذه علاقات، إنّهم يبغون تسليمه، آه أيتها الأم الطيّبة، هل ينبغي الإصغاء، ربما تكون دموع المرح، في النهاية، علينا الذهاب إلى آخر الشوط، علينا أن نكون في نهايته تقريباً، لكي نرى ما يقدمونه له من المُرعبات، منْ، هو؟ لا تتكلّموا جميعكم في آن واحد، إذ لا نفع من ذلك أيضاً، كل شيء سوف يُحلُّ، على طول الأمسية، ولن يكون هناك أحدٌ، وسيهبط الصّمتُ ثانية، لا فائدة من المناكدة، من هنا إلى هناك، حول الضمائر الشخصية وغيرها من أجزاء الكلام الكاذب، لا أهمية للموضوع، إذ ليس هناك موضوع، وورم بصيغة الفرد، جاء هكذا، فيما هم مجموعة، لتحاشي أيّ التباس، ينبغي تفادي أيّ التباس، في انتظار اختلاط كل شيء ببعضه، ربما لم يكونوا سوى واحدٍ، إذ يكفي واحدٌ لتحقيق الغرض، لكن في إمكانه أن يخلط نفسه مع ضحيته، سيكون ذلك مُقزّزاً، ممارسة العادة السرية الحقيقية، هذا يتقدّم، يتقدّم، من جانب المشهد، يبدو هذا هزيلاً، لكن هل يمكن للمرء معرفة ذلك، قبل أن يكون حاضراً فيه، من دون أن يعيش في داخله، يسمّون هذا عيشاً، تتوقد الشرارة فيه، بالنسبة إليهم، وما على الحياة سوى الانبثاق، إذ ليس هناك سوى التبشير بهذا، بشعلة حيّة، بما فيها من صرخات، حينئذ يمكنهم الالتزام بالصمت، وبلا خشية من أن يكون صمتاً مزعجاً، كصمت الموت كما يُقال، حيث تمرّ الملائكة، نارُ جهنّم حقيقيّة، أمر محتوم أن تجرَّ العين عيناً أخرى، حالات الضوضاء، ترحل، تخترق الجدران، لكن هل يمكن قول الشيء ذاته عن المظاهر؟ كلّا بالتأكيد، بطريقة عامة، غير أنّ هذه الحالة نادرة بالأحرى، لكن أيّة حالة، ينبغي القيام بمحاولة معرفة بماذا يتعلّق الأمر، إذا خدع المرء

نفسه، هذا الرماديّ أوّلاً، الذي يُفترض فيه دون شك أن يكون مُحبطاً، ومع ذلك، ثَمَّة لون أصفر فيه، بل ويمكن القول الورديّ حتى، إنه رماديّ جميل، من النوع الذي يُقال عنه بأنّه يتلاءم مع كل شيء، مُبتلّ وساخن، لا نرى فيه، وذلك ما تؤكّده العين، سوى قطرة، لا حاجة لنا بالوصفات السطحيّة، المنذورة للتكذيب، قد يسأل إنسان نفسه أين تنتهي مملكته، حينها تبذل العين جهداً بغية جسّ الدياجير، وربما يَدفع غالياً للحصول منها على حجرة، أو ذراع، أنامل تعرف كيف تُمسك وتُرخي، في اللحظة المناسبة، حجرة، المزيد من الأحجار، أو لكي تصرخ وتنتظر، وهي تعدّ الثواني التي ترجع فيها ثانية صرختها، وسوف يتعذّب بالتأكيد، من عدم امتلاكه صوتاً ولا صاروخاً، ولا أعضاء يطيعونه، يثنون أنفسهم ويرخونها أمام القيادة، وقد يندم على كونه إنساناً ربّما، في ظروف كهذه، أيْ في حالة الرأس المتروك لمصادره القديمة وحدها، غير أن وورم لا يشكو إلّا من الضوضاء التي تمنعه من أن يكون مثلما كان عليه من قبل، فارقٌ دقيق، إذا كان هو نفسه، سيهتمّون بالأمر، وإذا لم يكنْ هو نفسه، فلا أهمّية لذلك، يتألّم مثلما تألّم دائماً، من الضوضاء التي لا تمنع أيّ شيء، لا بدّ أن يكون هذا قابلاً للصنع، وعلى أيّ حال، لا ينبغي على هذا الرماديّ أن يُضاف إلى ما كان هناك، إلى شقائه، وإلّا لن تتمّ الإشارة إلى ما هو نيّر، إذا أخذنا بعين الاعتبار بأنّه غير قادر على إغماض عينه، ولا يمكنه تدويرها أيضاً، ولا خفضها، ولا رفعها، لكنّها تظلّ دائماً مُثبتة على الحقل الصغير نفسه، ومقصيّة من التكيّفات الخيّرة، لكن الوضوح قد يحدث في يوم ما، شيئاً فشيئاً، أو بسرعة، أو دفعة واحدة، حينها لن نرى جيّداً كيف سيتمكن وورم من البقاء هناك، كما ليس في إمكاننا أن نرى جيداً كيف سيتمكّن من المغادرة، لكن ليس بمقدور المواقف المستحيلة تمديد نفسها، بلا مسوّغ، وهذا شيء معروف، أو أنّها تتلاشى، أو أنّها تكشف عن نفسها كونها ممكنة في نهاية المطاف، ما الذي تبتغونه، ودون الحديث عن ممكنات أخرى، ليكن النور إذاً، ولن يصبح هذا كارثة بالضرورة، أو لن يكون أبداً، سوف نستغني عنه، لكن تلك الأنوار،

بصيغة الجمع، التي تنبجس، تتضخّم، تنغمر وتنطفئ بالنفخ، وتذكّر بالكوبرا، ربما تكون اللحظة قد حانت لإلقائها في الميزان، لكي تميل، في النهاية، كلّا، لم تحنْ اللحظة بعد، للقيام بذلك، ها Ha، لا أحد يرغب بالأمل هنا، لقد أفسد هذا كل شيء، ليكون هناك آخرون يأملون، من أجله، في الخارج، في الرّطوبة، في النور، إذا كان هذا يطربهم، أو أنّهم لا يستطيعون القيام بغير ذلك، أو قد دُفعَ لهم لأجله، لا بدّ أن يُدفعَ لهم لأجل هذا، فهم لا يأملون في أيّ شيء، يأملون أن يدوم ذلك، إنه جُبن طيب، عقل في مكان آخر، هؤلاء الرجال-الجرذان hommes-rats، الذين نادوا على يهوذا الإسخريوطي، كلّ هذا بمنزلة صلوات، إنهم يصلون لأجل وورم، يتضرعون لوورم، كي تأخذه الشفقة، الشفقة عليهم، الشفقة على وورم، إنهم تلك الشفقة، يا ربنا، ما الذي ينبغي وضعه في الصندوق، لحسن الحظ إنّه لا يفهم أيّ شيء من هذا، عتمة خبيثة، مُتخلّفة، مضجع، كلب قذر، الرماديّ، ماذا بعد، لنهدأ، لنهدأ، لا بدّ أن يكون ثمّة شيء آخر، لكي يتماشى مع الرماديّ، ويتماشى مع الجميع، لا بدّ أن يكون كل شيء هنا، كما هو في جميع العوالم، قليل من كلّ شيء، قليل جداً، يمكن قول هذا، من جانب آخر، لم يكنْ ذلك هو السؤال، ما الذي جاء يفعله هذا الغبيّ، أمام العاجز الكرستاليّ ذاك، هذا كل ما يُراد تخيّله، وجه، كم سيكون ذلك مُشجّعاً، إذا كان بمقدور هذا أن يكون وجهاً، من بعيد إلى أبعد، ذاته دائماً، مع التغيير المنهجيّ للتعبير، ليكشف بانتظام ما الذي بإمكان وجه حقيقيٍّ عمله، ودون أن يصبح غريباً، انطلاقاً من الغبطة التي لا يشوبها أيّ خليط حدّ الثبات الكئيب للمرمر، مروراً بكل الظلال المميّزة للخيبة، كم سيكون ذلك مريحاً، مَغروزةً مؤخرة الخنزير أنطوان Antoine، لنذهب إلى المسافة الطيبة، إلى العلوّ الطيب، لنقل مرّة كلّ شهر، ولن يكون ذلك مُبالغاً فيه، ببطء، من الوجه والجانب، كالمجرمين، وقد يتمكن من التوقّف حتى، يفتح فمه، يمرحُ، يندهشُ، يتلجلج، يدمدم، يجعر، ينحب ثم يغلقه، فكّاه مشدودان لبعضهما حدّ التمزّق، أو يتأرجحان لكي يمرّ الزَبد، سيكون

أمراً لطيفاً، ككلّ شيء، حضور في الأخير، زائرٌ، مُخلص، لديه يومه، ساعته، ولا يبقى طويلاً أبداً، سيكون ذلك مُهلكاً، لكن بالدقّة المطلوبة لولادة الأمل، نموّه، نحيبه، وموته، ولنقلْ لخمس دقائق، أخذت فكرة الزّمن في دحرجته، دحرجة وورم، تحت كابوسه الصارم، بدقّة أمام حطام صورة الأزلية، بأنه ليس ثمّة ما يمكن تكرار قوله، يسحبن فكرة المكان في اللحظة الأخير، تأخذ كل واحدة منهنّ يد الأخرى، منذ بعض الوقت، في أحياء بعينها، هذا أكثر أماناً، وسوف تُربَح اللعبة، تُخسَر، سيكون في وسطنا، وسط اللقاءات، لن نعرف كيف، لكنّنا سنقول، انظرْ للعجوز وورم وهو ينتظر جميلته، مع هذه الزهور، يمكن للمرء القول بأنه نائم، ألا تعرفه، بلى، إنّه الشيخ وورم، الذي ينتظر حبيبته، وزهور الربيع هذه، يمكن القول بأنه ميّت، هذا، هذا سيكون شيئاً له أهميّته، لحسن الحظ، لم يكنْ سوى حلم، لأنه ليس ثَمَّة وجه هنا، ولا ما هو قريب منه، لا شيء يكشف عن فرح العيش وبدائله، يجب البحث عن شيء آخر، شيء بسيط، علبة، طرف خشبة، تأتي وتنتصب أمامه، للحظة، كل السنوات، كل عامين، كرة، تدور لا نعرف كيف، ولا حول ماذا، حوله، حجارة ضخمة، تمرّ من أمامه، كل عامين، كل ثلاثة أعوام، لن يكون لهذا أهمية، في الأزمنة الأولى، من دون أن تتوقف، فهي لا تحتاج إلى التوقّف، سيكون ذلك أحسن من اللّاشيء، سيسمعها قادمة، ويسمعها وهي تبتعد، سيكون ذلك بمنزلة حدث، إذ ربّما سوف يتعلّم من هذا كيفية عدّ الدقائق، الساعات، وكيف يقلق، يتذكّر، يتمتّع بالصبر، ويفقد الصبر، يدير رأسه، ويجعل أذنه تنتصب، ويجوس بعينه، حجارة ضخمة، لن تخلفه وحيداً أبداً، سيكون ذلك أحسن من اللاشيء، في انتظار القلوب الحقيقية، تحرك قلبه، رقصة فالس، سمعَ قلبه يرقص الفالس، تار بوم لالا، من دون معرفة على أيّة قدم يرقص، تار بوم لالا، ره مي ر دو بان بان، لا ينبغي علينا تعقيد ذلك، بالتّأكيد، لسوء الحظ ينبغي الالتزام بالوقائع، ما يجب التمسّك به، التعلّق به، حين يترنح كلّ شيء، إن لم يكنْ من الوقائع، إذا وُجدَ منها، المتجاوزة، والقريبة من

القلب، كم هذا جميل، قلب يَصرخُ، تلك هي الواقعة، هنا الواقعة، ثم بتمهّل أكبر، بعد أن تجاوز الخطر، للحظة، ومن ثمّ، أيْ في تلك الحالة، لم يكنْ هناك خشب، ولا أحجار، أو ما إذا كان ثَمَّة منها، الواقعة هنا، إذا كان هناك منها، سيكون هذا كما لو أنّه ليس هناك منها، هنا الواقعة، وليس ثَمَّة نباتات، ولا معادن، ولا حيوانات، فوورم فقط، في مملكة مجهولة، هذا وورم، أو كأنه هو، لكن ليس بمثل هذه العجالة، ما زال الوقت مبكّراً جداً، لكي أستدير، حيثما أنا، أغمغم، بانتصار، هناك حيث انتظرني، هادئاً، بشكل مقبول، عارفاً، أو معتقداً بأنّي أعرف، بأنّه لم يحدثْ لي أيّ شيء، ولن يحدث لي أيّ شيء، جيّد، سَيِّئ، يمكنه تضييعي، سيكون الأمر مبكّراً، أرى نفسي، أرى مكاني، لا شيء يُشير إليه، لا شيء يُميّزه، عن الأماكن الأخرى، إنّها لديَّ، كلها، إذا رغبتُ في ذلك، لا أرغب إلّا في مكاني، لا شيء يدلّ عليه، ولا أبقى فيه إلّا قليلاً، أراه، أشعر به من حولي، يشدّني، يُغطّيني، لو كان بمقدور ذلك الصوت التوقّف، لدقيقة واحدة فقط، والتي ستبدو لي طويلة، دقيقة واحدة من الصمت، سأصغي، وسأعرف ما إذا كان سينطلق ثانية، عبر ماذا يمكنني معرفته، سأعرفه، وقد أظلّ أصغي دائماً، لعلّي أتقدم في اتجاه نعمهم، وأحتفظ بنفسي مثلما يفضلون، لكي أكون على أهبة الاستعداد، إذا أقرّوا بأني صالح للأخذ من جديد، أو أنّي لن أصغي بعد، ولن أسمع أبداً، هل من الممكن ألّا أسمع في يوم ما، من دون أن أخشى وقوع الأسوأ، أيْ، لا أعرف، ما الذي يمكنه أن يكون أسوأ من هذا، صوت امرأة ربما، لم أفكّر في ذلك، إذ يمكنهم توظيف النغمة الأعلى في السلّم الموسيقيّ، لكن ليس علينا التفكير في هذا بعد، لو كنت أعرف ما الذي يريدونه وحسب، يريدون مني أن أكون وورم، لكنّي كنتُه فعلاً، كنت كذلك، ما الذي لا يسير على ما يرام، كنتُه بطريقة رديئة، لا بدّ أن تكون الأشياء كذلك، هذا لا يمكنه أن يكون ذاك، ما الذي تريدونه أن يكون، إلّا هذا، أنا نفسي لم أُولَدْ، في النور، عندهم، لكي أسمعهم يقولون، أرأيت، أنت تجهل بأنّك كنت حياً! صبرتُ، لا بدّ أن يكون هذا كذلك، ما كان عليَّ أن أصبر، غير أنّي

لا أشعر بأني شيء، بلى بلى، ذلك الصوت، تحملته، ولم أهربْ، كان ينبغي عليَّ الهرب، كان على وورم الهرب، لكن أين، وكيف؟ إنه مطوّق، كان على وورم سحب نفسه، وليس من المهم إلى أين، نحوهم، في اتجاه السماء الزرقاء، لكن كيف يمكنه فعل ذلك، هو لا يستطيع التحرك، وهذه ليست علاقات بالضرورة، ليس ثَمَّة من علاقات هنا، إنه كالمتجذّر، إنها علاقات إذا ما شئنا، قد ينبغي على الأرض الاهتزاز، الأمر لا يتعلق بالأرض، لا أعرف ما هذا، يشبه الطحلب البحريّ، كلّا، إنه مثل ثُفْلِ[1] قصبِ السكّر، ولا هذا أيضاً، لا أهمّية لذلك، وقد نحتاج إلى تشنّج، لكي يقذفه في النهار، لكن أيَّ هدوء، باستثناء الخطاب، لا نفثة واحدة، لا معنى لهذا، إنه مغشوش، الهدوء الذي يسبق الحياة، بالرغم من ذلك، منذ الأزل، كأنّه الوحل، ذلك لأنّ المرء يشعرُ فيه بالراحة، سيشعر بها، بلا ضوضاء، الحياة هي من يرغب في الدخول ثانية، كلّا، التي ترغب في أن يخرج، أو أنّها نفّاخات صغيرة تُثقب، من كل جانب، كلّا، ليس هناك هواء هنا، الهواء لأجل خنق المرء، والنهار لكي تُغلق فيه العيون، إلى هناك ينبغي عليه الذهاب، حيث لم يظهرْ الظلام أبداً، لكن هنا أيضاً ليس ثَمَّة للسّواد وجود، بلى بلى، السماء سوداء، وهذا الرماديّ هم منْ صنعه، بمصابيحهم، عندما يغادرونه، وعندما يصمتون، ستكون السماء سوداء، ثم تعقبها ضوضاء، وليس ثَمَّة شعاع، لكنهم لن يغادروه أبداً، بلى، قد يصمتون ربما، في يوم ما، في مساء ما، ببطء، بكآبة، على خيط هندي، ويلقون بظلال طويلة، في اتجاه السيّد، الذي سيُعاقبهم، أو يجنبهم العقاب، ليس هناك سوى هذا، هناك في الأعلى، بالنسبة لأولئك الذين يخسرون، العقاب، الغفران، أو كليهما، هم من يقول ذلك، ما الذي عملتموه في مادتكم؟ تركناها، لكن من المحظور عليهم قول نعم أو لا إذا كانوا قد سدّوا الثقوب، هل أصلحوا الثقوب، نعم ولا، سيقولون نعم ولا، أو بعضٌ منهم سيقول نعم، وبعضهم الآخر كلّا، في الوقت ذاته،

1 - ما يبقى من المادّة بعد عصرها - المترجم

لأنهم لا يعرفون ما الذي يرغب المعلّم في سماعه، كردٍّ على أسئلته، لكن كلاهما دافَعَ عن نفسه، الجوابان الاثنان، لأنهم أصلحوا الثقوب، إذا شئنا، وإذا لم نشأ، فهم لم يسدوها، لأنهم ما كانوا يعرفون ما الذي عليهم فعله، حينما انطلقوا، هل كان ينبغي عليهم سدّ الثقوب، أو على العكس من ذلك، تركها فاغرة، حينئذ، ثبتوا مصابيحهم، في الثقوب، مصابيحهم الطويلة، لكي يمنعوها من الانغلاق وحدها، ذلك يشبه الصلصال، أقحموا فيها مصابيحهم القوية، المتوقّدة، والمثبتة في الداخل، حتى يصدق بأنهم كانوا هناك دائماً، بالرغم من الصّمت، أو لكي يعتقد بأن الرماديّ هو وحده الحقيقيّ، أو حتى يواصل عذابه، مع أنهم لم يكونوا هناك، لأنه لا يتعذب إلّا من الضوضاء، ويتعذّب من الرماديّ أيضاً، من الضوء، الضروريّ، لأن هذا أفضل، أو حتى يتمكنوا من العودة ثانية، إذا اشترط المعلم ذلك، من دون معرفته بأنهم غادروا، كأنّ في إمكانه معرفة هذا، أو من دون أيّ دافع آخر غير ذلك الذي يقدّمه الجهل على أنّه ما ينبغي فعله، إذا كان من الضروريّ سدّ الثقوب أو تركها تنغلق من تلقاء ذاتها، هذا ما يشبه الخراء، هذه هي النهاية، وها هي في الأخير، الكلمة الدقيقة، يكفي البحث، يكفي أن يخدع المرء نفسه، أو ينتهي بالعثور على شيء ما، الأمر يتعلق بالإسقاطات، يكفي الكلام عن الثقوب، الرماديّ لا يعني أيّ شيء، والصّمت الرماديّ ليس بالضرورة مجرّد قضاء دقيقة طيبة، يمكنها أن تكون طيبة، كما يمكنها أن تكون سيّئة، والمصابيح من دون خدّامها لا تتألق دائماً، على العكس من هذا، سوف تنطفئ، تدريجياً، ودون خدم يعيدون شحنها ثانية، ستخفت، في الخاتمة، حينها يسود السّواد، لكنه مثل الأسود والرمادي، ولا يبرهن السواد على أيّ شيء أيضاً، أمّا بخصوص قيمة الصمت فهي سميكة تقريباً، لأنّهم يستطيعون العودة ثانية، فترة طويلة بعد إخماد النيران، وقد دافعوا عن أنفسهم سنوات أمام المعلّم، لكن من دون التوصّل إلى قناعه بأنّه ليس هناك ما يمكن عمله، مع وورم، ولأجل وورم، حينئذ، يجب البدء من جديد، هذا ما هو جليٌّ، لحدٍّ لا يمكننا معه معرفة ولا بمقدور

وورم أن يعرف، ما إذا كان الصمت أسودَ، أو رمادياً، مهما طال، ما إذا كان طيباً، أو أنّ الأمر يتعلق فقط بقضاء لحظة طيّبة، أو ينبغي الإصغاء، ومراقبة دمدمات الصمت الماضي، واستعداد المرء للقاطع القادم، وإلّا سيجلب لنفسه صواعق تكميلية، لكن لا ينبغي خلط وورم مع واحد آخر، بالرغم من عدم أهمّية ذلك، في هذه الحالة، لأنّه من كان عليه الإصغاء يُصغي، ويعرف بأنّه ما عاد أبداً يسمع أيّ شيء، أو يجهله، بتعبير ثانٍ، إنهم يحبّون قولَ: «بعبارة أخرى»، هذا ما لا يمكن الشك فيه، لأنّه يجعلنا نربح جزءاً من الوقت، فإذا تمّ قطع الصمت لن يكون برمّته، ليس هناك إذاً أمل؟ لكن بالتّأكيد كلّا، لا نبالغ، أيّة فكرة، أجل، ربّما، قليلاً، لكن لا نفع منه أبداً، لكنّنا ننسى، لو كان واحداً، فسيمضي وحده تماماً، في اتجاه معلّمه، وسوف يتبعه ظلّه الطويل عبر الصحراء، إنها الصحراء، القصة الأولى، التي سيرى فيها وورم النور، في الصحراء، وفي يوم الصحراء، في اليوم الذي سيقبضون عليه فيه، إنّه الشيء نفسه في كل مكان، هم يقولون كلّا، يقولونه بنقاء أكبر، أكثر وضوحاً، أنتم تتحدثون عن عمل، آه ليست الصحارى Sahara بالضرورة، هناك غيرها، الأوزون هو المهمّ، ستكون ثَمَّة حاجة للأوزون، في الأوقات الأولى، آه نعم، وفي الأخيرة أيضاً، هذا يصيب بالعقم، المعلّم، سيكونون x، وقد نحتاج إلى x وواحد، لكن هذه العين الداكنة، ما الذي ينفعها في نهاية المطاف؟ كي ترى النّور، يسمّون هذه رؤية، وهذا شيء طيب، ما دام يتألّم منها، ويسمّون هذا ألماً، أحدهم قال لهم ذلك، المعلّم من قال لهم ذلك، افعلوا هذا، افعلوا ذاك، سترونه يتلوّى، وتسمعونه يبكي، وها هو يبكي، في الواقع، أوه ليس واقعاً صلباً تماماً، لكن علينا التعجّل لكي ننتفع منه، والالتواءات، يا للخيبة، بيد أنه تنبغي الإشارة إلى شيء، ما هذه إلّا البداية، مع أنها استغرقت وقتاً طويلاً، فهم لم يفقدوا شجاعتهم، جسورون بقوّة الكلام القويّ للصّامت الأكبر، ولن يغلقوا أفواههم أبداً، إنّه شغلهم، وتلك صفاتهم، ما الذي يمكن فعله لهم، إذا أحرز نتيجة أو لا؟ يكفي الكلام عنهم، فهم لا يتحدثون إلّا عن أنفسهم، بالضرورة، كلّ

شيء لهم، وبغيرهم لن يكون هناك أيّ شيء، ولا حتى وورم، إنها فكرة لديهم، كلمة يمتلكونها، أثناء كلامنا عنهم، يكفي الكلام عنهم، غير أن هذا الرماديّ، وذلك النور، لو كان في إمكانهم الهرب من هذا النور، الذي يؤلمهم، ألا يؤلمهم أكثر في كل خطوة متقدمة يتّخذونها، ومن أيّة ناحية ذهبوا، ما دام في المركز، ويمكنه الوصول إليه بالضرورة، في المركز، بعد أربعين أو خمسين محاولة فاشلة؟ ذلك غير واضح، فمن الجليّ أن ينخفض النور مع كل خطوة سيقوم بها، نحوه، وهم يسهرون على ذلك، لأنّه يعتقد بأنّه على الطريق الصحيح، ومن ثمّ سيصل حتى الباحة، حينها سيكون التوقّد، الغنيمة، نشيد الانتصار، من اللحظة التي يتألم فيها هناك أمل، حتى لو لم تكنْ لديهم حاجة فيه، لجعله يتألّم، لكن كيف يعرفون بأنه يتألّم؟ هل يرونه؟ يقولون نعم، غير أنّ ذلك مستحيل، هل يسمعونه؟ كلّا بالتأكيد، لا يُحدث أيّة ضوضاء، لكن ربما نعم، عندما يبكي، على أيّ حال، هم هادئون، إن كانوا على صواب أم خطأ، يتألّم، بفضلهم، أوه ليس كفاية بعد، لكن يجب التحرك بنعومة، فزيادة على القسوة، في هذا المستوى، قد تتمكن من تشويش فهمه إلى الأبد، شيء آخر، المشكلة غاية في الحساسية، وعواقب العادة، ما الذي يفعلون بها؟ يمكنهم محاربتها، برفع أصواتهم، بالضغط على الوضوح، لكن أجل، فبدلاً من أن يَقلّ عذابه، بمرور الوقت، يتألّم دائماً بالدرجة نفسها، بالدقّة، كما في اليوم الأول؟ هذا يمكنه أن يكون، ولكن نعم، بدلاً من أن يقلّ ألمه، أو يتألم بالقدر نفسه، كاليوم الأول، سيتألم أكثر، مع مرور الوقت، أكثر فأكثر، ما إن يحدث التحوّل إثره، انطلاقاً من القادم الذي لم يتغيّرْ حتّى الماضي الذي لا يمكن أن يتغيّر، شيء آخر، لكن ضمن منظومة الأفكار، تمّ استهلاك العمل، لا أفضلية للعذاب المكشوف على ذلك الألم الذي تجعلنا تقلباته نعتقد بأنّه في نهاية المطاف ربما لن يبقى إلى الأبد، ولا يعتمدُ هذا على الهدف المنشود، أيْ؟ حركة صغيرة من نفاد الصبر، من جانب الصابر، شكراً، إنّه الهدف المباشر، بعده سيكون هناك غيره، ثم سيعلمونه كيفيّة الاحتفاظ بهدوئه، في هذه الساعة، إنه

يتلوّى على الأقل، ويتدحرج على الأرض، أيّ شيطان، ما دام ليس ثمّة علاج آخر، كيفما يكنْ، لقطع الضجر، إنّهم لا يتضايقون، يا ربي الطيب، المحروقون بقوة، حينما لا يكونون مربوطين، لأنهم يتدافعون في كل اتجاه، بلا منهجية، للبحث عن قليل من النداوة، بعضٌ منهم يدفعُ ببرودة دمه حدَّ ألّا تقول سوى كلمة واحدة، لا أحد يطلب منه أكثر من ذلك، عليه وحده اكتشاف مرامَ هربه أمام نفسه، هذا كلّ شيء، ولن يذهب أبعد، هو ليس بحاجة للذهاب أبعد، ولا ينبغي عليه الاعتماد على أحد من أجل تسطيح ما هو عليه، وإن لم يكنْ له دخل في ذلك، ليفعل مثل المُصادفة، عليه الصعود على كرسي ليعدّل قبّته بطريقة أفضل، سيكون هذا أقلّ الأشياء، لا يحتاج تفكيراً، إنما عذاباً وحسب، بالطريقة ذاتها دائماً، ليس أقلّ أبداً، ولا أكثر أبداً، من دون الأمل بهدنة، ولا أمل في الموت، وهذا ليس أكثر تعقيداً من ذلك، ليس هناك حاجة إلى التفكير، حتى لا يأمل المرء، ألجأ إلى الملل إذاً، هذا محفز أكثر، لكن كيف يمكن ضمانه، لا أهمّية لهذا، لا أهمّية، يقومون بما يقدرون عليه، بوسائلهم المتواضعة، صوت، القليل من الوضوح، الفقراء، ذلك هو شغلهم، مثلما يقولون، لا يمكنهم التعوّد، ولا يستسلمون، نحن لا نعرف عنهم أيّ شيء، لا أهمّية لذلك، ما علينا سوى المواصلة، سيُفهم في النهاية، وسينتهي الأمر بالارتعاش، وسيحلّ التأمّل البسيط، في لمحة بصر، وسوف تولد الموجة، التي ستقذفه بيننا، البحث بالعيون، من دون العثور على شيء أبداً، مراقبة الوادي الذي لن يقدم أبداً، هذه أيضاً ليست حياةً أبداً، مع ذلك، هي حياتهم، إنّه هنا، يقول المعلّم، في ناحية ما، اجلبوه لي، مجدي يحتاج إليه، لكن لنبذل جهداً إضافيّاً أخيراً، في كل مرّة نتظاهر فيها كأنّه الأخير، تلك هي الوسيلة الوحيدة لكي لا يتراجع المرء، حبّة واحدة كبيرة من الهواء تُلوّث، و... هوب! إلى الأمام، بعدها نعود ثانية، إلى الأمام، من السهولة قول ذلك، لكن أين هو الأمام؟ وما الذي نفعله به؟ عصابة مهووسين مزيفين، أذهب، إنّهم يعرفون بأنّي لا أعرف أيّ شيء، وأنسى كل شيء، تدريجياً، هذه الوقفات الصغيرة، ليست

ماهرة تماماً، عندما يسكتون، أنا أيضاً، بعد دقيقة، لديَّ دقيقة متأخّرة عليهم، أحتفظ بالثانية، الثانية برمَّتها، قبل أن أعيدها، مثلما سلَّموني إيّاها، وبتلقٍّ لما يليها، والتي لا أفعل بها أيّ شيء هي أيضاً، ليس ثَمَّة لحظة لي، يرغبون في معرفة صوب ماذا أدير رأسي، آه أعرف أين أوجّهه، لو طاوعني، ليقولوا ما يقولون عمّا أنا على وشك القيام به، إذا افترضنا أنهم قالوه مرّة، إذا ما كانوا يرغبون بأن أتظاهر بالانشغال، هذه النبرة، وتلك التعابير، لكي أصدقهم بفجاجتي، الخيوط نفسها دائماً، منذ أن وضعوا في رؤوسهم بأنّ وجودي ما هو إلّا مسألة وقت، أعتقد بأنّ لي غياباتي، جُملٌ بأكملها تطفر، كلّا، ليس بأكملها، ربّما سهوت عن المفردة الأخيرة للقصّة، ربّما لأني لم أفهمها، وإلّا لكنت قلتها، فهم لا يطالبونني بأكثر من هذا، وقد يكون هناك سجلّ لي، عند محاكمتي القادمة، إليك مثلاً، إنهم يحكمون لمصلحتي من حين إلى آخر، إنهم ناسٌ جادّون، سأعرف، وقد أقول في يوم ما ربّما ما فعلته شرّ، كم عددنا نحن في النهاية؟ ومن الذي يتكلم في هذه اللحظة؟ وإلى منْ؟ وعن ماذا؟ هذه السّماعات لا تعرف أيّ شيء، ليضعوا في النهاية في فمي شيئاً ما ينقذني، وما يطلبونه منّي، وأن نكفّ عن الكلام عنه، ولا يكلّمونني بعد، لكن هذه مصيبتي، يحكمون عليَّ عبر ألمي، الذي أفرغه بطريقة سيِّئة، كالخنزير، أبكم، من دون فهم، أبكم، وبلا استخدام آخر غير لغتهم، سيكون سجناً، إنه سجنٌ، كان هذا دائماً سجناً، أسمعُ كلّ شيء، كلّ ما يقولونه، إنّها الضوضاء وحسب، كأنّه أنا منْ تكلمَ، وحدي، عالياً، ينتهي المرء بعدم الفهم، صوت لا يتوقّف أبداً، من حيثما يأتي، ربما ثَمَّة آخرون هنا، معي، السّماء معتمة، كما ينبغي، وهذه ليست بالضرورة حالات سهو شخصية صغيرة، أو واحداً آخر، ربما لديَّ رفيقُ بؤس، يحبّ الكلام، أو ينبغي عليه الكلام، هكذا، لأجل لا شيء، أمامه، بلا توقّف، لكنّي لا أعتقد ذلك، ما الذي لا أعتقده، أن يكون لي رفيق بؤس، هو ذا، قد يُدهشني ذلك، أن تبلغ كراهيتهم إلى ذلك الحدّ، يقول إنّه قد يُدهشني، عليَّ نشل مبلغ من حين إلى آخر، وعيناي مفتوحتان، بالرغم

من ذلك كلّ شيء متواصل، لا أغادر، ولا أعود ثانية، ألا يمكن أن يكون بالأحرى أرقاً، عدمَ نوم نصفيّ؟ لكن لا شيءَ يتبدّل أبداً، لا شيء قابلٌ للنّسيان، ثقوب، كان هنّاك دائماً ثقوب، الصوت هو منْ يتوقف، الصوت هو الذي ما عاد يصلُ، ما الذي بمقدور ذلك عمله، ربّما كان مهماً، النتيجة ذاتها، لكن ربما لن تؤخذ بعين الاعتبار، استثنائياً. آه القرارات، حبسوني هنا، والآن يحاولون إخراجي، حتى يسجنوني في مكان آخر، أو لكي يوسعوني ضرباً، إنّهم قادرون على رميي إلى الخارج، الأمر يتعلق بمراقبة ما سأفعله، وهم مستندون على الحاجز، وأذرعهم مُتشابكة، والسيقان مُتباعدة، كانوا ينظرون إليّ، أو أنّهم لا يفعلون أيّ شيء سوى العثور عليَّ هنا، عند وصولهم، أو بعده بوقت طويل، ليس أنا ما يهمّهم، إنما المكان، يرغبون في المكان، لأجل إحدى عوائلهم، ما الذي تبغيه، يجب التفكير، التدبّر، حتى يسقط المرء على التفكير الجيّد، عندما سيصمت كلّ شيء، عندما سيتوقف الجميع، فذلك لأنّه قد تمّ قول الكلمات، تلك التي من المهمّ قولها، ولن يحتاج المرء إلى معرفة أيّها، إذ لا يمكنه معرفة ما هي، إنها موجودة هنا في مكان ما، في الكومة، في الموجة، وليس بالضرورة أن تكون الأخيرة، لا بدّ أن تكون مضمونة مِن صاحب الحقّ، وهذا يأخذ وقتاً، إنه بعيد، ذلك الذي يملك الحق، المعلّم، الذي يسلّمونه المحضر، كلّ شيء هنا، إنه يعرف الكلمات التي يُعتدّ بها، إنّه من اختارها، أثناء ذلك الوقت يواصل الصوت، أثناء ذهابهم نحوه، أثناء بحثهم عنه، أثناء عودتهم إلينا، مع قرارِ نُطق الحكم، تستمرّ الكلمات، السيِّئة، المُزيَّفة، إلى أنْ يتمكّن النظام، من إيقاف كل شيء، أو مواصلة كلّ شيء، كلّا، هذا غير نافع، الجميع يواصل وحده تماماً، حتى يتوصّل النظام إلى إيقاف كل شيء، ربما كانوا في داخله، في ناحية ما، ممّا قالوه للتوّ، الكلمات التي كان ينبغي قولها، ليست كثيرة بالضرورة، يقولون إنّهم، وهم يتكلّمون عنهم، بأن ذلك لأجل أن أصدّق بأنّي لم أكنْ أنا من يتكلم، أو إنه بالأحرى الصمتُ منذ مُغادرة الرّسول، حتى عودته ثانياً، بأمر المعلّم، أيْ استمر، فقد كانت هناك أشكال صمت

طويلة، من بعيد إلى بعيد، فترات هدنة حقيقيّة، كنتُ خلالها أسمعهم يُدمدمون، بعضهم يدمدم ربّما، انتهى هذا، في هذه المرّة وضعنا الإصبع على الجرح كما ينبغي، الآخرون، ينبغي البدء ثانية من البدء، متوسّلاً تعابير أخرى، أو التعابير ذاتها، مُرتّبة بطريقة أخرى، راحة للجميع، إذا أسمينا هذا راحة، المرّات التي انتظرنا فيها، معرفة مصيره، قائلين، ربما هذا لم يكنْ هذا، قائلين، من أين تأتي هذه الكلمات التي تخرج من فمي وما هو مغزاها، كلّا، لم نقلْ أيّ شيء، لأن الكلمات ما عادت تصل، إذا كان في إمكاننا تسمية هذا انتظاراً، حيث ليس ثَمَّة سبب، حيث نصغي، بلا سبب، مثلما كان الأمر منذ البدء، لأننا شرعنا في يوم ما بالإصغاء، ولأننا لم نعدْ قادرين على التوقّف، هذا ليس سبباً، إذا كنّا نسمّي ذلك راحة، لكن ما قصّة عدم القدرة على الموت هذه، العيش، الولادة، لا بدّ أنها تلعب دوراً، قصّة بقاء المرء في المكان الذي وجد نفسه فيه، يموت، يحيى، يولد، مع عجزه عن التقدم، والتراجع، جاهلاً من أين أتى؟ أين هو؟ وإلى أين يذهب؟ وأنّه في الإمكان أن يكون في مكان آخر، أن يكون بطريقة أخرى، دون افتراضه لأيّ شيء، ولا التساؤل مع نفسه عن أيّ شيء، لا يمكنه، إنّه هنا، لا يعرف أحداً، ولا يعرف أين، الشيء يبقى هناك، لا شيء يتغير، فيه، من حوله، ظاهرياً، ظاهرياً، يجب انتظار الخاتمة، لا بدّ أن تأتي الخاتمة، حينها سيكون، آنئذ ربما سيكون أخيراً في الخاتمة الشيء نفسه كذي قبل، وأثناء الوقت الطويل حيث كان من الضروريّ الذهاب نحوها، أو الابتعاد عنها، أو انتظار المرء لها مرتعشاً، أو بطريقة مُفرحة، حذِراً، مُستسلماً، بعدما قام بما يكفي، لكثرة ما وُجد، الشيء ذاته، بالنسبة لذلك الذي لم يقمْ بأيّ شيء، ولم يكنْ أبداً أيّ شيء، لو كان هذا الصوت قادراً على التوقف، الذي لا يتناغم مع أيّ شيء، ويمنع المرء من أن يكون شيئاً ما، في أيّ مكان، يمنعه بطريقة سيِّئة، كما ينبغي، مثلما ينبغي كفاية لكي تبقى هذه الشعلة الصغيرة الصفراء، التي ترمي بضعف بنفسها في كل الجهات، لاهثة، كأنها تحاول اقتلاع نفسها من فتيلها، شعلة صغيرة مُضحكة، ما كان يتحتّم إشعالها،

أو كان ينبغي تغذيتها، أو كان يلزم إطفاؤها، كان يجب إطفاؤها، تركها تنطفئ من تلقاء نفسها، النّدم، هل هذا يقربكم، يجعلكم أقرب إلى نهاية العالم، النّدم على ما هو كائن، على ما كان، إنّهما ليسا الشيء ذاته، بلى، إنهما ذاتهما، لا ندري، لا نعرف ما يحدث، لا ندري ما الذي حدثَ، ربما هي ذاتها، النّدم نفسه، وهذا سينقلكم، نحو نهاية النّدم، لكن قليلاً من ضبط الأعصاب، إنّها اللحظة السانحة، التقدم قليلاً، هذا لا يُقدّم أيّ شيء، ولا خطوة واحدة، هذا لا يفعل أيّ شيء، فنحن لسنا بقّالين، وهل يعرف المرء أبداً، كلّا، ربما سيخرج ماهود من جرّته ويذهب نحو بيغال Pigalle [1]، وهو يزحف على بطنه، مُنشداً، وصلت، وصلت، يا فؤاد قلبي، أو ماهود، هذا الماهود الطيب العجوز، ربما لن يكون قادراً بعد، بسبب عدم القدرة على لا شيء، بسبب فقدانه للقدرة، وعليه عدم تضييع هذا، لو كنتُ مكانهم، لهدَّدتُه بالفئران، فئرانٌ مائية، فئرانُ البالوعة، لأنها الأفضل، آه ليس كثيراً، اثنتي عشرة، خمس عشرة، هذا ما سيجعله يحسم أمره ربما، بالإقلاع، وعبر أيّ تقديم، لمواصفاته المستقبلية، كلّا، سيكون ذلك عبثاً، لا يمكن لفأرة أن تعيش هناك، ولا دقيقة واحدة، لكن لنُعد النظر قليلاً في تلك العين، هناك كان ينبغي البحث، ربما هي متورّدة نوعاً ما، وبياضها، لكثرة تبوّله، صار شرارة، ولا يجرؤ المرء على القول بأنه ذكاء، ما عدا هذا مُتماثلاً دائماً، شيء ما بارز ربّما، ذو قحفة كروية أكبر، يبدو أنه يُصغي، يَستهلكُ نفسه، بالضرورة، يسود، وسيكون من الواجب فوراً تقديم شيء له ليخرجه بوضوح عن نطاقه، بعد عشر سنوات سيكون الوقت متأخّراً تماماً، يكمن خطؤهم في أنّهم كانوا يتحدَّثون عن وورم باعتباره كان موجوداً واقعياً، في مكان مُحدَّد، فيما لم يكنْ كلّ هذا بعد سوى مشروع، لكنّه أصبح من المتأخّر في الوقت الحاضر التراجع عن ذلك، ليذهبوا أوّلاً إلى نهاية الشوط في خطئهم، بعدها سيكونون قادرين على طرح الأسئلة ثانيةً، وذلك في تجنّبهم إفساد

1 - أحد أحياء باريس المعروفة - المترجم

أنفسهم عبر الاستعمال النّزق للمفردات، وإلّا بالأفكار، القريبة من ملكة الفهم، كذلك كانت حالة وورم، لقد تمّت دراستها بطريقة غير وافية، يمكننا البرهنة على حاجتنا لمخلوقات كهذه، إذا سلّمنا بأنّهما اثنان، بلى وحتى تقديمنا لإمكانياتهم، ومن دون أن يُقحم المرء نفسه في موضوعهم من خلال خطابات عمياء وكئيبة، قليل من التأمل كان سيكشف لهم بأن ساعة الكلام، البعيدة عن الدَّقّ، لن تدقّ أبداً، لكنهم مرغمون على الكلام، ومحظورٌ عليهم أيضاً التوقّف، ليتكلموا عن شيء آخر إذاً، عن شيء ما يبدو وجوده قائماً نوعاً ما، ويمكن للمرء الثرثرة بخصوصه من دون أن يحمرّ خجلاً كل ثلاثين أو أربعين ألف كلمة لأنه استخدم مثل تلك التعابير، التي جعلت في الأخير اللغات الأكثر انتصاباً في كلّ الأزمنة، وهذه ضمانة سامية، تمشي سلفاً، سيكون هذا هو الأفضل، إنها القصّة القديمة، يريدون التسلية، مع بقائهم أوفياء لأنفسهم، كلّا، ليست تسليتهم، إنما هدوء أنفسهم، ولا هذا أيضاً، يُعزّون أنفسهم، أقلّ من ذلك، كيفما يكن، لحدّ أنهم لم يفعلوا لا هذا ولا ذاك، ولا ما يرغبون فيه، لأنّهم لا يعرفون ما هو، ولا حتى أعمال التّسخير الغريبة المفروضة عليهم، القصة القديمة، وقد يقول المرء إنهم ليسوا الناس أنفسهم الذين كانوا قبل قليل، كلّا؟ ما الذي تريدونه، إنّهم هم أيضاً لا يعرفون أنفسهم، وأين هم، وما يفعلونه، ولم لا يمشي هذا كما ينبغي، ولكن بطريقة سيِّئة مُقزّزة، لا بدّ أن يكون هذا هو هذا، حينئذٍ يكوّمون فرضياتهم التي ينهار بعضها فوق بعضها الآخر، وذلك ما هو إنساني، وسيكون حتى جراد البحر عاجزاً عن فعله، نحن جميلون، كلّنا، مهما كان عددنا، هل سيجعلوننا نسكن في العنوان نفسه، كلّا، لتمُتْ فكرةٌ كهذه، جميعنا جميلون، كلٌّ على طريقته الخاصة، أنا نفسي كنتُ سفيهاً بطريقة مُخزية، وعليهم البدء بملاحظة ذلك، أنا الذي كلّ ما فيه مُشاكس، بل وحتى كلّ ما حوله، وأحسن من هذا، كل منْ حوله، رجل- وعاء، الكلّ يدور، في الفراغ، لكن نعم، لا تحتجّوا، الكلّ يدور، إنّه رأس، أنا داخل رأس ما، أيّ تجلٍّ، هشّ، سرعان ما سقَوْني، آه من هذا الصّوت الأعمى، ولحظات

تلك النّفاثة المحصورة حيث يُصغي الجميع بتَولُّهٍ، والصوت الذي يتلمّس ثانية، دون معرفة ما الذي يبحث عنه، ومن جديد ذلك الصمت الهزيل، المُرتقب لما لا ندري ما هو، إشارة حياة، لا بدّ أنّ هذا هو ذاك، إشارة حياة تفلت من أحدهم، والتي سيتمّ إنكارها إذا وصلت، بالتأكيد، لو كان بمقدور كل ذلك وضع نهاية، سيتحقق السلام، كلّا، إنّهم لن يصدقوه، ويبقون في وضعية الترقّب، للصوت من جديد، ولإشارة الحياة، التي يكشف عنها أحدهم، أو لشيء آخر، مهما كان، وما الذي يمكن أن يكون عليه إلّا إشارات حياة، دبّوس يسقط، ورقة تتحرّك، أو الصرخة الصغيرة التي تطلقها الضفادع حين يشطرها المنجل على نصفين، أو حين يمسكون بها، في الماء، في الصيد بالحَرْبَة، وربما يمكننا مُضاعفة الأمثلة، بل إنّها ستكون فكرة رائعة، لكن هذا كلّ ما هنالك، لا نستطيع، ربما ينبغي على المرء أن يكون أعمى، فمع العمى يسمع بصورة أفضل، إذ لا تنقصنا المعلومات، ولدينا مع الأثاث مُدوزنات البيانو، وهي تقدم لنا «أ» فتسمع «ج» بعد دقيقتين من ذلك، وعلى أيّ حال لا نرى شيئاً، وما هذه العين إلّا خطأٌ كبيرٌ، لكن منْ يتكلم ليس وورم، هذا صحيح، إلى حدّ الوقت الحاضر، ومن يقول عكس ذلك يكون سابقاً لأوانه، ولا أنا أيضاً، إذا ذهبنا في هذا الاتجاه، وماهود لا صوت له بطريقة ملحوظة، القضيّة ليست هنا، في هذه اللحظة، نحن لا نعرف أين تكمن، غير أنها ليست هنا، آنياً، نعم، هذا مُسلٍّ، هذا يبكي لأجل نعم أو لا، أشكال الـ«نَعَم» تُبكيه، واللّاءات أيضاً، والـ«رُّبما» خاصة، والنتيجة هي أن توقّعات تلك التوقّفات الصاعقة لا تحصل أغلب الوقت على كلّ الاهتمام الجديرة به، ماهود أيضاً، أنا أفكر بوورم، ماهود أيضاً بكّاءٌ كبيرٌ، وربما تغافلنا عن الإشارة إلى هذا، لحيته مبلّلة بسبب البكاء، ذلك هو الغباء التّام، خاصة أن ذلك لا يجعله أكثر هدوءاً أبداً، كيف يمكن لذلك تهدئته، إنه بارد كالكافور، التعيس، لا يقدر حتى على لعنة خالقه، هذا ميكانيكي، لكن يجب نسيان ماهود، ما كان علينا التكلّم عنه أبداً، من دون شكّ، لكن هل كان نسيانه ممكناً؟ صحيح أنّنا ننسى كل شيء،

وبالرغم من ذلك، هناك خشية كبيرة من ألّا يدع ماهود نفسه تُمتصّ أبداً، تماماً، وورم نعم، سيختفي كلّيةً، كأنّه لم يكنْ في يوم ما، من جانب آخر تلك هي الحالة بلا ريب، كأنّه يمكن لشيء ما أن يختفي، قبل أن يكون موجوداً في البدء، سهولة في الكلام، بيد أن ماهود أيضاً هذا ليس واضحاً، أُفٌّ أُفّ، ليس واضحاً البتّة، لا أهمية لذلك، سيبقى ماهود هناك حيث وضعوه، محشوّاً حتى جمجمة وعائه، قبالة المسلخ، يتسوّل المارّة، من دون كلمة أو حركة أو لعب على سحنته الفيزيائية، فهي ليست مُفرحةً، وحين ننظر إليه، في الوقت ذاته مع صحن اليوم، أو بغيره، لا ندري لماذا، لكي يُصدّق المرء أنّه في الحمّام، أيْ موعوداً بالتفريغ، آجلاً أم عاجلاً، لا بدّ أن يكون هذا هو ذاك، يمكن أن تكون للمرء أفكارٌ كهذه، بلا تفكير، أنا نفسي، تهطل دموعي بسهولة استثنائية، لم تكنْ لديّ رغبة في قول ذلك، إذ لو كنت في مكانهم، لأهملت هذا التفصيل، الواقع هو أني لا أمتلك منفذاً كهذا، ولا واحداً، لا هذا ولا ما هو أقلّ منه نبلاً، كيف يمكن للمرء أن يسلك جيداً، في ظروفٍ كهذه، وما الذي يمكنه الإيمان به، الأمر لا يتعلّق أبداً بالإيمان، المُراد هو أن يقع كما ينبغي، على الأقلّ هذا، يقولون، إذا لم يكنْ أسود سيكون من دون ريب أبيض، لتعرفوا بأن هذا سوقيّ، كنهج، إذا أخذنا بعين الاعتبار كلّ الظّلال المتوسّطة، الجديرة بالاعتبار بعضها مثل بعضها الآخر، والوقت الذي يضيّعونه، في تكرار الشيء نفسه، فيما كان عليهم الانتباه إلى أنّه ليس الجيّد، تمييزات يسهل دحضها، إذا كانوا يرغبون في تحميل أنفسهم المشقّة، إذا كان لديهم الوقت، الوقت الذي يجعلهم يفكّرون بأنّ ما لديهم تافه، لكن وسائل التفكير والكلام في آنٍ معاً، تفكير المرء في ما يقول، يقول، ما سيتمكن من قوله، وهو يواصل القول، حينها يفكر كيفما يكن، يقول ما يطرأ على باله، نوعاً ما، سوف يدفعه على توجيه اللّوم غير القائم على أساس نحوَ نفسِه، مع عدم القدرة على الردّ عليها، فالأمر يتعلّق مباشرة بشيء آخر، لهذا هم يردّدون منذ الأزل الشيء نفسه، الصلوات ذاتها، تلك التي يعرفونها عن ظهر قلب، وذلك من أجل محاولة التفكير في

شيء آخر، أثناء هذا الوقت، محاولة التفكير في شيء آخر غير الشيء السيِّئ ذاته، دائماً سيِّئ، إنهم لا يعثرون، على شيء جديد يقولونه غير الذي يمنعهم من العثور، ومن الأفضل لهم أن يفكروا بما هم على وشك روايته، على الأقلّ لأجل التنويع في التقديم الذي يُعَدُّ له، لكن أن يفكر المرء ويتكلم في الوقت ذاته، هذا شيء له خصوصيته، كمَلَكَة، الفكر يتَسكَّع، والكلام أيضاً، الواحد بعيد عن الآخر، لا ينبغي علينا المبالغة، في النهاية، كلّ واحد من جانبه، حيوان الخلد الخزفيّ، أفضل للمرء أن يكون في الوسط، هناك حيثما يتألّم، هناك حيثما يبتهج، بلا كلام، بلا فكر، لا يقول أيّ شيء، ولا يكون شيئاً، لا يسمع أيّ شيء، لا يعرف شيئاً، ولا يقول أيّ شيء، ولا يكون شيئاً، هناك حيثما هو، لحسن الحظ إنّهم هنا، هنا بمعنى ألّا يكونوا في أيّ مكان بطبيعة الحال، لكي يتحملوا مسؤولية حالة الأشياء، التي إذا ما كنّا لا نعرف عنها شيئاً فنحن نعرف على الأقلّ التالي، حيث لا نودّ أن يكونوا من دون الإحساس، فبقاؤه أسمى من المعدة يكفي، نعم، لحسن الحظ إنّي تكلمت مع تلك الأشباح، فهم ليسوا دائماً معي، هذا ما أشعر به، يا لها من أشباح مقدّسة، وسوف ينتهون بجعلي أصدق بأنّي صفرتُ للطيور حتى أصطادها، المعلم على أيّ حال، لكننا لن نذهب إلّا عند الضرورة المطلقة، نحو ارتكاب خطأ الانشغال به، وها هم يضيفون الماء إلى خمرهم المغشوش، فهو سيكشف عن نفسه بأنّه ليس سوى موظّفٍ ذي منصبٍ عالٍ، وفي هذه اللعبة لن ننتهي من حاجتنا إلى الله، إذ في إمكان المرء أن يكون معوزاً، لكنها واحدة من السّفالات التي يُفضَّل تجنبها، لنبقى عائلة، فهذا أكثر حميميّة، نعرف بعضنا، وليس هناك مفاجأة نخشاها، وقد رأينا وصيّة الموت، لا شيء لأحد، هذه العين، الفضولية، كتلك العين التي تنادي على النظر، تتوسّل كي يهتمّ بها أحد ما، أن يفعل شيئاً لأجلها، أن يعينها أحد، لا نعرف منْ يعينها بأيّ شيء، أن تكفّ عن البكاء، أن تنظر، تحتدم، أن تنغلق، لا يرى المرء غيرها في هذا الوجه، انطلاقاً منها يبحث عن الوجه، وإليها يعود ثانية، من دون عثوره على شيء، ذي قيمة، لا شيء،

كمومسات الرّماد، وربما يكون شَعراً رمادياً طويلاً، يسقط إلى ما تحت الفم، اللّزج بسبب الدموع الشائخة، أو أذيال معطفٍ بالٍ كشراع، أو أصابعَ تتفرّق وتُرَصُّ وترغم نفسها على شطب كل شيء، وكلّ هذا بمجمله، أصابع، شَعر، أسمال، مخلوطة، ولا يمكن فصلها عن بعضها، افتراضات خرقاء بعضها كبعضها الآخر، إذ يكفي التعبير عنها حتى نتمنّى عدم قول أيّ شيء، نعرف ذلك، ماضٍ آخر، طالما تمّ تمنّيه، ماضٍ آخر غير الماضي الشّخصي، عندما نتعلّمه، إنّه أصلع، إنه عارٍ، ويداه مبسوطتان مرة وإلى الأبد فوق ركبتيه، ولا تغامر في مصادفة أيّ خطر، أين الوجه، في هذه الحالة؟ حماقاتٌ كلُّ هذا، والعين أيضاً ما عدتُ أصدقها، لا شيء هنا، لا شيء يُرى، لا شيء سوى الطريق، وهذا يسقط بدقّة في مكانه، حين نفكّر فيه، بما يمكن أن يكون عليه هذا، عالم بلا مُتسكَّع، وبالعكس... بررر! لا مُشاهد إذاً، والأكثر من ذلك بلا مشهد، هذا على الأقلّ سلفاً، لو كانت هذه الضوضاء قادرة على التوقف، لن يكون هناك أيّ شيء يُقال، أتساءل في نفسي حول ماذا تدور البرامج في هذه اللحظة، من المحتمل حول وورم، لقد تمّ التخلي عن ماهود، وأنا أنتظر دوري، نعم، أنا لا أيأس، في كل الأحوال، من لفت انتباههم نحوي، في يوم ما، ليس لأنهم يمثّلون لديَّ أيّة قيمة، خذ، لا بدّ أن يكون هناك خطأ ما، ليس لأنّه مهم بطريقة خاصة، هذا مفهوم، فهمته، لكن دوري حان، أنا أيضاً لي الحق إذاً في أن يعترفوا بي، مستحيل، كما أعتقد، لن ينتهي هذا أبداً، لا نفع في أن يصنع المرء لنفسه أوهاماً، بلى بلى، سيرون، من بعدي سيكون الأمر مُنتهياً، سوف يتنازلون، وسيقولون كل هذا لا وجود له، إنّه يقصّ علينا قصصاً، قصصاً حكاها له أحدهم، أيْ المعلّم، الذي لا نعرف من يكون، الشخص الثالث الأزلي، هو المسؤول عن حالة الأشياء هذه، ولا علاقة للمعلم بالأمر، ولا هم أيضاً، وأنا أقلّ من أيّ شخص آخر، لقد أخطأنا بتشابكنا مع بعضنا، معلّمي أنا، معلمهم، معلم نفسه، وهم لي، للمعلم، لأنفسهم، أنا لهم، أنا للمعلم، أنا لنفسي، كلنا أبرياء، كفى، أبرياء من ماذا، لا أحد يعرف ذلك كما ينبغي، رغبة

معرفة، رغبة قوة، تلك الضوضاء حول لا شيء، ومن أجل لا شيء، وذلك الاعتداء الطويل على الصمت حيث يبحثون، في كلّ سجن، عن معرفة أكبر عن ما يغطيه، هذه البراءة التي وقعَ فيها المرء، إنها تغطي الجميع، جميع الأخطاء، بما فيها الأسئلة، وتضع نهاية للأسئلة، حينئذ ستكون النهاية، ستنتهي بفضلي، أنا الذي لم أفهمْ أيّ شيء، من كل ما كانوا يعتقدون بأنه عليَّ قوله، ولم يتمكنْ من فعل أيّ شيء، من كلّ ما كانوا يعتقدون عليَّ فعله، وسوف يهبط الصمت علينا جميعاً، كما في الحلبة، بعد المذابح، والرّمل يصبح غباراً، أفقاً ساحراً، وها هم يستعدون لتقبّل رأيي، ففي نهاية المطاف ربما كان لي رأي، جعلوني أقول، لو كان هذا وحسب، هذا فقط، لقلته، لكن هم منْ يفكر، كلّا، ولا لديهم هم أيضاً، إنّ هناك حظوظاً عديدة في أن أكون عاجزاً عن تمنّي أو رثاء أيّ شيء، يبدو من الصعب أن يكون أحد ما، إذا تجرّأت على تسميته هكذا، قادراً على الطموح بموقف، مهما كانت المواصفات الحماسية التي يُضفيها عليه، لا يمتلك حياله أقلّ فكرة، أو يرغب بجدية بقطع الآخر هذا، الغامض هو أيضاً، الموقف الوحيد الذي صُنع لأجله منذ الأزل، ذلك الصمت الذي يتمتّعون به دائماً في أفواههم، الذي ربّما خرج منها، أو عاد ثانية إليها، بعد اكتمال لعبته، لا يعرف ما هو، ولا يعرف أكثر عن ما يُفترض فيه عمله، بالنسبة للمهنة، هذا هو الموضوع الشديد الأهمّية، الذي تتمّ مناشدته دائماً طلباً للعون في كل مرة لا تدور بها الأشياء على ما يرام، فهو يتحدث دائماً عن الاستحقاق والمواقف، التي أنقذ فيها أكثر من واحد، من العذاب أيضاً، فهو يعرف كيف يحثّ على الشجاعة، ويوقف الانهزام، من خلال لا شيء ما عدا تلك الكلمة التي يلقي بها في الميزان، شرط أن يقول، بعد أن يكون كل شيء قد عاد إلى نظامه، لكن أيّ عذاب، ما دام يتعذّب دائماً، وهذا ما يرمي بالبرودة من جديد، لكنه سرعان ما يمسك نفسه، ويُرتّب كل شيء مرّة ثانية، عبر إقحامه لأفكار الكمية الشهيرة، للتعود، للاستهلاك، ومن ثم يعبر فوقها، وهذا ما يخوّله، في اليقظة اللاحقة، ليعلن بأنها عاجزة في الحالة التي تهيمن عليه، لأنّه لا

يعرف ما الذي يعنيه فقدان الكرة، لكن، إذا نظرنا من فوق، ألم ينحنوا سلفاً فوقي، نحوي، لأنّ أحدهم توجعه رقبته، أو حوضه، ماذا أقول، ولا يعمل أبداً شيئاً آخر، منذ أن، ليس هناك تدقيقات زمنيّة على وجه الخصوص و، سؤال آخر، ما الذي جئتُ أفعله في قصص ماهود وورم، أو بالأحرى ما يفعلانه هما في قصّتي، وها هو ذا ثَمَّة خبز فوق الخشبة، مُتعفن، أعرفُ، أعرف، انتبهوا، هذه المرة ستكون اللّعبة الكبيرة، فكلّ هذا لم يكنْ سوى كلاماً منمّقاً، بلا لطخات، ذاته دائماً، أيْ، لكن لنرَ، يا عزيزي، يا عزيزي، لتنظر لمنْ هذه الصورة الفوتوغرافية، وهذه هي البطاقة، ليس هناك إدانات، أؤكد لك، لتبذل جهداً، في عمرك هذا، كائن بلا بطاقة هويّة، شيء مُخزٍ، أؤكد لك، لتنظر إلى هذه الصورة، كيف، أنت لا ترى فيها شيئاً، صحيح، لكن ليس لهذا أهمّية، خذ، انظر إلى هذا الرّأس الميّت، سترى، وسوف تعرف جيداً، ولن يأخذ الأمر وقتاً طويلاً، خذ، هذا هو الملفّ، تعدٌّ على الوكلاء، على الشرف العام، على قبّعة الرهبان، على القضاة، على الأعلى منك، على الأسفل منك، على العقل، من دون سبل الواقع، خذ، بلا سُبُل الواقع، هذا لا شيء، ستكون أفضل، وسوف ترى ذلك، ستخبرنا، إذا كان مؤثّراً، لكن لِنَرَ، مستحيل، خذ، إليك التّقرير الصحيّ، هُزال تشنّجي، دمّل نزّاز غير مؤلم، قلت بوضوح غير مؤلم، كلّ شيء غير مؤلم، ارتخاءات مُتعدّدة، تصلّبات متنوّعة، عدم الحساسيّة إزاء الضربات، البصر منخفض، عسر الهضم، تناول الغذاء بحذر، العجز عن التّغوط، السمع مُنخفض، قلب غير مُنتظم، مزاج عادي، حاسّة الشم منخفضة، النّوم جيد، لا ينتصب أبداً، هل ترغب في سماع المزيد، متعمّق في الأفعال المساعدة، التي لا يمكن إجراء عملية لها، ولا يمكن نقلها، خذ، هذا هو الرّأس، كلّا كلّا، من الطرف الآخر، أؤكد لك، هذه مناسبة، هل يعجبه، إذا كان يرغب في الشرب، لكن لنرَ، إنّه حماسه، ماذا تقول، ما هو اسم الأب والأم، متوفيان كلاهما، بفارق سبعة أشهر واحد عن الآخر، هو عند الحمل، وهي عند الولادة، أؤكّد لك، ألا تجد ما هو أفضل، في عمرك، من البقاء بلا شكل، أيَّ شيء يُرثى

له، حسناً، هذه هي الصورة الفوتوغرافية، سترى بنفسك، ستعرف بطريقة أحسن، ما هو، في هذه الظروف، لحظة تقضيها، فوق الأرض، ثمّ السلام، تحت، إنها الوسيلة الوحيدة، لتصدقني، لكي تخرج منها، كما تقول، ليس لديَّ شيء آخر، لكن بالتّأكيد، بالتّأكيد، انتظر، أنا أيضاً، تساءلت مع نفسي، إن لم تكنْ أنت بالأحرى، انتظر، ها هو، لكنّي كنتُ راغباً أوّلاً في المعرفة، ألا تفهم، ولا أنا أيضاً، لا أهمية لذلك، لم تحنْ بعد لحظة الضحك، نعم، كان معي الحق، هذه المرة إنّه أنت بالتّأكيد، إليك، هذه هي الصورة، تطلّع فيها، لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، عليك أن تتعجّل، هذه فرصة، وكذا وكذا، إلى أن تركت نفسي تُغوى، كلّا، هذا ليس صحيحاً، وهم يعرفون ذلك جيداً، بأنّي لم أفهمْ، لم أتحرّكْ، أنا على ما يرام، سأكون على ما يرام، حين يرحلون، لم أتحرّكْ، كلّ ما قلته، قلت ما فعلت، ما كنتُ عليه، إنّهم هم من قاله، أنا لم أقلْ أيّ شيء، لم أخرجْ، لكنهم لا يفهمون هذا، لا أستطيع الخروج، يعتقدون بأني لا أريده، وبأن شروطهم تلائمني، لا تلائمني، سوف ينتهي بالتوقيع على الشروط التي تناسبني، حينئذ، سأخرج، ويكونون قد قبضوا عليَّ، من الضّمادة، وهو كذلك، عليَّ رؤية الشيء، كلّا، لا أرى أيّ شيء، لا يفهمون ذلك، ولا يمكنني الذهاب نحوهم، عليهم المجيء للبحث عنّي، إذا كانوا يرغبون في رؤيتي، ليس ماهود منْ سيجعلني أخرج، ولا وورم أيضاً، إنهم كانوا يأملون كثيراً من وورم، لكي يطلعني إلى الخارج، إنه ليس كالآخرين المزعومين، هذا ممكن، بالنسبة لي هذا الشيء نفسه، لا يفهمون، لا يمكنني التحرك، أنا بخير هنا، سأكون بخير، إذا ما كانوا يرغبون بفكّ أسري، إذا أتوا للبحث عني، وإذا كانوا يرغبون في رؤيتي، لن يجدوا أيّ شيء، حينها سيكونون قادرين على المغادرة، وضميرهم مرتاح، أو إن كان هناك واحد، مثلي، سيكون في إمكانه المُغادرة، من دون خشية من الملامات، بعد أن فقد حياته لأجل القيام بالمستحيل، وما وراءه، أو يبقى هنا معي، كما يمكن أن يحدث له، وذلك ما سيهبني مثيلاً، سيكون هذا رائعاً، مثيلي الأوّل، سيكون يوم يؤرّخ له، تعرّفي على مثيلي، كلّا، لن

أعرف أيّ شيء، لا أهمية لهذا، سيكون رائعاً بالرغم من ذلك، مثيل، له العمر نفسه، ولن تكون له حاجة في أن يشبهني، لأنه سوف يشبهني، بالضرورة، وما عليه سوى ترك نفسه تنطلق، كما يمكنه الاعتقاد في أيّ شيء يريد، في اللحظة، التي ما عدت فيها أتحمّل أيّ شيء، أو أن يكون المكان قد أعجبه، كذلك يمكنه الكتابة لنفسه، ولن أذهب بعيداً، لتعودي إلى الإعلان عن قراراته، بصوت عالٍ، من أجل معرفتها بشكل أفضل، وبمقدوره أيضاً أن يضيف، لكل الغايات النافعة، في هذه اللحظة، وستكون نهاية حماقته، ما عليه سوى ترك نفسه تنطلق، وقد يتلاشى، ولن يعرف أيّ شيء أيضاً، سنكون نحن الاثنين هنا، لكلّ واحد منا غفلته، وبتغافلنا الواحد عن الآخر، إنّه حلم جميل ما فعلته للتوّ، حلم ممتاز، ولم ينتهِ، لأنّ شخصاً آخر يصل، يدفع زميله، يخرجه، ويعود إليه ثانية، إلى أقربائه، عبر التهديدات، الوعود، وقصص المهد، دولاب، صبيّ بكر، خنزير، ماء ودم، جلد وعظم، على هذا النمط، جعلهم يُخرجون زميله، مثلما أخرجوا هذا، أنا، هذا هو، هذا هو، عيد صغير، مُنتهٍ، حياته انتهت، كلّا، قبل، لكنك فهمت، وها نحن ثلاثة، هذا أكثر طرافة، ولم ينتهِ الأمر، هذا حلم لا نهاية له، المقصود هو النّوم وحسب، ومع ذلك، إنّه يشبه ما يحدث في الأغنية، يدخل كلب في المكتب، نحيل أبله، كان على ظهره ضربات ما عدت أعرف من أين تلقاها، مزقه الرئيس إرباً، وهذا المقطع الثّاني، حينما رأته بقية الكلاب سارعوا لدفنه، على قدم صليب من الخشب الأبيض، حيث يمكن للمارّين قراءة، المقطع الثالث، كالأوّل، والرابع كالثاني، والخامس كالثالث، هل يروق لكم أكثر، على الرحب والسّعة، على الرحب والسعة، وها نحن مئة، ألف، ما يزال هناك مكان، adeste adeste[1]، أحياء مجزوزة، ستكونون بخير، سوف ترون، لن تلدوا بعد اليوم أبداً، ماذا أقول، لن تكونوا قد ولدتم، أجلبوا معكم أطفالكم، سيكون تعذيبنا بالنسبة إليهم أمراً لطيفاً، مقارنة

1 – أناشيد مسيحيّة تؤدّى بمناسبة عيد الميلاد – المترجم.

بما فعلتُم أنتم لهم، لكن في الواقع، ألا يمكن أن نكون كثيرين سلفاً، جمهوراً، من خلال أيّ لقب يمكنني التفاخر بأني كنتُ الأوّل، ألا يمكن أن أكون بالأحرى الأخير، من حيث الزّمان أعني، تلك هي الأسئلة، شرط ألّا ينتبهوا بأنه يمكنهم الردّ عليها، من ناحية أخرى، ترى ما الذي هم على وشك تدبيره، في هذه الساعة المُتأخرة؟ هل قرّروا في النهاية مجابهتي، من الأمام؟ يمكن قول ذلك، في هذه الحالة، السّتارة لفترة قصيرة، اسمعْ اسمعْ، كنت مثلهم، قبل أن أكون مثلي، خراء إذاً، تلك زريبة البقر التي لن أعود منها قريباً، طيّب، طيّب، إشارة الهجوم تمّ إعطاؤها، انهض أيها الميت، عليكم بذرّ الحيامن[1]، أنا أيضاً، تعبت من الدفاع عن قضيّة غير مفهومة، بعشرين سنتافوس Centavos [2]، سعر كل حاجة للشّحاذة، تركت نفسي تسقط وسط الغيبوبات، صورة جميلة، نصوّر المجال بالتلسكوب، لا بدّ أن تكون هذه جائزة الغونكور Goncourt، إنهم يحاولون تنويمي، عن بعد، إنّهم يخشون دفاعي عن نفسي، ويرغبون في رؤيتي حيّاً، حتى يتمكنوا من قتلي، وهكذا أكون قد عشت، يعتقدون بأنّي حيّ، سيكون لهذا رائحة البعث، كانت هناك جثّة، ليست في البطن أيضاً، لم تكنْ مُنظّمة العاهرة التي تلفّظت بحماقة ضدّي، ذلك ما ينبغي عليه تضييق حقل البحوث، حين يموت، من البرد، في أغطية صبيّ، وهو يحرّك ذيله الصغير، ربّما أكون حيمناً يجفّف نفسه، في أغطية ولد، هذا طويل، كما يجب مواجهة كلّ شيء، ولا ينبغي الخوف من قول حماقة، كيف نعرف بأنها كانت إحدى الحماقات، الآن وقد أصبح من المتعذر ردّها، للسبب البسيط التالي، والأحمق هو الآخر، أو على وشك أن يكونه، إلّا إذا أفلت منهم، لتفكّروا، التعاسة قائمة هنا، وهذا له شأنه، كحياة، كقتل، هذا ما هو قائم، لتعترفوا، هناك أناس لديهم حظ، لأنّهم ولدوا عن حلم شبقي، لوضع الأشياء في مكان أحسن،

1 - الحيوانات المنويّة - المترجم.
2 - سنتيم - المترجم.

مكتبة
t.me/t_pdf

ميّتون قبل الفجر، حسناً، هذا منتشر تماماً حولنا، كلّا، إنّها لم تنزلْ بعد، الخصية، التي تسهر عليَّ، هذا متبادل، وميض آخر لمفلس، دورة أخرى حول ماهود وحول وورم، هذا حظّنا الأخير، لكن ماذا لديهما في الجمجمة، لم يبقَ ثَمَّة شيء، لم يكنْ هناك أبداً شيء، لسحبه من هذه القصص، لديَّ قصّتي، مثلما يقولون، سيرون بأنّه ليس هناك شيء يُسحب منها أيضاً، وسيكتشفون بأنّه ليس عندي قصص، سوف ينتهي كلّ هذا، جحيم القصص ذاك، وقد يقول المرء بأنّي أنا من يتلاسن معهم، المهارة نفسها دائماً، آه أيّها الرّجال المنحرفون، سأنتهي بملاسنتهم ربّما، وسيعرفون ما الذي يعنيه أن يكون المرء موضوعاً للنّقاش، سوف أُسمعهم كلمات لا تقال حتى للكلب، أذن، فم، مع تحطّم لملكة الفهم في الوسط، سأنتقم، بضع جولات من الفهم، سيرون ما هي، سأضع لهم عيناً في مكان ما من الكومة، هكذا، من المحكوم، فما دام في الإمكان أحياناً أن يتيه شيء ما، فسأجلس فوقه وأتغوّط لهم قصصاً، صوراً فوتوغرافية، ملفّات، مواقع، أنواراً، آلهة، أقرباء، كل الحياة اليوميّة، وأنا أُلاسن، لتلدوا، أيها الأصدقاء الأعزاء، لتلدوا، أدخلوني في الأساس، وسوف ترون ما إذا كان شيئاً طيباً تلوّي المرء هناك، عندي إسهال، سوف يرون ما هو، وبأنّه ليس شيئاً مريحاً، وله مذاق خاص، ليس متاحاً لأيّ كان، من الضروريّ أن يولَد المرء حيّاً، وهذا ليس بالشيء الذي يمكن اكتسابه، سوف يتعلمون من هذا ربما، أن يتركوني بسلام، نعم، لكن ها هو الواقع، لن أتمكّن من ذلك، ولن أكون قادراً على فعله بعد، ربّما تمكنت منه، في الأوقات الأخرى، في الزمن الذي حاولت فيه، بالتطابق مع التعاليم التي لديَّ، قيادة الكائن الغالي إلى الحظيرة، كانوا قد قالوا لي بأنّه غالٍ، كان غالياً لديَّ، وكنتُ غالياً عليه، وكنا كلّنا غالين، أمضيت كل حياتي وأنا أحكي له نكات، للغالي الرّاحل، في الوقت ذاته الذي كنت أتساءل فيه مع نفسي يا ترى يشبه ماذا، حيث كان بمقدورنا أن نلتقي، كلّ حياتي، أوه تقريباً، ليس هناك تقريباً، كلّ حياتي، قبل الالتحاق به، كنتُ غالياً عندهم، وهم غالون عندي، من وقت مبكّر، وسوف يلتحقون بنا،

الواحد بعد الآخر، من المؤسف أنّه لا يمكن حصر أعدادهم، خليط، هنا الشيء ذاته، يا جيفة الهروب العزيز، لن تمتلئ أبداً، حتماً كل شيء غالٍ هذا المساء، لا أهمّية لذلك، لا يسمع الآخرون أيّ شيء، والأخير هو من يتلقى ضربة عنيفة، مرافقي، هنا إلى جانبي، بالنسبة إليهم انتهى كل شيء، إلى جانب اللّاشيء، تحتي، نحن منضّدون بعضنا فوق بعض، كلّا، هذا غير متماسك أيضاً، هذا ليس بالمهمّ، إنه تفصيلة، بالنسبة إليه انتهى كل شيء، هو ما قبل الأخير، بالنسبة إليَّ أنا أيضاً انتهى، أنا الأخير، لن أسمع أيّ شيء بعد، ليس لديّ ما أقوم به، ما عدا الانتظار، هذا طويل، سيأتي ليُطرح فوقي، إلى جانبي، جلّادي الوفيّ، عليه أن يتألّم بما جعلني أتألّم منه، وليَّ السلام، يترتّب كل شيء، الصبر هو من يقوم بذلك، الزّمن يمضي، الأرض التي تدور هي من يفعل هذا، الذي يجعل الأرض لا تدور بعد، ويمنع الزمن من المرور، وأن يتوقّف العذاب، ليس هناك شيء سوى الانتظار، من دون فعل أيّ شيء، هذا لا يخدمنا في أيّ شيء، ودون أيّ فهم، هذا لا يجعلنا نتقدّم أبداً، وكلّ شيء ينتظم، لا شيء ينتظمُ، لا شيء، لا شيء، لن ينتهي هذا أبداً، وهذا الصّوت لن يتوقّف أبداً، أنا وحدي هنا، الأوّل والأخير، لم أؤلمْ أحداً، ولم أضعْ حدّاً لعذابات أحد، لا أحد يأتي لينهي عذاباتي، وهي لن تغادرني أبداً، لن أتحرك أبداً، ولن أحصل على السلام أبداً، ولا هم أيضاً، لكن هنا الواقع، إنّهم لن يلتزموا، يقولون إنهم لن يلتزموا، يقولون وأنا لا ألتزم أيضاً، إلى السّلام، فهذا في نهاية المطاف ممكن، كيف سألتزم، وما هذا، وقصة العذاب هذه، ما هي، يقولون بأني أتألّم، هذا جائز، سأكون في وضع أفضل إذا قمت بهذا، وإذا قلت ذلك، إذا تحرّكتُ، وإذا فهمت، إذا صمتوا، وإذا رحلوا، هذا ممكن، ما الذي تريدون مني أن أعرفه، من تلك الأشياء، ما الذي تريدون مني فهمه، مما يقولون، لن أتحرك أبداً، لن أفهم أبداً، لن أتكلّم أبداً، ولن يصمتوا أبداً، ولن يغادروا أبداً، ولن يقبضوا عليَّ أبداً، لن يتخلّوا عن ذلك أبداً، نقطة رأس سطر. أصغي، أحب هذا أكثر، ينبغي عليَّ القول بأني أحبّ هذا أكثر، ما هو هذا، آه إنك

تعرف، منْ أنتم، لا بدّ أن يكون الإسعاف، إليك، ثَمَّة إسعاف، هذا مشهد، يدفع المرء ثمن مقعده وينتظر، أو قد يكون مجاناً، ننتظر أن يبدأ هذا، ننتظر بداية المشهد، المشهد مجاناً، أو ربما يكون إجبارياً، ننتظر أن يبدأ هذا، المشهد إجباري، هذا طويل، نسمع صوتاً ما، ربّما يكون ترديداً، أحدهم يُردّد، بعض المقاطع المُختارة، المُصادق عليها، والمتأكّدة، صبحيّة شعريّة، أو أحدهم يرتجل، وبالكاد يُسمع، هذا هو المشهد، لا يقدر المرء على مغادرته، يخشى الابتعاد عنه، في مكان آخر ربما يكون الوضع أسوأ، يتدبّر المرء نفسه بقدر ما يتمكّن، ويلتزم بالتّفكير، فقد جاء مبكراً جداً، هنا لا بدّ من اللّاتينية، وهذا لم يفعلْ سوى البداية، ذلك لم يبدأ بعد، ولم يقمْ إلّا بالمدخل، ويرخي حنجرته، وحده في مقصورته، سيكشف عن نفسه، سوف يشرع، أو أنّه القيّم على المسرح، يُعطي تعليماته، وآخر توجيهاته، سترفع الستارة، ذلك هو المشهد، انتظار المشهد، بصوت الدّمدمة، يفكّر المرء، هل هذا صوت في النهاية، ربّما يكون الهواء، صاعداً، نازلاً، مُنطفئاً، مُزوبعاً، بحثاً عن مخرج، من بين العوائق، أين بقية المشاهدين، لم تتمّ ملاحظة ذلك، في سيل الانتظار، أن ينتظر المرء وحده، هذا هو المشهد، انتظار وحيد، في الجوّ القلق، أن يبدأ هذا، شيء ما يبدأ، أن يكون ثَمَّة أحد غير المرء ذاته، وأن يكون بمقدوره المغادرة، بلا خوف، وهو يفكّر، ربما يكون أعمى، لكنّه من دون شك أصمّ، حدث المشهد، كلّ شيء انتهى، لكن أين هي اليد، أو ببساطة ثرثار، أو يدفع ثمناً لأجل هذا، إنها طويلة في ما هو قادم، خذ يدك، واخرج بها إلى الخارج، هذا هو المشهد، لا يكلّف شيئاً، انتظر وحدك، أعمى، أطرش، لا نعرف أين، لا نعرف ما هو، أن تأتي يدٌ، تسحبك من هناك، وتذهب بك إلى مكان آخر، حيث قد يكون أسوأ، هذا لأجل حضرتكم، وها نحن مبرهنون لحضرتكم، والآن الـ«هذا»، الذي أحبه أكثر، الذي ينبغي عليَّ القول بأني أحبّه أكثر، أيّة ذاكرة، ورق ذباب حقيقي، لا أعرف، ما عدت أحبّه أكثر، ذلك كلّ ما أعرفه، إذاً لا حاجة بي إلى المعاناة لأجل الانشغال به، شيء ما صرنا نحبّه أكثر، هل ترون هذا،

الانشغال بالـ«هذا»، أبداً ما دامت هناك حياة، ينبغي الانتظار، فأن يكتشف المرء ما يفضله، سيكون من الضروريّ إجراء تحقيقٍ أصوليّ، من جانب آخر، الأسود، الأسود، لا نعرف أبداً، ما هو موقفها منّي، من ناحية أخرى، أنا لم أتغيّر، لقد خدعتُ نفسي، خدعوا أنفسهم، خدعوني، كانوا يرغبون في خديعتي، لم أفهم ما الذي كانوا يريدون فعله، ما الذي كانوا يرغبون في فعله بي، أنا أقول ما أمروني بقوله، نقطة رأس سطر. وما زلت لا أعرف، لا أشعر بأن لديَّ فماً، ولا أشعر بالكلمات تتدافع في فمي، وحينما يقول المرء قصيدة يحبّها، عندما يحب الشعر، في المترو، أو في سريره، لأجله هو، تكون الكلمات حاضرة هنا، في جهة ما، من دون أقلّ ضجّة، لا أشعر بهذا أيضاً، الكلمات التي تقع، لا ندري أين، ولا نعرف من أين جاءت، قطرات صمت عبر الصّمت، لا أشعر بذلك، لا أشعر بنفسي كفم، ولا أشعر بنفسي كرأس، هل أشعر بنفسي كأذن، كلّا بالطبع، للأسف، لا أشعر بأنّي أذن أيضاً، وبأنّ هذا ليس على ما يرام، ابحثوا جيّداً، لا بدّ أنّي أشعر بشيء ما، نعم، أشعر بشيء ما، يقولون بأنّي أشعر بشيء ما، لا أعرف ماذا يكون، لا أعرف ما أشعر به، قولوا لي ما الذي أشعر به، وسأقول لكم من أنا، سيقولون لي من أنا، لن أفهم، بيد أنّ ذلك سيُقال، سيكونون قد قالوا من أنا، وسأكون قد سمعتهم، وأكون قد قلته لهم، بلا فَم كنت قد قلته، وسمعتهم وأنا خارج نفسي، وأنا داخل نفسي أيضاً، ربّما هذا ما أشعر به، وبأنّ هناك داخلاً وخارجاً وأنا في الوسط، وقد يكون هذا أنا، الشيء الذي يشطر العالم نصفين، من جانب الخارج، ومن الآخر الداخل، ربّما يكون هذا حاداً كشفرة، أنا لست من هذا الجانب ولا من ذاك، أنا في الوسط، أنا الفاصل، لديّ وجهان وبلا سمك، ربّما هذا هو ما أشعر به، أشعر بأنّي الذبذبة، أنا طبلة الأذن، من جهة هناك الجمجمة، ومن الأخرى العالم، أنا لا من هذا ولا من ذاك، ليس أنا منْ يوجهون له الكلام، ولست أنا من يفكرون فيه، كلّا، ليس هذا، لا أشعر بأيّ شيء من كل هذا، لتجربوا شيئاً آخر، يا عصابة الخنازير، لتقولوا شيئاً آخر، حتى أسمعه، لا أعرف كيف، وسأردّده، لا

أدري كيف، أيّ فظاظات بالرغم من ذلك، قول الشيء نفسه دائماً، جعلوني أقول الشيء ذاته دائماً، في حين يعرفون بأنه ليس الجيّد، كلّا، هم لا يعرفون أيّ شيء أيضاً، ينسون، يعتقدون بأنهم غيّروا ولكن في الواقع لا يغيّرون أبداً، إنّهم هنا لكي يقولوا الشيء ذاته إلى حدّ موت المرء، حينها ربما يسود صمت قصير، الوقت الذي يسمح للفريق الثاني بالبدء من أساس العمل، ليس هناك غيري أزلي، ما الذي تشاؤون، لا يمكنني الولادة، ربّما هنا يكمن حسابهم، قول الشيء ذاته دائماً، جيل بعد جيل، وجعلي أتنازع مع الموت دائماً، إلى الحد الذي أخرج فيه من محوري وأشرع في الصراخ، حينها سيقولون، ها هو يبدأ، سيحتجّ، هذا أمر مفروغ منه، لنذهب، لا فائدة من مجيئنا إلى هنا، هناك آخرون ينتظروننا، أما هو فقد انتهى، انتهت تعاساته، ستُستأنف تعاساته ثانية، سوف تنتهي تعاساته، تم إنقاذه، نحن أنقذناه، جميعهم متماثلون، كلهم يدعون أنفسهم مُخَلِّصين، وجميعهم يتركون أنفسهم يلدون، كان ذلك مقطعاً قاسياً، سيمثّل مهنة جميلة، عبر هيجان الغضب، من خلال التأسفات، لن يغفر لنفسه أبداً، وهكذا يمضون، وهكذا يشطرون، على خطّ هندي، أو اثنين مع اثنين، على طيلة الساحل الرمليّ، إنه إضراب، من فوق الحصى، في الرمل، في هواء المساء، إنّه المساء، هذا كلّ ما نعرفه، المساء، الظلال في كل مكان، فوق الأرض، نعم، لكنّها هنا، محاوري، لن أخرج منها، ولا في المساء أيضاً، هذا غير مؤكّد، ليس بالضروري، الفجر أيضاً يصنع ظلالاً طويلة، فوق كلّ شيء ما زال واقفاً، هذا هو الشّيء الوحيد المهم، الظلّ وحده له أهمية، الحياة له، بلا شكل أو راحة، ربّما يكون هذا هو الفجر، مساء الليل، المسألة ليست هنا، يرحلون، هكذا يرحلون، في اتجاه إخوتي، كلّا، لا شيء من هذا، بلا إخوة، هذا هو، لترسموه، إنهم لا يفهمون، يهبّون، من دون معرفة إلى أين، نحو المعلّم، هذا جائز، لتلاحظوه جيّداً، هذا ممكن، لكي يحرّروه، بالنسبة إليهم انتهى كلّ شيء، بالنسبة إليّ يبدأ كلّ شيء، النهاية تبدأ، يتوقفون، بغية سماع صرخاتي، لن يتوقفوا، بلى، إنهم يتوقّفون، تتوقّف

صرخاتي، من حين إلى آخر، أتوقّف عن الصّراخ، لكي أصيخ السّمع، إذا لم يردّ عليَّ أحد، حتى أرى إذا لم يأتِ أحد، إذا لم يأتِ أيّ شخص، ثم أذهب، أغلق عيني وأمضي، صارخاً، وأنا أصرخ في مكان آخر، نعم، ولكن، فمي لن أفتحه، لن يكون بمقدوري، لا فم لديَّ، أيّ عمل جميل، سيزرعون لي واحداً، ثقب صغير أولاً، ثم لا يني يتوسّع، أعمق فأعمق، سيغطس فيَّ الهواء، الهواء المُنشّط، وسرعان ما يخرج، وهو يصرخ، لكن أليس هناك مبالغة في الطلب، أليس شيئاً مفرطاً، مطالبة كهذه، من شيء قليل تماماً، هل ثمّة فائدة منها؟ ألا يمكن أن يكون كافياً، دون أيّ تغيير وهو على حالته، مثلما كان دائماً، من دون أن يأتي فم ويحفر نفسه هناك حيث حتى التجاعيد لم تفلحْ في نقش ذاتها، ألا يمكن أن يكون كافياً، ماذا، ضاع الخيط، يا للبؤس، لنأخذ غيره، قليل الحركة، تفصيلة تمحو نفسها، تنهض ثانية، سيقوم هذا بنقرة بإصبع الوسط، سيشعر الجميع بها، سيشكل هذا كرة ثلج، وعمّا قريب سيكون هيجاناً شاملاً، القاطرة ذاتها، سفرات بحذافير المفردة، سفرات أعمال، للدراسات، للتمتّع، للتحرّك بحريّة مُتفق عليها، نزهات عاطفية معزولة، أذكر الخطوط الرئيسة، أنواع الرياضة، ليالٍ بيضاء، تمارين تلين، اختلاج، تشنّجات، تيبسات جثثية، انفصال عن مجموع العظام، يجب أن يكون هذا كافياً، ذلك لأن القضية قضية كلمات، قضية صوت، لا ينبغي نسيان ذلك، يجب القيام بمحاولة عدم نسيانه كليةً، الأمر يتعلق بشيء ينبغي قوله، بواسطتها، بواسطتي، هذا ليس واضحاً، من الأجدر أن يسأل المرء نفسه إن لم تكنْ سَلَطة الحياة والموت هذه ليست غريبة عليهم تماماً، وليست غريبة عنّي أيضاً، الحقيقة تكمن في أنّهم لا يعرفون بأيّ موضع هم حيالها، وأين أنا، لم أعرفْ أنا ذلك أبداً، أنا هناك إزاءها حيثما كنت دائماً، لا أعرف أين، منها، وأجهل ما تشير إليه، صيرورة ما، حيث سأكون محشوراً، أو أنّني لم أواجهها بعد، وأنا في اللّامكان منها، ذلك هو ما يَشغلهم، فهم يريدون أن أكون في مكان ما، ولا يهمّ أين، إذا كانوا قادرين على إيقاف المماحكة، عنهم، عنّي، وعلى الهدف الذي يُراد بلوغه،

المواصلة وحسب، ما دام هذا ضرورياً، حتى الإنهاك، كلّا، لا شيء من هذا أيضاً، المواصلة وحسب، بلا وهم إنّها شرعت في يوم ما، والتمكّن في يوم ما من الاستنتاج، لكن هذا شاقّ تماماً، صعب للغاية، وخالٍ من الهدف، ولا يرغب في أن تكون له خاتمة، أو سبب وجود، في زمن لم يكنْ فيه، يصعب أيضاً عدم نسيانه، في تعطّشه إلى القيام بشيء ما، حتى لا يكون عليه بعد القيام به، على الأقلّ ليكون لديه هذا لفعله، ليس ثَمَّة ما ينبغي عمله، لا شيء خاصّاً ينبغي فعله، لا شيء ممكنٌ فعلُه، كذلك من غير النافع، في العطش، في الجوع، كلّا، لا حاجة إلى الجوع، يكفي العطش، في العطش، لا فائدة للمرء من سرد القصص على نفسه، لكي يقضي وقته، القصص لا تجعل الوقت يمرّ، لا شيء يمكنه تمريره، لا أهمية لذلك، هو كما هو، نسرد على أنفسنا قصصاً، ثم نسرد كيفما يكون، قائلين، هذه ليست قصصاً، فيما هي قصص دائماً، أو بالأحرى لم يكنْ هناك قصصٌ أبداً، وكان ذلك كيفما يكن دائماً، دائماً يسرد المرءُ على نفسه أيّ شيء، من أبعد ما يمكنه تذكّره، وحتى أبعد من هذا قليلاً، فهو لا يتذكر أيّ شيء، دائماً كيفما اتّفق، الشيء نفسه دائماً، لقضاء الوقت، ثم، لا ينقضي الوقت، من أجل لا شيء، في العطش كان يرغب في التوقف، لكنّه لم يتمكّنْ، محاولاً معرفة لماذا، لِمَ هذه الحاجة إلى الكلام، وحاجته إلى التوقّف، استحالة التوقّف هذه، قد عثر على سببها، ولم يعدْ يعثر عليه، يعثر عليه ثانية، ويفقده ثانية، يكفّ عن البحث، ويبحث من جديد، لم يعثرْ على شيء، وعثر عليه في النهاية، وما عاد يعثرُ، يتكلّم دائماً، عطشانٌ دائماً، يبحث دائماً، يسأل نفسه عن ماذا، ما المقصود، يبحث عمّا يتمّ البحث عنه، صارخاً آه نعم، يتأوّه، لكن كلّا، ينوح كفاية، مُسائلاً نفسه ليس بعد، يبحث دائماً، ويفقد الكرة، يبحث عن الكرة، ويسرد دائماً، أيّ شيء، وما زال يبحث، كيفما يكن، في العطش، الذي لم نعدْ نعرف ما هو، آه نعم، شيء ما يمكن فعله، لكن كلّا، لم يبقَ أيّ شيء يمكن عمله، منذ متى، منذ الأزل، ثم يكفي، إلّا لمرات، ونحن نبحث في هذا الاتجاه، ينبغي بذل الجهد مرة أخرى، ما

الذي نبحث عنه، صحيح، لنحاول معرفته، قبل البحث، ما نبحث عنه، قبل البحث في هذا الاتجاه، أيّ اتجاه، لنتكلم دائماً، لنبحث دائماً، في ذاته، خارج ذاته، لنكفّ عن البحث، لنفقد الكرة، لنلعن الله maudissant Dieu، لنكفّ إذاً عن لعنته، ما عاد بمقدورنا، يمكننا دائماً، لنبحث دائماً، في الطبيعة، في ملكة الفهم، من دون معرفة ما نبحث عنه، ولا معرفة أين يكون، أين الطبيعة، أين الفهم، ذلك ما نبحث عنه، من الذي يبحث، يبحث لمعرفة من هو، الضياع الأخير، أين هو، ما الذي يفعله، ما الذي فعله بهم، ما الذي فعلوه بكم، يتكلم دائماً، أين الآخرون، منْ الذي يتكلّم، ليس أنا من يتكلّم، وأين أنا، وأين هذا، في المكان ذاته الذي كنتُ فيه دائماً، أين الآخرون، الآخرون هم منْ يتكلم دائماً، يوجّهون كلامهم إليَّ، وعنّي أنا يتكلمون، أسمعهم، أنا أخرس، ما الذي يريدونه، ما الذي فعلته لهم، ما الذي فعلته لله، ما الذي فعلوه لله، ما الذي فعله بنا الله، إنه لم يفعلْ بنا أيّ شيء، ولم نعملْ له نحن أيّ شيء أبداً، لا يمكننا فعل أيّ شيء له، ولا يستطيع أن يفعل لنا شيئاً، نحن أبرياء، وهو بريء، ولم يرتكبْ أحدنا خطيئة، وما معنى ألّا يكون هناك خطيئة لأحد، حالة الأشياء هذه، منْ الأشياء كان، وهكذا، والحمد له، وليكن مطمئناً، سيكون الأمر دائماً كذلك، ما الذي سيكون دائماً هكذا، كيف هكذا، نتكلم دائماً، في العطش، نفقد الكرة، لنواصل البحث، لنكفّ عن البحث، لنبحث ثانية، ما الذي يبتغونه، أن أكون هذا، أو ذاك، وأن أصرخ، أتحرّك، أخرج من هنا، أن ألد، أن أموت، أن أسمع، أنا أسمع، ليس كفاية، أن أفهم، أحاول، لا أقدر، لا أحاول، لا أقدر على المحاولة، يكفيني ما عندي، البائس، هم أيضاً، ليقولوا ما يرغبون بقوله، وليعطوني شيئاً أفعله، شيئاً ما يمكن عمله، من أجلي، البؤساء، لا يستطيعون، لا يعرفون، هم مثلي، أكثر فأكثر، لا حاجة بي إليهم، لا حاجة لي بأيّ أحد، لا أحد يقدر على عمل أيّ شيء هناك، أنا من يتكلّم، لا نفع من سردي على نفسي قصصاً، في العطش، في الجوع، في الثلج، في الفرن، لا أشعر بأيّ شيء، هذا يُثير الدهشة، لم يعدْ المرء يشعر بأنّه فم، لا حاجة

إلى الفم، الكلمات في كلّ مكان، في داخلي، خارجي، قبل قليل لم تكنْ لي كثافة، أسمعهم، لا أحتاج إلى سماعهم، لا حاجة إلى رأس، من المستحيل إيقافهم، يستحيل عليَّ التوقّف، أنا في الكلمات، أنا مصنوع من الكلمات، كلمات الآخرين، أيّ آخرين، المكان أيضاً، كذلك الهواء، الجدران، الأرض، السّقف، من كلمات، الكون برمّته هنا، معي، أنا الهواء، الجدران، مُسمّراً بالجدران، الكلّ يستسلم، ينفتحُ، ينحرفُ، ينسحبُ، ندف، أنا كلّ هذه النّدف، المتقاطعة، المتّحدة، المنفصلة، أينما أذهب أعثر على نفسي، أترك نفسي، أذهب نحوي، آتي مني، ليس هناك إلّا أنا، جزء مني، أعيد التقاطي، أضيعه، خائب، كلمات، أنا كلّ تلك الكلمات، كلّ هؤلاء الغرباء، غبار الفعل هذا، بلا عمق يمكن وضع القدم عليه، لا سماء يختفي فيها المرء، يلتقي فيها ليقول، ليهرب منها حتى يقول، أنا كلّهم جميعاً، أولئك الذين ينضمّ بعضهم إلى بعضهم الآخر، وهؤلاء الذين يفترقون، أولئك الذين يجهلون أنفسهم، ولا شيء آخر، بلى، شيء آخر مختلف تماماً، أنا كلّ شيء آخر، شيء أصمّ، مكان قاسٍ، فارغ، مُنغلق، يابس، واضح، أسود، حيث لا يتحرّك أيّ شيء، ولا شيء يتكلّم، وأنا أصغي، أسمع، وأبحثُ، كبهيمة ولدت في قفص، بهائم ولدت في قفص عن بهائم ولدت في قفص عن بهائم ولدت في قفص، عن بهائم ولدت في قفص، عن بهائم ولدت في قفص وماتت في قفص ولدت وماتت في قفص في أقفاص ميتة في أقفاص ولدت ثم ماتت ثم ولدت، كبهيمة أقول، يقولون، بهيمة كهذه، ما أبحث عنه، مثل هذه البهيمة، بوسائلي الفقيرة، كهذه البهيمة، التي لم يبقَ من نوعها سوى الخوف، الغضب، كلّا، انتهى الغضب، سوى الخوف، لم يعدْ ثمّة شيء مما كان يعود إليها سوى الخوف، مئة ضعف، الخوف من الظلّ، كلّا، إنّها عمياء، ولدت عمياء، من الضوضاء، إذا شئنا، هذا ما ينبغي، من الضروريّ أن يكون ثَمَّة شيء، ضجيج بهائم، ضوضاء بشر، ضجّة الليل والنهار، ذلك يكفي، خوف من الضوضاء، خوف من كلّ أنواع الصّخب، نوعاً ما، خوف من نوع ما، كلّ أشكال الضوضاء، ليس هناك إلّا واحدة،

وحيدة، متواصلة، ليل نهار، ما هي، إنها خطوات تذهب وتعود ثانية، إنّها أصوات تتكلّم للحظة، إنّها أجساد تشقّ طريقها، إنّها الهواء، إنّها الأشياء، إنّها الهواء بين الأشياء، يكفي هذا، أن أبحث، مثلها، كلّا، ليس مثلها، مثلي أنا، على طريقتي، ماذا أقول، على طريقتي، أبحث، ما الذي أبحث عنه الآن، ما أبحث عنه، لا بدّ أن يكون هذا، لا يمكن أن يكون إلّا هذا، ما هو، إنّه ما يمكن أن يكون، ما يمكن أن يكون بالضبط، ماذا، ما أبحث عنه، كلّا، ما أسمعه، هذا يعود إليَّ ثانية، أبحث، أسمع منْ يقول إنّي أبحث عمّا يمكن أن يكون، ما أسمعه، يرجع إليَّ ثانية، ومن أين يمكن أن يأتي، ليصلني، ما دام كل شيء صامتاً هنا، والجدران سميكة، وكيف أعمل، إذا لم أشعرْ بأنّي أذن، من دون شعوري بأنّي رأس، أو جسد، وبلا روح، كيف أعمل؟ ولمَ أعمل؟ لكن حتى لا أعمل أيّ شيء، كيف أعمل؟ هذا ليس واضحاً، أنتم تقولون هذا ليس واضحاً، يعوزه شيء ما لكي يكون واضحاً، سأبحث، سأبحث عمّا يعوزه، حتى يكون كلّ شيء واضحاً، أنا دائماً على أهبة البحث عن شيء ما، هذا مُضجر، في نهاية المطاف، ولم يكنْ سوى البداية، كيف أعمل؟ ولماذا أعمل؟ لكي يكون كل شيء واضحاً، كيف عليَّ أن أعمل، ضمن هذه الظروف، حتى أعمل ما أعمل، أيْ، ما أعمله، لتقولوا لي ما الذي أعمله، أتساءل كيف يمكن أن يكون هذا ممكناً، أسمع، تقولون بأنّي أسمع، وأبحث، هذا ليس صحيحاً، لا أبحث عن أيّ شيء، ما عدت أبحث عن أيّ شيء، في النهاية، لنمرّ، لا ينبغي الإصرار، على ما أبحث عنه، إنّهم على وشك إنعاش ذاكرتي، وما أبحث عنه، أولاً، ما هو، ثانياً، من أين يأتي، ثالثاً، كيف أعمل، كفى، كيف أعمل، لكي أعمل، نظراً لهذا، وتوقع ذلك، ما دمت لم أعدْ أعرف ما هو، هذا واضح، كيف عليَّ أن أعمل، لكي أسمع، وكيف أعمل، حتى أفهم، هذا ليس صحيحاً، بمَ يمكنني الفهم، لهذا أنا أتساءل عنه، كيف أعمل، لكي أفهم، أوه ولا حتى النصف، ولا الواحد من مئة، ولا خمسة من ألف، لنواصل التقسيم بالخمسين، ولا الرابع من مليون، هذا يكفي، قليلاً بعد، لا بدّ أنّ هذا يستحق أكثر، خسارة، الأمر

هكذا، قليل بعدُ بالرغم من ذلك، أقلّ ما يمكن، هذا جدير بالتقدير، وافٍ، المعنى العام من كل تعبير واحد على ألف، على عشرة آلاف، لنواصل المضاعفة، بعشر مرات، لا شيء أكثر راحة من الحساب، على مئة ألف، على مليون، هذا إفراط، هذا ضئيل، انخدعنا، لا أهمية لذلك، لا يُغيّر أيّ شيء قطعاً، هنا، من تعبير إلى آخر، ما إن يقبض على واحد يترك كلّ البقية، هذه ليست حالتي أنا، كلّها، كما ستنطلقون، من أجل الجميع دائماً، الكلّ الذي هو الكلّ، الكلّ الذي هو لا شيء، ليس في الوسط أبداً، أبداً، دائماً، هذا كثير للغاية، هذا قليل جداً، غالباً، نادراً ما، لنختصر، بعد هذا الاستطراد، هناك أنا، أشعر بهذا، نعم، أعترف به، أركعُ، يوجد أنا، لا بدّ من ذلك، هذا أفضل، ما كان عليَّ القول، لن أقوله دائماً، أستغلّه، وجب القول، هذه طريقة في الكلام، من أن هناك أنا، من جانب، وهذه الضوضاء من جانب آخر، ذلك ممّا لا أشك فيه أبداً، كلّا، لنكن منطقيين، هذا ما لم يُشكّ فيه يوماً، هذه الضجة، من جانب آخر، إذا كان هذا الآخر، سيكون هنا بلا ريب مادة لمُداولتنا القادمة، أعني بأنّه حان الوقت للتعامل مع هذه القضية بعمق، برأس مُستريح، أختصر، الآن حيث أنا هنا، أنا منْ سيختصر، أنا وهذه الضوضاء، لا أرغب في شيء آخر في هذه اللحظة، لكني دخلت للتوّ في الحركات، أنا وهذه الضوضاء، وحين سيكون الأمر كذلك، لا تقاطعوني، سأعمل بأفضل ما لديّ، أُكرّر، أنا وهذه الضوضاء، شيئان، نقلب نظام الطبيعة بخصوصهما، يبدو أن هذا صار مُكتسباً، من بين أشياء أخرى، أيْ، من جانب، فيما يتعلّق بالضوضاء، التي لم يكنْ تحديدها بالدقة حتى الوقت الحاضر ممكناً، ولا حتى مُحتملاً، لأنها لم تكنْ معروفة، كضوضاء، ولا كيف وصلت إليَّ، ولم يبثها أيّ عضو، ولا من هو الذي لمحها، ولا أيّة فطنة قبضت عليها، بخطوطها العريضة، و، من النّاحية الأخرى، أيْ فيما يتعلق بي، سيكون ذلك أطول، فيما يتعلّق بي، سيكون هذا فرحاً، لم تتَحْ الفرصة بعد لإثباته ولا بأيّة درجة من الدقة لمعرفة منْ أكون، وأين أنا، إذا كنت كلمات وسط كلمات، أو أنا الصمت في الصمت، بغية التذكير بفرضيتين

من الفرضيّات المطروحة بخصوص هذا الموضوع، مع أن الصّمت لقول الحقيقة لم يجعلْ نفسه ملحوظاً حتى الوقت الحاضر، لكن ليس علينا الالتفات نحو المظاهر، أشرع من جديد، لم تكنْ قائمة، من بين أشياء أخرى، معرفة من أكون، كلّا، لقد أشرت إلى ذلك من قبل، ما الذي أفعله، وما عليَّ عمله لكي أسمع، إذا سمعت، وإذا ما كنت أنا منْ يسمع، ويمكنه الشكّ، لا أعرف، الشكّ قائم هنا، في خصوص هذا الموضوع، من جهة ما، أسمع، كما كنتُ أفعل، حتى أسمع، إذا كنت أنا من يسمع، وكيف أفهم، قطعٌ ناقص إذا كان ممكناً، هذا يجعلنا نربح الوقت، كيف يكون الأمر بغية الفهم، التحفّظ ذاته، وكيف يتمّ صنع ذلك، إذا كنت أنا من يتكلّم، يمكننا افتراض هذا كما يمكننا الشك فيه، إذا كنت أنا من يتكلّم، لأتكلّم، بلا توقّف، لديَّ رغبة في التوقّف، لو استطعت التوقّف، أشير إلى الخطوط العريضة، هذا يوجز أكثر، أبدأ ثانية، لم يكنْ قائماً، فيما يتعلّق بي، إذا كنت أنا منْ يبحث، وما الذي أبحث عنه بالدقّة، يعثرُ، يفقدُ، يعثر ثانية، يرمي، يبحث من جديد، يرمي من جديد، كلّا، لم أرمِ أيّ شيء أبداً، لم أرمِ أيّ شيء من الأشياء التي عثرت عليها، لم أعثرْ أبداً على ما فقدته، لَا شيء فقدته مما كان في إمكاني رميه، إذا كنت أنا من يبحث، سيجد، يفقد، يعثر ثانية، يفقد مرة أخرى، لم يعدْ يعثر بعد، ولا يبحث بعد، إذا كنت أنا ذلك، وإذا لم أكنْ أنا، هو، وما هو، فلن أرى أيّ شيء آخر، للحظة، بلى، بلى، أختم، لم يكنْ قائماً، نظراً لعدم أهمية سرد المرء القصص على نفسه، كما اتّفق، لكي يمرّ الوقت، لا أهمية لهذا، يمكن للمرء التساؤل في نفسه، لِمَ لا يمرُّ الوقت؟ لماذا أقوم به؟ إذا كنتُ أنا منْ يقوم به، كأنّه كان من الواجب أن تكون هناك أسباب لكي يقوم المرء بعمل أيّ شيء كيفما يكن، لكي يمضي الوقت، لا أهمية لذلك، يمكن أن يسأل المرء نفسه، لأجل الذاكرة، لِمَ لا يمرّ الوقت؟ لِمَ لا يترككم، لحظة بعد لحظة، من كل الجوانب، من الأعلى أكثر فأكثر، أكثر فأكثر سماكة، زمنكم أنتم، وزمن الآخرين، زمن الشيوخ الميّتين، وزمن الميّتين الذين سيولدون، لماذا

يقدمُ لكي يدفنكم قطرة قطرة لا أحياء ولا أموات، ولا ذاكرة لأيّ شيء، بلا تاريخ ولا مستقبل، مطمورين تحت الدّقائق، وترون كيفما يكن، والفم ممتلئٌ بالرّمل، بطبيعة الحال، هذا إلى جانب السؤال، أنا والزمن، يشكّل هذا اثنين، لكن يمكن للمرء التساؤل في نفسه، لِمَ لا يمرّ الوقت، هكذا، من أجل الذاكرة؟ يمرّ، لأجل عبور الوقت، أعتقد أنّ هذا هو كلّ شيء، في هذه اللحظة، لا أرى أيّ شيء آخر، ما عدت أرى شيئاً آخر، في هذه اللّحظة، ليس عليَّ بعد طرح أسئلة على نفسي، إذا كان هذا أنا، هذه الأرانب، التي تمنعني من العثور على نفسي ثانية، إلّا إذا كان المقصود واحداً آخر، واحداً من اثنين آخرين، كما قال الآخر، لا يجب ذلك، حلول أخرى، على قدر الإمكان، نعم هذا هو، حلول أخرى، استخدام كبير لمبدأ البخل، كأني كنت متآلفاً مع ذلك، لم يتأخّرْ الوقت تماماً، لنفترض بشكل خاص من الآن فصاعداً أنّ الشيء الذي يُقال وذلك الذي يُسمع من المصدر ذاته، مع تفادي إثارة الشكّ حول إمكانية افتراض أيّ شيء، لنضع ذلك المصدر فيَّ أنا، من دون تحديد أين، وبلا إتقان، مع أنه يفضّل أن يكون وعي شخص ثالث وهناك، بطريقة عامة قليلاً، عالم خارجي، لندفع إذا لزم الأمر بهذا الضاغط إلى ألّا يكون هناك ما نواجهه إلّا عقلاً استثنائياً في بلادته، وما علينا أن نسمع أيّ شيء مما يقول، لا من قَبْلُ ولا في وقت متأخّر تماماً، ولا نفهم، جانبياً، إلّا الحدّ الأدنى بالدقّة، لنشير إلى اللّحظات الصعبة، حيث يمكن للإحباط التهديد بجعلنا نشعر به، صورة لفم كبير غبيّ، أحمر، أهدل، لُعابي، في السرّ، يُفرغ نفسه بلا كلل، بضوضاء غسل الملابس والقبلات العظيمة، والكلمات التي تُعيقها، لنطرح جانباً مرة واحدة وإلى الأبد، في الوقت ذاته، التشبيه والإدانة المُستهلكة، كلّ فكرة عن البداية والنهاية، عندما نتجاوز، وهذا أمر طبيعي، الميل إلى التعبير المشؤوم، عندما أقبض عليَّ، بلا قلق وجداني أو مراعاة، بالنسبة لذلك الموجود، بطريقة ما، وليس من المهم ما تكون، بلا إتقان، ذلك هو ما كانت ترغب فيه هذه القصة، في لحظة ما، أن تكون القصة، أفضل من هذا، لتعيروني جسماً ما، وحتى أحسن

من ذلك، انتحلوا لي عقلاً، أن أتكلم عن العالم وعني، الذي يسمى الداخل أيضاً، من دون خنقي، لا في شك بأيّ شيء، لا نبحث عن أيّ شيء، لنغتنم من الروّح، من الغلظة، من الأعصاب المُحترقة، لكي نتخلى، ذلك التخلي الوحيد الممكن، من الداخل، في الأخير، باختصار، لقد تمّ أخذ تلك القرارات، وغيرها أيضاً، ولنواصل بهدوء مثلما كنا في الماضي، ثمّة شيء ما قد تغيّر بالرغم من ذلك، ولا كلمة واحدة عن ماهود، ولا عن وورم، منذ، آه نعم، نسيتُ، التكلّم عن الزمان، من دون تردّد و، أفكّر في ذلك، عن طريق التّداعي العاديّ للأفكار، واستخدام المجال باللّامبالاة ذاتها، كأنّه غير مسدود من كل الجهات، على بعد بضع بوصات، وهذا ليس بالأمر السَيِّئ سلفاً، بضعة أشبار، لكي أتنفس، أجلب لنفسي الهواء، حتى أكون قادراً على سحب لساني، وإذا سحبته، أسحبه ثانية، عندما أفكّر في ذلك، بمعنى، كلّا، لم أقلْ أيّ شيء، حين أفكّر فيه، أيْ في الوقت الذي فقدته، لأجل ألواح النشارة هذه، بدءاً من مورفي، الذي لم يكنْ الأوّل، فيما كانت لديّ أنا، في البيت، وتحت اليد، متساقطة فوق جلدي وعظمي، من النشارة الحقيقية، ميتاً من الوحدة والنسيان، إلى حدّ أني شككت للتو في وجودي، وما زلت، حتى اليوم، لا أعتقد بأني موجود ولو للحظة، بحيث إنه ينبغي عليَّ التساؤل، عندما أتكلّم، من الذي يتكلّم، ويبحث، وهكذا دواليك والأمر ذاته بالنسبة إلى الأشياء الأخرى، التي حدثت لي، والتي يجب العثور فيها على أحدهم، لأنّ الأشياء التي تحدثت عنها في حاجة إلى أحدهم، لكي تحدث له، ولا بدّ من واحد لإيقافها، لكن مورفي والآخرين، حتى ننتهي مع الاثنين المقدامين، لم يكونا قادرين على إيقافها، الأشياء التي حدثت لي، ولهما أيضاً لم يكنْ هناك ما يمكنه الحدوث لهما، لا شيء مما حدث لي، ولا شيء آخر غيره أيضاً، ما من شيء آخر، لا ينبغي الاكتفاء بالكلمات، والأشياء التي تحدث لي، كالسّماع، الكلام، والبحث، التي لا يمكنها أن تحدث لي، لكنّها تطوف حولي، كأجساد تعترضها صعوبة، مشقّة إثبات نفسها، صعوبة توقّفها، كلّا، كالضباع، تجعر وتضحك، كلّا أيضاً،

للأسف، أبوابي مغلقة في وجهها، وقد يكون الصّمت هنا، وهناك السلام، أن يفتح المرء أبوابه ويدعها تفترسه، وربما كانت ستتوقّف عن النّباح، وتشرع في الأكل، الأفواه التي تنبح، افتحوا، افتحوا، ستكونون في وضع جيّد، سترون، يا للراحة التي يجلبها هذا، في العودة إلى الوراء، والطّوفان الواسع حول الأفق بلا شراع، بين كلّ غطستين، شيء لذيذ، كما أعتقد، عجز المرء عن إغراق نفسه، في هذه الظروف، نعم، هأنذا، بعيداً عن أبوابي، بعيداً عن جدراني، ينبغي عليَّ إيقاظ حامل المفاتيح، لا بدّ أن يكون هناك واحد، كما أنّي أنا بعيد عن كلماتي، لنعود إليها، لكنّه لم يكنْ هناك، لم يكنْ في المكان الذي توقعته فيه، مزيج غريب من الصلابة والسيولة، لم يعدْ هو ذاته، أو أنّي أخطأت المكان، بلى، إنّه هو ذاته، هناك دائماً، في المكان نفسه، شيء مؤسف، كنتُ راغباً في فقدانه، كنتُ أرغب في تضييع نفسي، قد أكون راغباً في فقدان نفسي كما في سابق الأوقات، في الزّمن الذي كنتُ ما أزال أتمتّع فيه بالمخيّلة، أغلق عيني وها أنا في الغابة، أو على حافّة البحر، أو في مدينة لا أعرف فيها أيّ شخص، إنّه الليل، كل واحد رجع إلى داره، أتجوّل في الشوارع، أخترقها الواحد بعد الآخر، إنّها مدينة صباي، أبحثُ عن أمي، لكي أقتلها، كان عليَّ التفكير في ذلك مُبكراً، قبل الولادة، السّماء تمطر، أشعر بالراحة، أتجوّل وسط الطريق المُعبَّد، وأقوم بانعطافات كبيرة، الآن أنتهي، عيناي مغلقتان وأرى الشيء نفسه لو كانتا مفتوحتين، أيْ، انتظروا، سأقوله، سوف أحاول قوله، لديَّ فضول لمعرفة ما يمكن أن يكون، ما أراه، وعيناي مفتوحتان، وهما مغلقتان، لا شيء، ما عدت أرى أيّ شيء، من أيّ جانب أستدير، ولا، أعمى، هذا المخلوق الصغير ذو الأقنعة العديدة في ذهابه وإيابه، بمروره من الظل إلى النور، ويقوم بما يمكنه، وهو يبحث عن وسيلة، لكي يبقى بين الأحياء، أن يمرّ جانبياً، أو، محبوساً، ينظر من خلال النافذة نحو السماء المُتقلبة دائماً، هذا هو الأمر، لم يعدْ بمقدوري فقدان نفسي، لا أعرف، ما الذي كنتُ أراه في الماضي، حينما كنتُ أجازف برمقة عين، إن كنت أفتحها أو أغلقها، اثنان، ربما كانتا

زرقاوين، ومع معرفتي بعدم نفع ذلك، لأن لديَّ رأساً أيضاً، في الحاضر، حيث يمكن معرفة أشياء عديدة فيه، أتكلم عني، هل هذا ممكن، بالتأكيد كلّا، وهذا شيء آخر أعرفه أيضاً، سأتكلم عن نفسي، حينما أكفّ تماماً عن الكلام، من ناحية أخرى، المقصود ليس الكلام عنيَّ، بل عن الكلام، أن يكفّ الكلام، هذا الاضطراب الطفيف يبدو لي مبشراً بالخير، وسيكون عليَّ العثور ثانية على اسم لهذا البديل الأخير، برأسه المُقرقع بالتطمينات الحقيرة، في عينَي الدمية هذه، في الوقت اللاحق، اللاحق، يجب أولاً وصفه طويلاً، ورؤية ما بمقدوره، من أين يخرج، شيء غاية في الأهمّية؟ من أين يدخل؟ في رأسه بطبيعة الحال، نحن غير ذاهبين للسقوط ثانية في النوع المتشرّد، بعد أن حلبنا ماهود وآخرين كوورم، الآن أنا منْ يتكلم بسرعة، رحلَ المحاصرون، أنا سيّد الحافّة، بعد الفئران، ولن أتسلّق بعد ما بين المصاطب، تحت ضوء القمر في ظلّ الهراوات، شيء غريب هذا المزيج من الصلابة والسيولة، قليل من الهواء بعد قليل ستكون العناصر كاملة، كلّا، نسيتُ النار، جهنّم مُضحكة بالرغم من ذلك، ربما تكون الجنّة، ربما الأرض، وقد تكون شواطئ بحيرة تحت الأرض، يتنفّس المرء بالكاد، لكنه يتنفس مع ذلك، هذا ليس مؤكّداً، ولا يرى أيّ شيء، ولا يسمع أيّ شيء، يسمعُ القبلة الطويلة للماء الميت والطين، هناك في الأعلى لا شيء سوى عشرين باعاً لرجال يأتون ويذهبون، يحلم هناك، حلما يتسع للمستيقظين، يتساءل المرء مع نفسه من أين يحصل على هذه المعلومات، فهو يرى حتى العشبة، عشبة الصباح، الخضراء المُزرقّة من التورّد، عيني ليست عاطلة إلى هذا الحدّ، هما ليستا عينَيَّ، عيناي انتهتا، ولم تعودا تبكيان حتّى، تنفتحان وتنغلقان بحكم العادة، ربع ساعة من الانفتاح، ربع ساعة من الانغلاق، كعينَيْ هدهد في المغارة المُسيّجة لحديقة باترسيا Battersea، باترسيا بارك، يذكرني هذا بشيء ما، آه الطقوس الجنائزية، لن أنتهي إذاً أبداً من الرغبة في الحياة، كلّا، كلّا، ولا برأس أيضاً، خاصّة الرأس، حتى وهو في رأسه لن يمضي إلى أيّ مكان، حاولت، مشدوداً بالوتد، العينان معصوبتان،

مُكمّماً حتى الحنجرة، لآخذ قليلاً من الرّطوبة، تحت الآلام الداخلية، نرتل شيلي Shelley، الذي لا تؤثر فيه السهام، أجل، من الرأس، ولكن الممتلئ، من العظم الممتلئ، حيث هرب المرء، كأنه أحفورة في صخرة، ربما يكون أنا في نهاية المطاف، لن أتمكن من المواصلة، على أيّ حال، لكن يجب عليَّ المواصلة، سأواصل، هذان سيان، ينخفض الصوت، تلك هي المرة الأولى، كلّا، عرفت ذلك من قبل، بل إنه صمت تماماً، غالباً، هكذا سينتهي هذا مرة أخرى، سأصمت، بحكم نقص الهواء، بعدها سيعود الهواء وسأشرع ثانية، صوتي، الصوت، نعم، أسمعه بطريقة سيِّئة، أعرف هذا، سوف يتوقف، ولن أسمعه بعد، سأصمت عما قريب، ألّا أسمع بعد هذا الصوت، هذا ما أسمّيه صمتي، أيْ أنّي ما زلت أسمعه، حين أصغي جيداً، سأصغي جيداً، إصغاء جيد، هذا ما أسمّيه صمتي، مُهشّم، ضعيف، سوف أسمعه دائماً، من دون سماع ما يقوله، هذا ما أسمّيه صمتي، بعد ذلك سينتفخ، كالنار التي تعاود الاشتعال، كالنّار التي تنطفئ، لقد شرح لي ماهود كل ذلك، سأنبثق، من الصمت، يُصغي المرء بطريقة سيِّئة تماماً لكي يتمكن من الكلام، هذا هو صمتي، أيْ أني أتكلم دائماً، وأحياناً بصوت منخفض تماماً، بعيد جداً عني، بعيد للغاية في داخلي، لكي أسمع نفسي، كلّا، أنا أسمع، لكي أفهم، لا لأني لم أفهمْ أبداً، يبتعد، يدخل ثانية، خلف الباب، سأصمت، سيكون هناك الصمت، سأصغي، إنه أكثر قسوة من الكلام، أسوأ كألم، كلّا، ليس أسوأ، الشيء نفسه، إلّا إذا كان هذه المرة الصمت الحقيقيّ، ذلك الذي لا ينبغي عليَّ قطعه، أو الذي قد لا أصغي إليه، حيث يمكنني الهذر في زاويتي، الرأس قد ارتحلَ، واللّسان قد ماتَ، الذي حاولتُ أن أغنَمَه، الذي أعتقد بأني قادر على الفوز به، لم أعدْ أعتمد عليه، سأتوقّف، أعني سأتظاهر بالتوقف، وسيكون كالبقية، كأنّ أحدهم كان ينظر نحوي! كأنّي كنت أنا! سيكون الصمت ذاته دائماً، تتخلّله بعض الدمدمات التعيسة، بعض اللّهاث، شكاوى غير مفهومة، تمتزج بالضحكات، وحالات صمت صغيرة، كمدفون في وقت مبكر تماماً، سيدوم هذا ما يمكن أن

يدومه، ثم سأبدأ من جديد، أنبعث ثانية، ذلك ما ربحته بتحملي لكثير من المشقة، إلّا إذا كان هذه المرّة الصمت الحقيقيّ الأخير، ربما قلت ما ينبغي قوله، وهذا ما يمنحني حق الصّمت، وعدم الإصغاء ثانية، ولا السماع، من دون معرفته، أصغي سلفاً، صمتٌ قليلاً، في المرّة القادمة لن أحمِّل نفسي مثل هذا العناء، سأقصّ قصة قديمة عن ماهود، ولا يهم إياها، كلّهن مُتماثلات، من دون إتعاب نفسي، ولن أنشغل بنفسي، وسوف أعرف بأن أيّ شيء أقوله ستكون نتيجته ذاتها، ولن أصمت أبداً، حتى أكون دائماً في السلام، إلّا إذا حاولت ثانية، للمرّة الأخيرة، قول ما ينبغي قوله، عنّي، أشعرُ بأنه سيكون عنّي، ربما هنا يكمن خطئي، لأنّه لم يبْقَ لديَّ أيّ شيء أقوله، لا شيء أسمعه، قبل أن أكون ميتاً، ها هي تعود ثانية، أنا فرِحٌ بها، سأحاول بعجلة، تحاول ماذا، لا أعرف، المواصلة، الآن ليس هناك أحد، يا لها من مواصلة طيبة، ما عاد بعد أحد، هذا مزعج، ولو كانت لي ذاكرة جيدة لتبيّنت لي ربّما إشارة النهاية، الوقفة الطيبة ربما، الأخيرة، ما دام لم يعدْ هناك أحد، أيّ أحد يمكن الكلام عنه، شخص يتكلّم معكم، وعليه القول، بأنّي أنا منْ صنع هذه الحياة لنفسي، وأنا منْ يتكلّم عنّي، حينها سأفتقد النفاثة، وتنطلق بداية النهاية، يصمت المرء، إنها النّهاية، هي ليست كذلك، سنبدأ من جديد، نسينا، هناك أحدهم، واحد يكلّمكم، عنكم، عنه هو، ثم ثانٍ، وبعده ثالث، ثمّ الثاني مرّة أخرى، ثم الثلاثة في آن معاً، يكلّمونكم، عنكم، عنهم، وما عليَّ سوى الإصغاء، بعدها يرحلون، الواحد عقب الآخر، يصمتون، الواحد بعد الآخر، فيما يتواصل الصوت، إنه ليس صوتهم، لم يكونوا هنا أبداً، لم يكنْ هناك أيّ شخص، لا أحد غيركم، لا شيء غيركم، أنتم تتحدثون عن أنفسكم، تنقطع النّفاثة، لأنها النهاية، تتوقف النّفاثة، إنّها النهاية، إنّها ليست كذلك، أسمع نفسي تتكلم، يشرع ثانية هذا، كما عليه أن يمر هكذا، لو كانت لي ذاكرة، أو لو كانت هناك أشياء، شيء واحد في مكان ما، يمكن الكلام عنه، وقد نعثر فيه على مبررٍ لعدم وجود أيّ أحد، ليكون ذلك الذي يتكلّم، إذا كان ثَمَّة شيء في مكان ما، ينبغي الكلام عنه، حتى

من دون رؤيته، وبلا معرفة ما هو حتى، الشّعور بأنّه هنا وحسب، مع المرء، في جهة ما، ستكون لديه شجاعة عدم السكوت ربّما، لأنّه سيُعاقب، يُعاقب لأنّه سكت، مع ذلك لا يمكنه عمل شيء آخر غير السكوت، سوى أن يُعاقب لأنه سكت، إلّا أن يُعاقب لأنه عُوقبَ، ما دمنا نبدأ ثانية، تنقطع النّفاثة، لو كان ثَمَّة شيء ما وحسب، ها هو الواقع، ليس هناك شيء، فأولئك الذين رحلوا أخذوا معهم الأشياء، حملوا معهم الطّبيعة، ولم يكن هناك أحد أبداً، ولا شيء أيضاً، لا أحد غيري، لا شيء دوني، وأنا أتكلّم عني، يستحيل عليَّ التوقف، تستحيل عليَّ المواصلة، لكن يجب أن أواصل، سأواصل إذاً، من دون أيّ أحد، بلا أيّ شيء، ما عداي أنا، أنا وصوتي فقط، يعني أنّني سأتوقّف، سأختم عما قريب، إنّها النهاية سلفاً، النهاية هي ما يُبدأ، التي لن تكون كذلك، ما هي، ثقب صغير، ينزل فيه المرء، إنه الصمت، ثم الضوضاء، يُصغي، إنه أسوأ من الكلام، كلّا، ليس أسوأ، مثله، ننتظر، قلقين، هل نسوني، نعم، كلّا، أحدهم ينادي، يناديني، أثبُ، ما هذا؟ قبٌّ صغيرٌ، في الصحراء، النهاية هي الأسوأ، كلّا، البداية هي الأسوأ، ثم الوسط، بعده النهاية، وفي الأخير النهاية هي الأسوأ، مع هذا الصوت، كل لحظة هي الأسوأ، وهذا يمرّ عبر الزمن، الدقائق تمرّ، بعضها وراء بعضها الآخر، بالتعاقب، هذا لا يتدفق، لا تمرّ، إنها تصل، بوه، بوف، بوه بوف، تنفذ في دواخلكم، وتنطّ ثانية، لا تتحرك بعد، حين لم يعدْ المرء بعد يعرف ما يقوله وهو يتكلم عن الزمن، عن الدقائق، هناك من يُضيفها بعضها على بعضها الآخر لكي يصنع منها حياة، أنا لست قادراً، كل واحدة منهنّ هي الأولى، كلّا، الثانية، أو الثالثة، لديَّ ثلاث دقائق، ومع ذلك، ليس في كل يوم، كنتُ في مكان آخر، فعلتُ شيئاً آخر، كنتُ في ثقب، خرجتُ منه للتو، ربما هناك صمت، كلّا، أقول هذا، لكي أقول شيئاً ما، حتى أتمكّن من المواصلة بعدُ قليلاً، لا بدّ من المواصلة بعدُ قليلاً، يجب المواصلة لوقت طويل ثانية، ينبغي المواصلة مع الدائم، لو كنتُ قادراً على تذكّر ما قلته لكرّرته، لو كان بمستطاعي تعلم شيء ما عن ظهر قلب، عندئذ سيكون قد تم

إنقاذي، يجب أن أقول دائماً الشيء نفسه وهذا يتطلّب جهداً، كما ينبغي على الدّقائق أن تكون كذلك كل واحدة منها سيِّئة، ما الذي أنا على وشك قوله الآن، أنا على وشك مُساءلة نفسي، مع ذلك لديّ ذكريات، أتذكر وورم، يعني أني احتفظت باسمه، والآخر ذاك، ما اسمه، ماذا كان اسمه وهو في الجرّة، أراه جيداً، أراه أفضل ممّا أرى نفسي، أعرف كيف عاش، الآن أتذكّر بأني كنت الوحيد الذي رآه، لكن أنا لا يراني أحد، ولا حتّى هو، ما عدت أراه، ماهود، كان يُسمّي نفسه ماهود، لم أعدْ أراه، ولا أعرف كيف عاش، لم يعدْ هنا، لم يكنْ هنا أبداً، في جرّته، لم أرَه أبداً، مع ذلك أتذكّره، لأني تكلّمت معه مرة، لا بدّ أني تكلمت معه، الكلمات ذاتها تعود، إنّها ذكرياتي، أنا منْ ابتدعه، هو وغيره من بين كثيرين، والأماكن التي مروا بها، والأماكن التي مكثوا فيها، حتى يكون بمقدوري الكلام، ما دام ينبغي التكلّم، دون الكلام عني، لم يكنْ في إمكاني الكلام عني، لم يقولوا إنّ من واجبي التكلّم عني، ابتدعتُ ذكرياتي، من دون معرفة ما قمت به، ولا واحدة منها عنّي، هم من طلبَ مني التكلّم عنهم، كان لديهم الرغبة في معرفة كيف كانوا، كيف كانوا يعيشون، وذلك ما أعانني، أعتقد أن ذلك قدّم لي العون، ما دام ليس ثَمَّة ما يُقال، ما دمت قد كنتُ مرغماً على قول شيء ما، كنتُ أعتقد بأني حرٌ في قول أيّ شيء كما أشاء، ما دمت لم أسكتْ، ثم قلت في نفسي في نهاية المطاف قد لا يكون بالضرورة أيّ شيء كيفما يكن، ما قلته، وقد يكون بالدقة ذلك الشيء الذي كانوا يطالبونني بقوله، كلّا، لم أعتقدْ ولم أقلْ أيّ شيء لنفسي، فعلت ما كنت قادراً عليه، شيء ما فوق قواي، وغالباً ما كنت عاجزاً عن القيام به لذا لم أفعلْه بعد، وبالرغم من ذلك واصل صنع نفسه، كما أصبح الصّوت مسموعاً، ذلك الصّوت الذي يمكنه أن يكون صوتي، ما عاد لديَّ صوت، مع ذلك كان لا بدّ أن يكون، ما دمت لم أتمكّن من الصّمت، وبأنّي كنتُ وحدي، وبعيداً عن أيّ صوت آخر، نعم، في حياتي، ما دام علينا تسميتها هكذا، كانت هناك ثلاثة أشياء، استحالة الكلام، استحالة سكوتي، والعزلة، الجسدية بطبيعة الحال، وقد حاولت

تدبير أمري معها، نعم، يمكنني الآن الكلام عن حياتي، كما لا يمكنني أن أكون مرهفاً بسبب تعبي المُفرط، غير أنّي لا أعرف ما إذا كنتُ في الحياة، ليس لديّ حقاً رأي في هذا الموضوع، وعلى أيّ حال، أعتقد بأنّي عما قريب سأصمت نهائياً، بالرغم من الحظر الذي فرضوه عليَّ، حينئذ، نعم، هكذا، كحيٍّ، لننطلق، سوف أصبح ميتاً، عما قريب سأكون ميتاً، آملُ أن يُغيرني ذلك، كنتُ أرغب في الصمت قبل ذلك، وفي بعض اللّحظات كنتُ أعتقد بأنّي سأحصل على تعويض من خلاله، بعد أن تكلّمت بأريحيّة، ثم أدخل حيّاً في الصمت، لكي يكون بمقدوري التمتّع به، كلّا، لا أعرف لماذا، حتى أشعر بنفسي وقد صمتُّ، متوحّداً مع هذا الهواء الذي لا يحرّكه غيري، كلّا، إنّه ليس الهواء الحقيقيّ، لأنّي لا أستطيع قوله، لا يمكنني القول لمَ كنت أرغب أن أصل إلى الصمت قبل أن أكون ميتاً، كي أكون ضئيلاً في النهاية ما لم أستطعْ أن أكون كذلك أبداً، ودون الشعور بالخوف مما هو أسوأ بهدوء، فهناك حيثما كنت دائماً لا أحصل يوماً على الراحة، كلّا، لا أعرف، إنّه بالأحرى بسيط، كنتُ أريد نفسي، وليس بلدي، كنتُ أريد أن أكون في بلدي، للحظة قصيرة، لم أكنْ راغباً في الموت في الغربة، وسط غرباء، كغريب في بلادي، وسط المحتلّين، كلّا، لم أكنْ أعرف ما أنا راغب فيه، ولا أعرف ما الذي كنت أؤمن به، إذ لا بدّ أني رغبت كثيراً في الأشياء، وتخيّلتُ أشكالاً عديدة من الجنون، أثناء كلامي، وبلا معرفة بما سيَعقبُ هذا، لحدّ العمى، في الرغبات والرؤى، التي يرتكز بعضها على بعضها الآخر، كان حريّاً بي الانتباه حيال ما كنتُ أقول، ثم إنّ ذلك لم يمرّ هكذا، لقد مرَّ هكذا مثلما يمرّ الآن، أعني، لا أعرف، لا عليكم تصديق ما أقول، لا أعرف ما أقوله، لقد عملتُ كما عملت دائماً، وسوف أواصل ما أقدر عليه، أمّا فيما يتعلّق بأمر سكوتي النهائي عما قريب، فأنا لا أعتقده بصورة خاصة، لأنّي اعتقدته دائماً، كما اعتقدت دائماً بأنّي لن أصمت أبداً، كما لا يمكننا تسمية ذلك بمعتقد، إنها جدراني، لكن ألم يتغيّرْ حقاً شيء ما منذ الأزل؟ لو كان عليَّ القيام بشيء ما آخر بدلاً من الكلام،

بيدي، أو بقدمي، القيام بالانتقاء مثلاً، أو الترتيب العاديّ، على افتراض بأنه كان عليَّ تحويل بعض الأشياء عن مكانها، لكنتُ عرفت أين سأصبح، كلّا، ليس بالضرورة، أرى ذلك من هنا، إنها تتغير لكي لا أتمكن من الشك بالوعاءين، وعاء التفريغ ووعاء الملء، وجعلهما يكونان وعاءً واحداً، سيكون ماء، ماء، أذهب مع قمع الخياط لغرفه في خزان ثمّ أروح لكي أسكبه في واحد آخر، أو أن يكون هناك أربعة منها، أو مئة، ينبغي تفريغ نصفها، وملء الفردية منها، كلّا، سيكون الأمر أكثر تعقيداً، وأقلّ تناظراً، لا يهمّ، تفريغ، ملء بطريقة ما، ضمن نظام بعينه، وفقاً لنوع من المتوازيات، حتى أكون مرغماً على التفكير، خزّانات، متّصلة ببعضها، مُتواصلة، ومشدودة بأنابيب مخفية تحت الأرضية، أرى هذا من هنا، مُسببةً المستوى ذاته، كلّا، هذا لن يمرّ، لا يمكن للأمل بلوغه، إنها تترتب لكي أتمكن من رؤية دفعات الأمل، بلى بلى، بلا هدوء، لكني، كنت على وشك القول بأني هادئ، نعم، إنها تترتب، مع الأنابيب والحنفيات، أرى هذا من هنا، حتى أستطيع تخيل الأشياء، من حين إلى آخر، لو كان ذلك ما ينبغي عليَّ القيام به، بدلاً من هذا، شغل التعبئة والتفريغ الصغير هذا، سيكون الوعاء نفسه، سأعمله جيداً، وسأكون أنا أفضل مما أنا، كلّا، لا أريد التشكي، وسوف يكون لي جسداً، ولن يكون لديَّ ما أقوله، وسوف أصغي لخطواتي، من غير توقف تقريباً، وكذلك ضوضاء الماء، وصرخات الهواء المحصور بين الأنابيب، لا أفهم أيّ شيء، وستكون لي لحظات حماس، وسأقول مع نفسي، كلما أسرعت بعملي كلما تسارع هذا، ما الذي يجب فهمه من ذلك، هنا قد يكون الأمل، ولن يكون الظلام، فمن المستحيل القيام بعمل في الظلام، هذا يعتمد، نعم، لا أرى حقاً شيئاً من النافذة، ليس من هنا، مع أنه هنا ليس بذي أهمية، أيْ إني أرى من النافذة، وليس عليَّ الذهاب والإياب، لحسن الحظ، ولن أكون عاجزاً، وليس عليَّ أن أكون مُستقيماً، لأن الماء سيصبح بطبيعة الحال ذا قيمة عالية وكل قطرة منه تُفقد على الطريق، أو في لحظة سحبه، أو في لحظة وضعه في البراميل،

ستسبب لي خسارة كبيرة، لكن كيف تمكن المعرفة في الظلام، إذا ما كانت قطرة واحدة، ما هذه القصة، إنها قصة ما، وها أنا ثانية أسرد قصة صغيرة أخرى، عني، عن الحياة التي كان في إمكانها أن تكون حياتي ومن دون أن يكون شيء ما تغير، والذي يمكن أن يكون قد حدث، ربما كنتُ قد مررت من هنا قبل أن أكون جديراً بالمرور من هنا، منْ يعرف نحو أيّ مصير شاهق أتوجه، إلّا إذا ما كنت قد عدت من هناك، لكن ربما يتعلق الأمر ثانية بواحد آخر، أراه بصورة جيدة جداً، يأتي ويذهب ما بين براميله، مانعاً يده عن الارتجاف، رامياً بزهر نرده، ويصغي إليه وهو ينطّ ويدور، صانعاً دوائر في الساق، ويركع على ركبتيه، ومن ثم ينبطح على بطنه، مُتسلقاً، هذا يتوقف هنا، كان لا بدّ أن يكون هذا أنا، غير أني أنا لم أرَ نفسي أبداً، هذا إذاً ليس أنا، لا أعرف عنه أيّ شيء، كيف يمكنني التعرف على نفسي ثانية، ما دمت لم ألتقِ بها أبداً، هذا يتوقف هنا، نقطة رأس سطر، ما عدتُ أراه، لن أراه بعد، بلى، الآن هو هنا، مع الآخرين، لن أسمّيهم، ذلك ما يُقال، ليقولوا ما يقولوه، بعضهم يقوم بهذا، وبعضهم الآخر بذاك، هو يفعل مثلما قُلت، ما عدت أتذكر، سيعود ثانية، ليُرافقني، وحدهم الخبثاء وحدهم، سوف أراه ثانية، وسيكون هو من رغبَ في ذلك، كان يرغب في معرفة كيف كان، كيف عاشَ، أو لن يعود، أعني أنه كان لا بدّ من أن يكون ثَمَّة من أحد لم أرَه سوى مرة واحدة، حتى الوقت الحاضر، مضبوط تماماً، هذا بالكاد قد شرعَ، النهاية أشعر فيها قريبة والبدء ثانية أيضاً، لكل واحد منهما نطاقه، هذا ما هو جلي، لكن، لكي أعود إلى الاتهام، ألم يتغيرْ حقاً أيّ شيء، منذ الأزل، طيلة ديمومته، أتكلم الآن عني، نعم، من الآن فصاعداً لن أتكلم سوى عني، هذا ما قررته، شرط عدم العودة إليه، إذ ليس هناك من أسباب تمكنني من بلوغه، لذا بمقدوري التحرك، لا شيء قد تغيّر، ومع ذلك لا بدّ أن أشيخ، باه، كنتُ شائخاً دائماً، على طريق الشيخوخة دائماً، ثم إنّ شيخوخة المرء لا تغيّر أيّ شيء في الأمر، وبغض النظر عن أنه يتعلق بي، خراء، جُرحت، لا أهمية لذلك، انطلاقاً من اللحظة التي لا يعرف فيها المرء عمَّ يتكلم

ولا يستطيع التوقف لكي يفكّر، برأس مرتاح، لحسن الحظ، لحسن الحظ، حينها تتولد لديه الرغبة في التوقف، لكن من دون أيّ شرط، من اللحظة، قلت، من اللحظة التي، آه، لنترك كلّ ذلك، من اللّحظة التي يكون فيها هذا، سيكون ذلك إذاً، هل اتفقنا، لنكفّ عن الكلام عنه، كنتُ على وشك القول لنغطس في الماء، لي أنا، لنفسي، لو كان بإمكاني وصف هذا المكان، أنا الذي كنتُ أنجحُ في وصف الأمكنة، الجدران، السقوف، الأرضيات، هذا، يعرفني، الأبواب، النوافذ، ما الذي كنتُ قادراً على تخيله من نوافذ منذ الأزل، كان بعضها ينفتح على البحر، ولم يكنْ المرء يرى سوى البحر والسماء، لو كان بمقدوري الإقامة في غرفة، سنكون قد انتهينا من صيد الكلمات، حتى وإن لم يكنْ لها باب، ولا نافذة حتى، لا شيء سوى الوجوه الأربعة، الوجوه الستة، لو كنتُ قادراً على حبس نفسي، سيكون ذلك بمثابة منجم، كما يمكن بمقدور السماء أن تكون مظلمة، سأتمكن من إثبات نفسي، وأتدبر أمري، لكي أستغله، وسأصغي للصدى، سوف أعرفه، أتذكره، وأتخيله، سأكون في بيتي، وسأقول كيف هو الأمر، في بيتي، بدلاً من أيّ شيء كيفما يكن، هذا المكان، لو كنتُ قادراً على وصف هذا المكان، رسمه، ليس هناك من مكان حولي، لا أتوقف، لا أعرف ما ذلك، هذا ليس لحم إنسان، إنه لا يتوقف، كالهواء، انتهينا، هذه المرة أنا، هذا ما يُقال، لن يدوم طويلاً، كالغاز، هُراء، المكان، المكان، بعده سنحذر، المكان أولاً، بعد ذلك سأعثر على نفسي ثانية، سأقحم نفسي عليه، بصلابة قوية، في الوسط، أو في زاوية ما، مدعومة جيداً على وجوهها الثلاثة، المكان، لو كنت أشعر وحسب بنفسي في مكان ما، حاولت، سأحاول، لم يكنْ ذلك يوماً لي، البحر هذا تحت نافذتي، أعلى من نافذتي، والمدفع، هل تتذكر المدفع، الشّاطئ، الكوة، كنتُ أعرف بأن لديّ ذكريات، للأسف إنها ليست فوقي، والنجوم، وفوانيس المرفأ، ومشاعل العوامات، والجبل المتوقد، كان ذلك في الزمن الذي لم أحرمْ فيه نفسي من أيّ شيء، وكان الآخرون ينتفعون من ذلك، وماتوا كالذباب، أو الغابة، وبصورة جوهرية أنا لست

في حاجة إلى سقف، ولا إلى الدّاخل، لو كنتُ أستطيع تخيلي في غابة، دغلٌ في الأدغال، أو أهيم على شكل دائرة، سيكون نهاية لثغه، وسوف أقرر شأن الأوراق، واحدة بعد أخرى، في لحظة الدفع، في لحظة الظل، في لحظة السقوط، في لحظة الدّبال، إنها لحظات طيبة، بالنسبة إلى ذلك الذي ليس عليه أن يتكلّم، لكن هذه ليست حالتي، إنه ليس أنا، أين أكون أنا، ما الذي أفعله، أثناء هذا الوقت، كأن لهذا أهمية ما، وها أنا، هذا يلقي ببرودة، ويجعل المرء يشعرُ بأنه بعيد تماماً، ولا يطاوعه قلبه، القلب الذي كان، وسط العوسج، مثقوباً من الظل، يحاول المرء البحر، يحاول المدينة، يبحث عن نفسه في الجبل والوادي، ما الذي تبتغونه، يريد نفسه، يرغب أن يكون في زاوية ما، هذا ليس الحب، ولا الفضول، المرء قلق، إنه التعب ويرغب في التوقف، ويكفّ عن السفر، ولن يبحث بعد، ولا يكذب، لن يتكلم بعد، يغلق عينيه، لكن عائلته ستضعُ يدها من فوقه، ولن يتجرجر هذا، أشيرُ إلى شيء واحد، الآخرون اختفوا تماماً، هذا مُريب، من جانب آخر، أنا لا أشير إلى أيّ شيء، أواصل قدرَ ما أستطيع، وإذا ما اكتسب ذلك معنى ما فأنا لا دخل لي به، مررتُ من هنا، وذلك ما مرَّ أمامي، آلاف المرات، هذا دوره، سيذهب ويصبح شيئاً آخر، لحظة أخرى من لحظتي القديمة، هذا كلّ ما في الأمر، ذلك المعنى القديم الذي منحته لنفسي، الذي لم أستطعْ إعطاءه لنفسي، ثَمَّة ربّ للمحكوم عليهم، كما في اليوم الأول، هذا اليوم هو اليوم الأول، يبدأ، أعرفه جيداً، وسأتذكره تدريجياً، وعلى طوله سألد، ولادات من أجل اللاشيء، وسوف أصلُ إلى الليل من دون أن أكون من قبل، لتنظروا إلى وردة تونس[1] هذه، إنه الفجر، لو كنت قادراً على سجن نفسي، لسجنتها فوراً، ولن أكون أنا السجين، سأعد بسرعة مكاناً ما، لن يكون مكاني، هل يشكل هذا سبباً، لا أشعر بأن لديَّ مكاناً، يقدمُ ذلك، وسأجعله مكاني، سأسكن فيه، وأسكن أحدهم معي، سأعثر على واحد، سأضع نفسي فيه،

1 – تونس العاصمة هي المقصودة – المترجم

وسأقول له هذا أنا، وقد يدعني أسكن هناك، الواحد في الآخر، وهو في كل مكان من حولي، ستكون النهاية، ولن أتحرك بعد، سأغلق عيني، ولن يكون عليَّ سوى الكلام، سيكون هذا سهلاً، لديَّ أشياء أقولها، سأتكلم عني، وسوف أجعل كلامي جيداً، سأكون ذلك الذي يتكلم، حول ماذا، سوف أعرف أين أنا، وقد أتمكّن من إسكات نفسي، وهم ربما لن يسمعوا إلّا هذا، وها هم عادوا، ما إن وصلت إلى بيتي، لكي يباركوني، إنه الكذب الذي هم غير راغبين في أن يكفّ، سأغمض عيني، سأغلق فمي، وسوف أرتاح في النهاية، كما هو في هذا الصباح، أسمّي هذا صباحاً، لكي نتماحك قليلاً، أسمّي هذا صباحاً، لم يبقَ لديَّ الكثير من الكلمات، كما ليس لديَّ الكثير من الخيارات، أنا لا أختار، لكن المفردة جاءت هكذا، كان عليَّ تجنّب هذه اللّطخة الواضحة، إنها بداية الصباح، لكنها تجري سريعاً، أعرف ذلك، أسمّيها بداية الصباح، لو رأيتموها، وها أنا أنطلق، مع أن هذا ليس واضحاً، ربما ستكون عدوّتي الأخيرة على الفرس، غالباً ما استشعرت بالإصطبل، ليس هناك من إصطبل غيري، لي وحدي، كلّا، لن أقوم بذلك، ما الذي لن أقوم به، كأن هذا يتوقف عليَّ، لن أبحث بعد عن مسكني، لا أعرف ما الذي سأفعله، سيكون مسكوناً سلفاً، لا بدّ أن أحدهم قد احتله أحد الساقطين تماماً، الذي لم يرغبْ فيَّ، أفهمه، وسأضايقه، لكن ما الذي سأتمكّن من قوله في الوقت الحاضر، سأسأل نفسي، سأطرح على نفسي أسئلة، هذه مشغلة جيدة، ليس لأني أغامر في السكوت، لكن لِمَ إذاً كلّ هذه القصص، بالضبط، أسئلة، أعرف منها بالملايين، لا بدّ أني أعرف بعضها، ثم هناك المشاريع، فإذا لم يكنْ هناك أسئلة هناك المشاريع، أن يقول المرء ما سيقوله فوراً، وألّا يقول ما ينبغي عليه قوله، وهذا لا يُلزم أحداً بشيء، ومن ثم تمرّ اللحظة الحرجة، تسقط متخشبة ميتة، فجأة سمعتُ نفسي وهي على وشك الكلام لا أدري عن ماذا وكأنني لم أقمْ بأيّ شيء آخر، وفي الواقع، لم أتكلمْ عن أيّ شيء آخر أبداً، عدتُ ثانية من بعيد، حيث ينبغي أن أكون، هنا حيث يجد المرء نفسه، بعيد عن هنا، بعيد عن

الجميع، لو كان بمقدوري الذهاب، لو تمكنت من وصفه، أنا الذي كنتُ بارعاً في وصف الطوبوغرافيا، هذا هو، أمنيات، بحكم غياب المشاريع لدينا الأمنيات، هذه خديعة يجب التقاطها، كما ينبغي الكلام ببطء، لو كنت أستطيع على ذلك وحسب، ذلك ما يوفر لكم الوقت، وإذا لم يتركْ لكم الشيطان ما يبقى في عمق الحنجرة، فما عليكم سوى التظاهر برغبة مليئة، وهذا يمكن أن يقود بعيداً، على طرق مُعبّدة كما يشتهي المرء، وغالباً ما نتقاطع مع أحدهم، واحد يتقاطع مع نفسه، لو كان يعرف ذلك وحسب، هذا هو، أمنيات، يدور المرء، والآخر أيضاً، نبكي عليه، يبكي عليكم، إنها تراجيديا من النوع السامي، وهي أكثر نفعاً من الضحك، وماذا بعد، الأحكام، المُقارنات، هذا له قيمة أكبر من قيمة الضحك، كله يمدّ يد العون، ولا يمكنه سوى المساعدة على تجاوز المعبر السَيِّئ، ما الذي ينبغي فهمه من هذا، أيّ عبور سَيِّئ، ليس أنا من يتكلم، هل أنا منْ يصغي، لنعبر، لنتظاهر بأني كنتُ الوحيد في العالم، فيما أنا الغائب الوحيد، أو مع آخرين، ما الذي يغيّره ذلك، حضور الآخرين، غيابات الآخرين، إنهم غير مرغمين على إظهار أنفسهم، إذ ليس هناك سوى دفع المرء لنفسه لكي تتيه، وترك الآخرين يتيهون، من مفردة إلى أخرى، بدلاً من أن يكون هذه الزوبعة التي لا حدود لها والمكتظة كل واحدة منها بالغبار، وهذا مستحيل، أحدهم يتكلم، أحدهم يُصغي، ولا حاجة بالذهاب إلى أبعد من ذلك، ليس هو، بل أنا، أو آخرون، ما الذي يمكن لهذا عمله، فهمنا القضية، ليس هو، ذلك الذي كنت أعرف نفسي فيه، معرفتي الوحيدة، ذلك الذي لا أقدر على قوله مع نفسي، لا أستطيع قول أيّ شيء، حاولت، أحاول، هو لا يعرف أيّ شيء، ولا يتعرف على أيّ شيء، لا ما يعنيه الكلام، ولا ما يعنيه الإصغاء، كما عدم معرفة أيّ شيء، لا قدرة على عمل أيّ شيء، ومع ذلك ينبغي القيام بالمحاولة، ما عاد المرء يجرب، لم تبقَ ثَمَّة حاجة إلى المحاولة، فهذا يجري من تلقاء ذاته، ويجرح نفسه، من كلمة في كلمة، هذا يحوم بزفرة تعب، ونحن في داخله في مكان ما، في كل مكان، أمّا هو فلا، لو كنتُ قادراً على نسيانه، ولو

لدقيقة، دقيقة من هذه الضوضاء التي تحملني، من دون أن ينبغي عليَّ النطق بمفردة واحدة، لن أقولها، لأنه لا وقت لديَّ، هذا ليس أنا، أنا هو، في العمق، لِمَ لا؟ لِمَ لا أقوله؟ بل يجب عليَّ قوله، هو وشيء آخر غيره، هذا ليس أنا، هذا ليس أنا، لا أقدر، جاء هكذا، يأتي هكذا، هذا ليس أنا، لو كان هذا قادراً على الكلام عن نفسه، لو كان بمقدور هذا المجيء عليه، سأتنكر له بطبيعة الحال، لو كان ذلك يقدم عوناً، لو كان أحدهم يُصغي إليَّ، هذا أنا، هنا هذا أنا، كلموني عنه، دعوني أتكلم عنه، لم أطلبْ يوماً أيّ شيء، اطلبوا مني الكلام عنه، أيّة سلطة، لم يعدْ هناك أيّ أحد، شرط أن يدوم هذا، إلى هذا الحدّ، إلى مجرد بقائه على قيد الحياة، ثم تعود الكلمات ثانية، أحدهم قال أنا je، من دون التفكير في ذلك، لو كنتُ قادراً على بذل جهد ما، جهد يخص الانتباه، رغبة في محاولة معرفة ما الذي يمر، ما الذي حدث لي، وحينها ماذا، لا أعرف، نسيت جواب الشرط، لكني لا أستطيع، لم أعدْ أسمع حتى، أغفو، هم يسمون هذا نوماً، وها هم ثانية هنا، ومن ثم ينبغي إعادة قتلهم، أسمع هذه الضجة المُرعبة، العودة طويلة، لا أعرف من أين، كنتُ هناك تقريباً، ونمت تقريباً، أسمّي هذا نوماً، لا أحد هنا غيري، لم يكنْ أحد غيري أبداً، أعني هنا، في مكان آخر لا أقول، لم أكنْ أبداً في مكان آخر، هنا مكاني الآخر الوحيد، أنا منْ يصنع هذا الشيء وأنا من يتلقى عاقبته، لأنه من المستحيل القيام به بطريقة أخرى، إنه مستحيل هكذا، ولا ذنب لأحد به، كل ما أستطيع قوله هو إنه لم يكنْ ذنبي، وليس ذنب أيّ شخص، فلأنه ليس هناك من شخص لذا لن يكون بمقدور هذا أن يكون ذنب أحد، ولأنه ليس هناك غيري لذا لا يمكن أن يكون ذنبي، ربما يمكن القول بأني أتذكّر أحياناً، أقبل ذلك عن طيب خاطر، إذ لا بدّ أنهم علموني كيف أتذكّر، لا بدّ أنهم شرعوا في تعليمي، قبل أن يتخلوا عني، لم أعدْ أتذكر تلك المرحلة، لكن لا بدّ أنّ شيئاً منها بقي لديَّ، لا أتذكر بأنهم تخلوا عني، ربما تلقيت صدمة ما، غريب، هذه العبارات التي تموت لا ندري لماذا، غريب، ما الغريب في ذلك، هنا كلّ شيء غريب، كلّ شيء غريب

حين نفكر فيه، كلّا، الغريب هو أننا نفكر فيه، هل عليَّ الافتراض بأني مسكون، لا يمكنني افتراض أيّ شيء، ينبغي عليَّ المواصلة، وهذا ما أفعله، الفرضيّات شأن الآخرين، لا بدّ أن يكون هناك غيرها في مكان آخر، كل واحد في مكانه الآخر الصغير، هذه الكلمة فيما يعود ثانية، كل واحد يقول، عندما تحين اللحظة، لحظة قوله، الفرضيّات للآخرين، وهكذا دواليك، وهكذا إلخ، للآخرين هذا، للآخرين ذاك، لو كان هناك منهم، سيتواصل هذا، كلما قلنا بأن هذا يتواصل، كلما تقدم، أنا أؤمن بالتقدم، أعرف كيف أؤمن أيضاً، لا بدّ أنهم علموني كيف أؤمن أيضاً، كلّا، لم يعلمني أحد أيّ شيء، كنتُ دائماً هنا، لم يكنْ من أحد هناك غيري أبداً، أبداً، دائماً، أنا، أحدهم، طين قديم للخلط أبدياً، الآن هو معمول من الطين، قبل قليل كان من الغبار، لا بدّ أنّ السماء قد أمطرت، ذلك الذي يتكلم، لا بدّ أنه قد سافرَ، كما أنه قد رأى بعض البشر أشياء بعينها، لا بدّ أنه كان هناك فوق، تحت النور، أو أنهم سردوا عليه قصصاً، بعض الرُحَّل عثروا عليه، وهذا ما يبرئني، منْ الذي يقول هذا يبرئني، هو، هو الذي يقوله، أو أنهم هم من يقولونه، نعم، هم، هم الذين يفكّرون، هم من يؤمن، كلّا، واحد فقط، ذلك الذي عاش، أو الذي رأى من عاشوا، إنه هو الذي يتكلم عني، وكأني كنتُ هو، كأني لم أكنْ هو، الاثنين، كأني كنت الآخرين، واحداً تلو الآخر، إنه هو المفجوع، أنا بعيد عن ذلك، هل تفهمون، يقول إني بعيد، كأني كنتُ هو، كلّا، كأني لم أكنْ هو، لأنه هو ليس بعيداً، هو هنا، إنه هو منْ يتكلم، يقول أنا من يتكلم، ثم يقول كلّا، أنا بعيد، هل تفهمون، إنه يبحث عني، لا أعرف لماذا، لا يعرف لماذا، يُنادي عليَّ، يود أن أخرج، يعتقد أنه في إمكاني الخروج، يرغب في أن أكون هو، أو واحداً آخر، لنكن عادلين، يريد مني الصعود، أنا أصعد فيه، أو في واحد آخر، يظن بأن الأمر قد انتهي، يشعر بي فيه، حينئذ يقول أنا je، وكأني كنت هو، أو في واحد آخر، حينئذ يقول مورفي Murphy، أو مولوي Molloy، ما عدت أعرف، كأني كنتُ مالون Malone، لكننا انتهينا من الآخرين، لم يعدْ يريد أحداً غيره، بالنسبة إليَّ،

يقول هذا حظي الأخير، يؤمن بهذا، علموه كيف يؤمن، بهذا، بذلك، إنه هو منْ يتكلم دائماً، لم يتكلمْ مرسييه Mercier أبداً، ومارون Maron لم يتكلمْ يوماً أبداً، أنا لم أتكلمْ أبداً، يبدو عليَّ كأنّي أتكلم، لأنه يقول أنا je كأنه أنا نفسي، وكنت على وشك الإيمان بهذا أنا أيضاً، هل تفهمون، كأنه كان أنا، أنا البعيد، الذي لا يستطيع التحرّك، ولا يمكن لأحد العثور عليه، لكن هو أيضاً لا يمكن العثور عليه، لا يمكنه سوى الكلام، ومع ذلك، ربما ليس هو، ربما تكون عاصبة بكاملها، الواحد عقب الآخر، كل هذا غامضٌ، يتكلم أحدهم عن الغموض، هل هذا خطأ، كلّه خطأ هنا، لا نعرف لماذا، ولا نعرف خطأ منْ، وضد منْ، أحدهم قال هو، إنه خطأ الضمائر الشخصية، ليس هناك من اسم بالنسبة إليَّ، ولا ضميراً شخصيّاً، كلّه يأتي من هناك، هذا ما يُقال، نوع من الضمير الشخصيّ، وليس هذا أيضاً، ولا أنا هذا أيضاً، ولست أنا كذلك، لنترك كلّ هذا جانباً، لننسَ كل شيء، ذلك ليس بالعسير، الأمر يتعلق بأحدهم، أو المقصود شيء ما، وها نحن في النهاية، وهو قائم هناك، هنا، لِم لا، في خاتمة المطاف، لِمَ ينبغي الكلام عنه، هكذا، لا نستطيع، لا أحد يمكنه الكلام عنه، نتحدث عن أنفسنا، أحدهم يتكلم عن نفسه، أجل، بصيغة المفرد، واحد، المأمور، هو، أنا، لا أهمية لذلك، المأمور يتكلم عن نفسه، الأمر ليس هكذا، الآخر، ولا هذا، فهو لا يعرف عنه أيّ شيء، كيف سيمكنه معرفته، إذا ما تكلم عنه أو لا، بكلامه عن نفسه، بكلامه عن الآخر، بكلامه عن الأشياء، أيّ غير، أيّ أشياء، المأمور، بكلامه عن نفسه، هو أنا، عندما أتكلم عني، كيف يمكن معرفة ذلك، لا يمكنني أن أعرف، تكلمت عنه، يجب عليَّ الكلام عنه، ولا يمكنني الكلام عن نفسي، ولا هذا، لا يمكنني الكلام عن أيّ شيء، ومع ذلك أتكلّم، ربما عنه، لن أعرف هذا أبداً، كيف يمكنني معرفته، من الذي سيكون بمقدوره معرفته، ليخبرني منْ يعرفه، لا أعرف بمنْ يتعلق الأمر، هذا كل ما أعرفه، كلّا، ينبغي أن أعرف شيئاً آخر، كان عليهم تعليمي أشياء، المقصود هو الذي لا يعرف أيّ شيء، ولا يرغب بشيء، ولا يستطيع على شيء،

فالذي لا يرغب بأيّ شيء يمكنه عدم القدرة على أيّ شيء، الذي لا يتمكن ليس عليه أن يتكلّم أو أن يصغي، الذي هو أنا، والذي لا يمكنه أن يكون أنا، ولا أستطيع أنا الكلام عنه، والمفروض عليَّ الكلام عنه، كل ذلك بمنزلة فرضيات، لم أقلْ أيّ شيء، لم يقلْ أحدهم أيّ شيء، الأمر لا يتعلق بوضع فرضيات، المُراد هو المواصلة، هذا يتواصل، والفرضيات شأنها شأن باقي الأشياء، تساعد على المواصلة، وكأنه كانت هناك حاجة للمعونة، بالضبط، العون اللاشخصيّ، كأنها كانت هناك حاجة لمد يد العون بغية مواصلة شيء لا يمكنه التوقف، ومع ذلك نعم، سيتوقف، هل تفهمون؟ يقول الصوت بأن هذا سوف يتوقف، في يوم ما، يقول هذا لن يتوقف أبداً كما يقول هذا سيتوقف، أنا لا رأي لديَّ، عبر ماذا كان يمكن أن يكون لي رأي، عبر فمي ربما، إذا ما كان فمي، لا أشعر بنفسي كفم، لو كنت قادراً على الشعور بشيء ما، سأحاول، إذا ما استطعت، أعرف بأن هذا ليس أنا، ذلك كل ما أعرفه، أقول أنا مع معرفتي بأن هذا ليس أنا، أنا بعيد، هذا كلّ ما أعرفه، ما هو البعيد، ليس ثَمَّة حاجة أن يكون بعيداً، ربما يكون هنا، بين ذراعَيَّ، ذراعَيَّ، لا أشعر بأن لديّ ذراعين، لو كنت قادراً على الشعور بشيء ما، سيكون نقطة الانطلاق، نقطة الانطلاق، آه لو كنت أعرف الضحك، أعرف ما هو، لا بدّ أنهم قالوا لي ذلك، لكنّي لا أعرف كيف أفعله، لأنهم بالتأكيد لم يُبينوا لي كيفية عمله، لا بدّ أن يكون شيئاً لا يمكن تعلمه، الصمت، لنقل كلمة عن الصمت، تحت الصمت، إنه الأسوأ، أن يتكلم المرء عن الصمت، بعدها سأغلق نفسي فيه، وها أنا داخل شيء ما، ليس أنا، هذا كلّ ما أعرفه، لنترك ذلك، أيْ صنع مكاناً ما، عالماً صغيراً، صنع عالماً صغيراً، سيكون مُدوراً، هذه المرة سيكون دائرياً، هذا ليس بالمؤكد، بسقف واطئ، بجدران سميكة، لم لا، لا أعرف، هذا ليس بالمؤكد، علينا أن نراه، كلّ شيء مُعطى للنظر، علمٌ صغيرٌ، لنبحث عما هو، لنجرب تخمينه، وأن نضع فيه أحدهم، البحث فيه عن أحدهم، وكيف يكون، وما يعمله، هذا لن يكون أنا، ولا أهمية له، ربما سيكون أنا، وقد يكون عالمي، لقاء ممكن، لن تكون هناك نوافذ،

انتهينا من النوافذ، رفضني البحر، والسماء لم ترني، لم أكنْ هناك، وهواء الصيف في المساء يثقل على بؤبؤيَّ، يجب أن يكون هناك بؤبؤان، ولا بدّ من كريّات أيضاً، لا بدّ أنهم شرحوا لي هذا، وكيف هو، العين، على النافذة، أمام البحر، أمام الأرض، في السماء، في النافذة، إزاء الهواء، الصيف، المساء، ينفتح، ينغلق ثانية، رماديّ، أسود، رماديّ، أسود، لا بدّ أني فهمت، ورغبتُ فيها، رغبتي في العين، لي وحدي، لا بدّ أني جربت، كنت قد جربت، كل الأشياء التي رووها عليَّ، وكل الأشياء التي حاولتها، إنها ما زالت تخدمني، ويمرّ غيرها أيضاً، حينما أفكر فيها، هذا أيضاً، يحب التفكير ثانية، التفكير في الأفكار القديمة، يسمون هذا تفكيراً، إنها رؤى، بقايا رؤى، لا نرى غير ذلك، أيّ صور عتيقة، نافذة، منْ كان له حاجة في أن يُريني نافذة، وهو يقول لي، لا أعرف ماذا، لا أتذكر، هذا لا يأتي، نافذة، قائلاً مع نفسي، هناك أخريات غيرها، ومن الجميلات جداً، والبقية، جدران، سماء، بشر، كماهود Mahood، قليل من الطبيعة، طويل للغاية بحيث لا يمكن تكراره، مَنسي للغاية، قلّما يُنسى، هل هو ضروري، وهل مرَّ هكذا، منْ كان بمقدوره المجيء إلى هنا، الشيطان ربما، لا أرى منْ يكون غيره، إنه هو ما جعلوني أراه، هنا، في الظلمة، وكيف يمكن الكلام، ماذا يمكن قوله؟ قليل من الطبيعة، وبضعة أسماء، وخارج البشر، هؤلاء الذين على صورتي، الذين يمكنني التّشبّه بهم، وبطريقتهم في الحياة، داخل الغرف، في مخبأ الصيد، في الكهوف، في الغابات، أو يذهبون ويعودون، لا أعرف، ما عدت أنا، هذا كلّ ما أعرفه، هذا ليس أنا، هذا كل ما أعرف، منذ ذلك الوقت لم أعدْ أنا، منذ ذلك الحين لم يعدْ هناك أيّ أحد، لا بدّ أني سقطت، كلّ ذلك ما هو إلّا فرضيات، تجعلني أتقدم، أنا أؤمن بالتقدم، أؤمن بالصمت، آه نعم، بضع كلمات عن الصمت، ثم عن العالم الصغير، سيكون ذلك كافياً، بالنّسبة إلى الأبدية، يمكن أن يُقال بأنّ هذا أنا، أنا من يتكلّم، أنا من يسمع، أنا من يرسم مشاريع، في هذه الساعة، من أجل الأبدية، فيما أنا بعيد، أو بين ذراعَيَّ في مكان ما، أو إلى جانب مكان ما، خلف الجدران، بضع كلمات عن

الصمت، ثم شيء واحد، مجال واحد وفي داخله أحدهم، شيء ما في الداخل، ربما، حتى النهاية، كما أعتقد، إنه المساء سلفاً، أسمّي هذا مساء، أعتقد بأنه المساء، لقد تمّ الإعلان عنه، إنهم يعلنون، ثم يتراجعون، هكذا هو الأمر، وهذا ما يجعلنا نواصل، ويقرب الخاتمة، المساءات حيث تكون هناك نهاية، أتكلم عن المساء، أحدهم يتكلم عن المساء، لكن هذا يمكن أن يكون النهار أيضاً، وربما ما زال الليل، ربما ما زال الليل يهبط، أنا لا رأي لديَّ، يحبون بعضهم، يتزاوجون، لكي يتحابّوا بطريقة أفضل، وأكثر توافقاً، إنه يذهب إلى الحرب، يموت في الحرب، هي تبكي، بانفعال، لأنها أحبته، ولفقدانها له، قفْ، تتزوج ثانية، لكي تحب من جديد، بطريقة مريحة أكبر، يحب بعضهم الآخر، نحبُ بعدد المرات التي تقضيها الضرورة، لكي يكون المرء سعيداً، يعود ثانية، الآخر يعود مرة أخرى، لم يمتْ في الحرب، في نهاية المطاف، تذهب هي إلى الحرب، ويموت هو داخل القطار، انفعال، من فكرة العثور عليه ثانية، تبكي، تبكي مرة أخرى، من الانفعال أيضاً، لأنها فقدته، قفْ، لتعدْ إلى الدّار، لقد مات، الآخر مات، فصلته الحَمَاةُ، فضاع، من الانفعال، إلى فكرة الضياع، تبكي، تبكي بقوة أكبر، من الانفعال، لأنها أحبته، لأنها فقدته، وها نحن أمام قصة، وذلك لكي أعرف ما هو الانفعال، اسم هذا انفعال، ما يتمكن منه الانفعال، إذا ما كانت الظروف مُيسرة، ما يستطيع عليه الحب، حينئذ سيكون ذلك انفعالاً، ما هي القطارات، اتّجاه السير، مفاتيح القطار، المحطات، الأرصفة، الحرب، الحب، الصرخات المُمزقة، لا بدّ أن تكون صرخات الحَمَاة، إنها تطلق صرخات مُمزقة، كله يعتمد على ابنها، أو على صهره، لا أعرف، لا بدّ أن يكون ذلك ابنها، ما دامت تصرخ، وفي الباب، باب الدار مُغلق، بعد العودة من الحرب عثرت ثانية على الباب مغلقاً، من الذي أغلقه؟ هو لكي يشنق نفسه بطريقة أفضل، أو الحماة لكي ترسمه بصورة أفضل، أو لكي تمنع كنّتها من الدخول في بيتها، وها نحن لدينا قصة، لا بدّ أن تكون الكنّة، وليس الصهر أو البنت، الابن والكنّة، كيف أتفكر جيداً هذا المساء، ذلك لكي

أتعلم التفكر، ولكي أرغم نفسي على الذهاب، هناك حيث يمكنني الانتهاء، لا بدّ أني كنتُ طالباً جيداً، إلى حدّ نقطة بعينها، لم أعرفْ كيف أتجاوز نقطة بعينها، أفهم الآن لماذا كانوا يبغضونني، في هذا المساء شرعت بالفهم، هذا ليس بالشيء المضرّ، هذا ليس أنا، لم أكنْ أنا، الباب هو ما يُثير اهتمامي، إنه مصنوع من الخشب، منْ أغلق الباب، وبأيّ دافع، لن أعرف ذلك أبداً، وها نحن لدينا قصة، ظننتُ بأنها انتهت، تم نسيانها كلها، ربما هي رواية قصيرة، طرية تماماً، هل معنى هذا العودة إلى العالم الخرافيّ، كلّا، مجرد تذكير به، لكي أندم على ما فقدته، والحقد على نفسي ثانية في المكان الذي تمت فيه مُعاقبتي، لسوء الحظ هذا لا يذكّرني بأيّ شيء، الصمت، لنتكلم عن الصمت، قبل الدخول فيه، هل وجدت نفسي يوماً فيه، لا أعرف، في كل لحظة أنا فيه، وفي كل لحظة أخرج منه، وها أنا أتكلم عنه، كنتُ أعرف بأنه قد وصلَ، أخرج منه لكي أتكلم، أنا في داخله طيلة كلامي، لو كنت أنا منْ يتكلم، وهو ليس أنا، تظاهرت وكأنه أنا، غالباً ما أتظاهر بأنّه أنا، لكن لوقت طويل، لوقت طويل بقيت فيه، إقامة طويلة، لا أفهم أيّ شيء عن الديمومة، ولا يمكنني الكلام عنها، أتكلم عنها تماماً، أقول أبداً ودائماً، أتكلم عن المواسم وعن أجزاء من الليل والنهار، لا يتمتع الليل بأجزاء، ذلك لأننا ننام، لا بدّ أن الفصول تتشابه فيه، وربما كان الربيع في هذه اللحظة، تلك كلمات علّموني إياها، من دون أن أرى بوضوح معناها، هكذا تعلمت طريقة التفكر، وأستخدمها كلها، كل الكلمات التي جعلوني أراها، كانت قوائم، آه أيّ دفء مُضحك فجأة، كانت على شكل لوائح، مع صور للمشاهدة، لا بدّ أني نسيتُ بعضها، وخلطتها مع بعضها، تلك الصور التي لا أسماء لها لديَّ، وهذه الأسماء الخالية من الصور، هذه النوافذ التي ربما سيكون من الأجدر بي تسميتها أبواب، أيْ بطريقة مغايرة، وقد لا تكون كلمة إنسان الكلمة الجيدة وفقاً لما أراه وأسمعه، لكن لحظة، ساعة، وهكذا دواليك، كيف يمكن تمثيلها، حياة، كيف يمكننا جعل هذا منظوراً، هنا، في الظلام، أسمّي هذا ظلاماً، إنها كلمات بيضاء، لكنني أستخدمها، تقدمُ، كل تلك

التي جعلوني أراها، وهذه التي أتذكرها، ضرورية لي كلها، لكي أتمكن من المواصلة، هذا ليس صحيحاً، عشرون منها كافية، مخلصة تماماً، مُتجذرة جيداً، متنوعة تماماً، لوحة ألوان الرسام ستكون هناك، قد أمزجها كلها، وسأنوّعها، سيكون هناك سلم الأنغام، كلّ الأشياء التي سأقوم بها، لو استطعت، لو كنتُ راغباً، من جانب آخر، يقدم هذا، هكذا سأختم، بصرخات مُمزقةٍ، بدمدمات غير مترابطة، عليَّ إبداعها، تدريجياً، ارتجالها، مع التأوهات، وسأضحك: «غلوغلو»، أيْ «ههها، باه»، سأجرب «نمنم هوهو، بلوف بلوف، بسبس»، كلّ هذا ليس إلّا انفعالاً، «بان بوف»، الضربات، «نا توك»، وماذا بعد، و«هوهو، آه آه»، ذلك هو الحب، يكفي، هذا مُنهك، «هيهي!»، هذه الجوانب، ديمقراط Démocrite، كلّا، من الآخر، في نهاية المطاف، إنها النهاية، نهاية الحساب، إنها الصمت، بضع غرغرات عن الصمت، الحقيقيّ، وليس ذلك الذي أنقعه، حتى الفم، حد الأذن، الذي يُغطيني ثانية، الذي يكشفني، ويتنفس معي، كقطة مع جرذ، الحقيقيّ، صمت أولئك الذين غرقوا، غرقت أنا، عدة مرات، لم أكنْ أنا، أنا تأكسدت، أشعلتُ بي النار، جعلت رأسي يصطدم بلوح من الحديد والخشب، لم أكنْ أنا، لم يكنْ هناك أيّ رأس، ولا حديد، لم أعملْ لنفسي أيّ شيء، ولم أفعلْ أيّ شيء لأحد، ولم يرتكبْ أحد بحقّي أيّ شيء، ليس هناك أيّ شخص، ولم تكنْ هناك غابات صغيرة، بحثت، لم يكنْ هناك سواي، ولا هذا أيضاً، ولا أنا، بحثتُ في كل مكان، لا بدّ أن يكون هناك أحدهم، فهذا الصوت لا بدّ أنه يرجع إلى أحدهم، أقبل ذلك طواعية، أقبل بكل ما يقبل به، أنا ذلك الصوت، قلته، قاله، من حين إلى آخر كان يقوله، ثم يقول كلّا، أقبل بهذا عن طيب خاطر، أرغب في أن يصمت، يريد أن يسكت، لكنّه لا يقدر على ذلك، يصمت للحظة، ثم يشرع ثانية، إنه ليس الصمت الحقيقيّ، ما الذي يمكن قوله عن الصمت الحقيقيّ، لا أعرف، ولا أدري ما يكون، ولا شيء منه، ربما هناك شيء منه، نعم، ربما ثَمَّة شيء منه، في مكان ما، لن أعرفه أبداً، لكنه حين يضعف وعندما يتوقف، لكنه يضعف

في كل لحظة، ويتوقف في كل لحظة، نعم، لكنه حين يتوقف للحظة طويلة، لحظة طويلة، ما هي اللحظة الطويلة، هناك دمدمات، لا بدّ أن يكون ثَمَّة دمدمات، والإصغاء، الذي يُصغي ليس بحاجة إلى إذن، ولا حاجة له بالفم، الصوت الذي يُصغي لنفسه، كما يفعل ذلك وهو يتكلم، والذي يُصغي لنفسه وهي تتوقف، ذلك ما يُشكل الدمدمة، وهذا يصنع صوتاً، صوتاً صغيراً، الصوت الصغير ذاته، يبقى في الحنجرة، وها هي الحنجرة ثانية، والفم مرة أخرى، يملأ الأذن، ثم أتقيؤه، أحدهم يتقيؤه، واحد شرع بالقيء، لا بدّ أن الأمر جرى على هذه الشاكلة، ليس لديَّ تفسيرات أقدمها، ولا أطلبها من أحد، الفاصلة ستأتي فيما بعد وإلّا أغرقت نفسي مرة وإلى الأبد، سيكون حينئذ الصمت، أعتقد في هذا المساء، ثانية المساء، ما أطوله، أنا أقبل بهذا طواعية، ربما يكون الربيع قد حلَّ، البنفسجيات، كلّا، هذا في الخريف، كلّ شيء في وقته، الأشياء التي تمرّ، الأشياء المُنتهية، لم يعرفْ أحد كيف يُفسرها لي، والأشياء التي تتحرك، وترحل، وتعود ثانية، النور الذي يتغير، لم يعرفْ أحد إظهاره لي، ومعه الموت، صوت يموت، صوت جيد تماماً، الصمت في الأخير، وليس الدمدمة، لا هواء، لا أحد يُصغي، لفمي القبيح، هذا جيد، إلى الأمام، سجن كبير للغاية، وكأنه مئة ألف كاتدرائية، ولم يكنْ غيره أبداً، من الآن فصاعداً، وفي داخله، في مكان ما ربما، السجين المحفوف، كيف يمكن العثور عليه، يا لزيف هذا المجال، والزيف الذي يلحقه، أن يرغب المرء بعقد علاقات، ووضع نفسه في الوجود، زنزانة تكفي، إذا ما تخليتُ أنا، لو كانت قادراً على التخلي، قبل أن أبدأ، قبل أن أشرع ثانية، أيّ لهاث، بالضبط، علامات تعجب، هذا يجعلني أواصل، ويؤخر المهلة المطلوبة، كلّا، على العكس، لا أعرف، الرحيل ثانية، في هذا الاتساع، ضمن هذا الظلام، القيام بحركات الرحيل ثانية، فيما أنا عاجز عن التحرك، أيْ إنني لم أرحلْ أبداً، المُغفل، القيام بتحركات، أيّ حركات، لا أقدر على التحرّك، أطلق الصوت، الذي يضيع في القبب، يُسمّي هذا قبباً، ربما تكون تلك قبة السماء، ربما الهاوية، هذه كلمات،

الصوت يتكلم عن سجن، في نهاية الأمر قبل ذلك عن طيب خاطر، واسع بحيث يكفي شعباً برمّته، لي وحدي، أو للّذي ينتظرني، سأذهب نحوه، سأحاول الذهاب إلى هناك، لا أتمكن من الحركة، كنتُ هناك سلفاً، لا بدّ أني كنتُ هناك من قبل، لو لم أكنْ وحدي، لو كان هناك شعب بكامله، وهذا الصوت هو صوته، يصلني مُتقطعاً، ونكون قد عشنا أحراراً للحظة، والآن نتكلم عنه، كل واحد منا من جهته، كل واحد أمام نفسه، ونحن نصغي، شعب بكامله، يتكلم ويصغي، في الوقت ذاته، لم يعدْ ذلك قائماً، كلّا، أنا وحدي، ربما أكون الأوّل، أو ربما الأخير، وحدي عليَّ أن أتكلم، وحدي عليَّ الإصغاء، وحدي ينبغي عليَّ أن أكون وحدي، الآخرون رحلوا، وكأنهم قد رحلوا، يصمتون، عليك أن تتكلم، عليك أن تصمت، الواحد بعد الآخر، حسب منْ يصلون، واحد آخر سيقدمُ، لن أكون أنا الأخير، سيكون مع الآخرين، سأكون وكأني قد رحلت، في الصمت، لن يكون هذا أنا، ليس أنا، لم أتهيأ بعد، سأذهب، سوف أحاول الذهاب، لا حاجة إلى التّجريب، أنتظر دوري، دوري في الرحيل، دوري في الكلام عنه، دوري في الإصغاء له، دوري في انتظار دوري في الرحيل، أكون وكأني قد رحلت، هذا طويل، هذا سيكون طويلاً، رحلت إلى أين؟ أين يذهب الناس من هناك؟ يجب الذهاب إلى مكان آخر، الانتظار في مكان آخر، انتظار الرحيل ثانية، وهكذا دواليك، الواحد عقب الآخر، شعب برمته، أو أنا وحدي، وأعود ثانية إلى هنا، وأبدأ من جديد، كلّا، أواصل، إنها حلقة، حلقة طويلة، أعرفها جيداً، لا بدّ أني أعرفها، هذا ليس صحيحاً، لا أستطيع على التحرك، لم أتزحزحْ، أطلق الصوت، أسمع صوتاً ما، ليس هناك من مكان آخر سوى هنا، ليس ثَمَّة مكانان، ليس هناك سِجنان، هذه ردهتي، إنها ردهة، لا أنتظر فيها أيّ شيء، لا أعرف أين تكون، ولا أعرف كيف هي، لا ينبغي عليَّ الانشغال بها، لا أعرف ما إذا كانت واسعة، أو ضيقة، أو إذا كانت مُغلقة، أو مفتوحة، إنّه التّكرار، سيتواصل ذلك، مفتوحةً على ماذا، ليس هناك من أحدٍ غيره، مفتوحاً على الفراغ، على اللاشيء، أقبل هذا طواعية، هذه

ليست إلّا كلمات، مفتوحاً على الصمت، أطلُّ على الصمت، في وسطه، لِمَ لا؟ كلّ هذا الوقت، على حافّة الصمت، كنتُ أعرف ذلك، من فوق صخرة، مشدوداً إلى صخرة، في وسط الصمت، تموّجها العظيم يصعد نحوي، أرشح منه، هذه صورة، وما ذلك سوى كلمات، إنه جسد، لكنه ليس أنا، كنتُ أعرف أنا ما الذي لا يمكنني أن أصيره، أنا لست في الخارج، أنا في الداخل، في داخل شيء ما، أنا محبوس، الصمت هو الخارج، خارج، داخل، ليس هناك سوى هنا، والصمت في الخارج، ومع هذا الصوت وذلك الصمت اللذين يحيطان بي، لا حاجة إلى جدران، بلى، من الضروريّ أن تكون ثَمَّة جدران، ضرورية لي، سميكة تماماً، أحتاج إلى سجن، كان الحق معي، سجن لي وحدي، سأذهب إليه، سوف أتحرك، وها أنا فيه سلفاً، سأبحث عن نفسي فيه، أنا في ناحية منه، لن يكون هذا أنا، سيكون أنا ربما، وربما هذا ما ينتظره، وها هم هنا، لكي يعطوني وصل الخلاص، وأن أقول إني واحد، وأنا في مكان ما، حتى أضع نفسي في الخارج، في الصمت، لا أرى فيه أيّ شيء، ذلك لأنه ليس ثَمَّة فيه شيء، أو لا عينين لديَّ، أو الاثنين، هذا يشكل ثلاث إمكانيات، حسب الاختيار، لكن إني لا أرى حقاً أيّ شيء فيه، لم تحنْ بعد لحظة الكذب، كيف لا أكذب، وهذه فكرة، صوت كهذا، من يستطيع ضبطه، إنه يحاول كل شيء، صوت أعمى، يبحث عني، في الظلمة، يبحث عن فم، يضع نفسه فيه، ويمكنه تشويهه، إنه الوحيد، ومن الضروريّ أن يكون هناك رأس، كما ستكون هناك ضرورة للأشياء، لا أعرف، يبدو عليَّ بأنّي أعرف الكثير، الصوت هو من يفعل ذلك، يصنع من نفسه عارفاً، حتى يجعلني أثق بأنّي أعرف، ولكي أصدق بأنّه صوتي، هو لا يهتم بالعينين، يقول بألّا عينين لديَّ، أو أنّها لا تقدم لي أيّة خدمة، ثم يتكلم عن الدموع، بعدها يتكلم عن الإضاءات، إنه يتلمس حقاً، إضاءات، نعم، من بعيد، عن قرب، المسافات، إنكم تعرفون مقاساتها، صَه، إضاءات، كأنها في الفجر، ثم تخمد، كما في المساء، أو تتضخم، هذا يحدث لها، متوقدة ببياض أكبر من بياض الثلج، لحظة، هذا يعدو،

ثم ينطفئ، في الواقع، إذا ما شئنا، نحن ننسى، أنا أنسى، أقول أنا لا أرى شيئاً، أو أقول إنه في رأسي، كأني شعرت بأن لي رأساً، كلّ هذا فرضيات، أكاذيب، إنها إضاءات أيضاً، كان عليها إنقاذي، كان عليها افتراسي، لكن هذا لم يُقدمْ أيّ شيء، أنا لا أرى أيّ شيء، ما عدا هذا، أو ما عدا ذاك، وتلك الصورة التي سقوني منها، كبعير، قبل الصحراء، لا أعرف، أكاذيب مرة أخرى، لكي يرى المرء، لا بدّ أنّه رأى، رأى كل شيء، أكاذيب، لقد قيل ذلك بعجالة، ينبغي القول بعجالة، هذا هو الاتفاق، المكان، سأقوم به بالرغم من ذلك، سأضعه في رأسي، أسحبه من ذاكرتي، أسحبه نحوي، سأصنع لي رأساً، وسأعمل لنفسي ذاكرة، ما عليَّ سوى الإصغاء، سيقول لي الصوت كل شيء، كل ما أحتاج إليه، بقطع صغيرة، وأنا ألهث، كأني في مؤتمر، نظن بأنه انتهى، وإذا به يقفز ثانية، هناك العديد من الأخطاء، والذاكرة رديئة تماماً، ما عادت الكلمات تصلُ، أصبحت الكلمات نادرة، والنّفاثة قصيرة، كلّا، هذا شيء آخر، هذا طلب استدعاء، واحدة على طريق الموت تتهم، أنا من تتهمه، لا بدّ من اتهام أحدهم، يجب عليَّ العثور على واحد، لا بدّ من وجود مذنب، تتكلّم عن أعمالي السيِّئة، تتكلّم عن رأسي، تقول لي، تقول بأني نادم، وأرغب في أن أكون مُعاقباً، بطريقة أفضل مني، وبأني أريد الخروج، وأرغب في تسليم نفسي، لا بدّ من وجود ضحية، وما عليَّ سوى الإصغاء، وسوف تكشف عن مخبئي الصغير، ستدلّني عليه، وكيف هو مصنوع، وها نحن عند الباب، لو كان هناك من باب، أو لو كنت أنا، وكيفيّة بقاء ذلك بيننا، أيّة أرضية، لو كان ذلك البحر، أو الجبل، والطريق الذي ينبغي اقتفاؤه، حتى أتمكّن من الانصراف، أهرب، أسلّم نفسي، وأصل هناك حيث تقع الفأس، بلا مقدّمات أخرى، ولا سيّما تلك التي تأتي هنا، أنا لست الأول، لن أكون الأوّل، ستقبض عليَّ، ولديها آخرون، ستقول لي كيف عليَّ العمل، لكي أسلّم نفسي، حتى أتحرّك، بغية أن أكون جسداً، مغموراً باليأس، تلك هي الطريقة التي أفكّر بها، وأسمع نفسي وهي تتذكّر، كلّ هذا أكاذيب، ليس أنا منْ ينادونه، ولا عني يتكلمون، لم يحنْ دوري بعد،

إنه دور شخص آخر، لهذا لا أستطيع التحرك، ولا أشعر بنفسي كجسد، لأني لم أتألمْ بعد كفاية، لم يأتِ دوري بعد، ليس بما يكفي حتى أتمكن من الحركة، لكي يكون لي جسد، مع رأس، بغية أن أفهم، ودون استفادتي مما أسمعه، لكي أذهب، وحتى لا يبقى هناك ما أسمعه، أنا لا أسمع كلّ شيء، لا بدّ أن يكون الأمر هكذا، الأشياء المهمة أنا لا أسمعها، لأنه ليس دوري، والإشارات الطوبوغرافية والتشريحيّة بشكل خاص لا تصلني، بلى، أسمع كل شيء، كان عليَّ سماع كل شيء، كلّ شيء، لكن الفعل الذي يؤدي إليه ذلك، ما دام ذلك ليس دوري، دوري في الفهم، دوري في العيش، دوري في الحياة، تُسمّي هذا عيشاً، مجال الدرب من هنا حتى الباب، الجميع هناك، في ما أسمعه، في مكان ما، إذا كان قد قيلَ كل شيء، منذ الأزل، يجب قول كلّ شيء، لكن ليست مهمّتي معرفة ما هو، ومعرفة من أنا، أين أنا، وكيف العمل على ألّا أكون أنا، ولا كائن فيه، هذا معقول، لكي أكون واحداً آخر، كلّا، ذاته، لا أعرف، أن أذهب حيّاً، أقطع الدرب، العثور على الباب، والفأس، ربّما يكون هذا حبلاً، للرقبة، للحنجرة، بالنسبة إلى الحبال، أو الأصابع، ستكون لي عينان، وسأرى الأصابع، وسيولد الصمت، ربما هو سقطة، العثور على الباب، فتح الباب، والسقوط، في الصمت، لكنه ليس أنا، سأبقى أنا هنا، أو هناك، بالأحرى هناك، ولن يكون أبداً أنا، كلّ هذا تمّ القيام به من قبل وأعيد تكراره، الرحيل، الجسد الذي يَنهض، الدرب، المُلّون، العودة، الباب الذي ينفتح، ينغلق، كلّ هذا لم يكنْ أنا، لم أتحركْ، أصغيت، لا بدّ أني تكلمت، لِمَ الرغبة في قول كلّا؟ في نهاية المطاف، لا أرغب في أيّ شيء، أقول ما أسمعه، أسمع ما أقوله، لا أعرف، الواحد أو الآخر، أو الاثنان، وهذا يصنع ثلاث إمكانيات، كل قصص الرحالة هذه، قصص المُحاصرين، هي مني، لا بدّ أن أكون شائخاً تماماً، أو أن الذاكرة هي السيِّئة، لو كنتُ أعرف لو كنت عشت، ما إذا كنتُ أعيش، وما إذا كنتُ سأعيش، سيُبسط هذا كلّ شيء، تستحيل المعرفة، هنا تكمن الحيلة، لم أتحركْ، هذا كل ما أعرفه، كلّا، أعرف شيئاً آخر، إنّه ليس أنا، أنسى دائماً،

أكرر، لا بدّ من التكرار، لكن ليس التحرك من هنا، ولا أتوقّف عن سرد قصص على نفسي، والإصغاء إليها بالكاد، أصغي لشيء آخر، أراقب شيئاً، وأسأل نفسي من حين إلى آخر من أين حصلت عليها، هل كنتُ في دار الأحياء، أم أنّهم جاؤوا إلى داري؟ وأين؟ من أين عثرت عليها؟ في رأسي، لا أشعر بأني رأس، عبر ماذا رويتها، بفمي، الملحوظة نفسها، وبماذا كنتُ قد سمعتها، وتتا تتا تتا، لا يمكن أن يكون هذا أنا، أو أني لا أعير اهتماماً، أنا مُعتاد تماماً على ذلك، إذا فعلت هذا دون أن أعير اهتماماً له، أو أن أكون كأني في مكان آخر، وها أنا بعيد، غائب، جاء دوره هو، ذلك الذي لا يتكلم ولا يُصغي، والذي لا رأس ولا روح لديه، لديه شيء آخر، لا بدّ أن يكون لديه شيء ما، كما يجب أن يكون في جهة ما، إنه مصنوع من الصمت، يا للتحليل الجميل، سيكون، إنه هو ما يجب البحث عنه، وما ينبغي أن يكون، وعنه يجب الكلام، لكنّه لا يتكلم، حينها يكون بمقدوري التوقّف، سأكون هو، سأكون الصمت، في الصمت، سنكون متحدين، وقصته هي التي ينبغي سردها، لكن لا قصة لديه، لأنه لم يكنْ داخل القصة، هذا ليس مؤكداً تماماً، إنه في قصته الخاصة به، التي لا يمكن تخيلها، المُتعذرة على القول، لا أهمية لذلك، يجب القيام بالمحاولة، في قصصي الشائخة التي لا أعرف من أين أتتني، هناك ينبغي العثور على قصته، لا بدّ أن تكون هناك، كما كان في إمكانها أن تكون قصتي، قبل أن تكون قصته، وربما سأتعرف عليها، سأتعرف عليها في الأخير، قصة الصمت الذي لم يفارقني أبداً، والذي ما كان عليَّ تركه أبداً، وربما لن أعثر عليه أبداً، وقد أعثر عليه ربما، حينئذ سيكون هو، سيكون أنا، وسوف يكون المكان، الصمت، النهاية، البداية، الشروع ثانية، ما الذي أقول، ما هذه إلّا كلمات، ليس لديّ غيرها، ومع ذلك، أصبحت نادرة، وتبدل الصوت، في الساعة المطلوبة، أعرف ذلك، لا بدّ أني أعرفه، سيكون الصمت، لقلة الكلمات، المليئة بالهمسات، بالصرخات البعيدة، تلك المتوقّعة، وهذه التي أصغي إليها، صرخة الانتظار، انتظار الصوت، تهدأ الصّرخات، ككل الصّرخات، أيْ أنّها

تصمت، كما تنتهي الوشوشة، تتخلّى عن مجالها، فيعاود الصوت ثانية، يحاول العودة مرة أخرى، ولا ينبغي علينا انتظار انقطاعه، أيْ ألّا يبقى هناك من صوت، ولا تبقى سوى نواة الدمدمات، صرخات بعيدة، يجب علينا القيام بالمحاولة فوراً، مع الكلمات التي بقيت، محاولة ماذا، ما عدت أعرف، لا أهمية لذلك، لم أكنْ أعرفه أبداً، محاولة حمل الكلمات لي في قصتي، الكلمات التي بقيت، قصتي البالية، التي نسيتها، بعيداً عن هنا، عبر الضوضاء، من خلال الباب، في الصمت، لا بدّ أن يكون الأمر هكذا، الوقت متأخر تماماً، قد يكون الوقت متأخراً تماماً، وربما أنتهى سلفاً، كيف يمكن معرفة هذا، لن أعرفه أبداً، في الصمت لا يعرف المرء، ربما يكون الباب، ربما أكون أمام الباب، وذلك ما سيدهشني، وقد أكون أنا، كان هذا أنا، في جهة ما كان هذا أنا، يمكنني الرحيل، طيلة كلّ ذلك الوقت سافرت، من دون معرفتي بهذا، أنا منْ هو أمام الباب، أيّ باب، إنّه ليس واحداً آخر، ما موقع الباب هنا؟ إنها آخر الكلمات، الأخيرة الحقيقية، أو أنّها الدمدمات، سوف تكون الدمدمات، أعرف هذا، ولا حتّى هذا، نتكلم عن الدمدمات، عن الصرخات البعيدة، بالقدر الذي يمكننا به الكلام، نتكلّم عنها أولاً، وعنها بعد، إنها أكاذيب، سيكون الصمت، لكنه لن يدوم طويلاً، ونحن إما نصغي، أو ننتظر، انقطاعه، أن يقطعه الصوت، ربما يكون الصوت الوحيد، لا أعرف، لا قيمة له، هذا كلّ ما أعرف، هذا ليس أنا، ذلك كلّ ما أعرفه، إنه ليس صوتي، الوحيد الذي كان لي، هذا ليس صحيح، كان عليَّ امتلاك الآخر، ذلك الذي يدوم، لكن لم يدُمْ، لا أفهم، إي نعم، إنه يدوم دائماً، وأنا عنده دائماً، تركتُ نفسي فيه، انتظرت نفسي فيه، كلّا، لا ننتظر أيّ شيء، ولا نصغي من خلاله، لا أعرف، إنه حلم، ربما يكون حلماً، ذلك ما سيُدهشني، سأستيقظ، في الصمت، ولن أنام بعد، سيكون هذا أنا، أو حلماً أيضاً، الحلم بالصمت، صمت حلم، مُمتلئٍ بالدمدمات، لا أعرف، هذه كلمات، ألّا أستيقظ أبداً، إنها كلمات، ليس هناك غيرها، يجب المواصلة، هذا كلّ ما أعرف، ستتوقف، أعرف ذلك، أشعر بأنه يتخلى عني، سيكون

الصمت، للحظة قصيرة، لحظة طيبة، أو سيكون صمتي، ذلك الذي يدوم، الذي لم يدُمْ، ويدوم دائماً، سيكون أنا، لا بدّ من المواصلة، لا أقدر على المواصلة، ينبغي المواصلة، سأواصل إذاً، يجب قول الكلمات، على كثرتها، لا بدّ من قولها، حتى يعثروا عليَّ، إلى أن يقولوا لي، شقاء غريب، خطيئة غريبة، يجب أن أواصل، ربما كنتُ قد فعلت ذلك سلفاً، وربما كانت قد حملتني حتى عتبة قصّتي، أمام الباب الذي ينفتح على قصّتي، هذا ما سيُدهشني، إذا انفتح، سيكون ذلك أنا، سيكون الصّمت، حيثما أكون، لا أعرفه، ولن أعرفه أبداً، في الصّمت لا يعرف المرء، لا بدّ من المواصلة، لا أقدر على المواصلة، سأواصل.

.(1949)

مكتبة
t.me/t_pdf

صامويل بيكيت (1906 – 1989)

وُلدَ في فوكسروك Foxrock، إيرلندا، درسَ في ترنتي كلوج Trinity Collage في دبلن Dublin، في 1928 – 1930 كان محاضراً باللغة الإنجليزية في مدرسة المعلمين العليا l'Ecole normal supérieure في باريس، في عام 1930 إلى عام 1931 عاد ثانية إلى ترنتي كولج، كبرفسور للغة الفرنسية، في عام 1937 يأخذ من باريس مكان إقامة دائماً له، كما شرع بكتابة بعض أعماله في الفرنسية انطلاقاً من العام 1945.

من عام 1947 إلى عام 1949 كتب ثلاث روايات: مولوي Molloy، مالون يموت Malone meurt واللامُسمّى L'Innommable التي ظهرت ما بين عامي 1951 إلى عام 1953، تمّت ترجمة تلك الروايات إلى كلّ لغات العالم وهي تؤسِّس لما يُسمّى بالـ«ثلاثية» Trilogie. في عام 1969 حصل على جائزة نوبل للآداب.

ولد صامويل باركلي بيكيت في 13 أبريل 1906 بدبلن في أيرلندا. في عام 1923 التحق بيكيت بكلية ترينيتي بدبلن وتخصص في الآداب الفرنسية والإيطالية وحصل على الليسانس فيهما عام 1927. في عام 1928 توجه بيكيت إلى باريس وعمل أستاذاً للغة الإنجليزية بإحدى المدارس هناك، وفي هذه الأثناء تعرَّف إلى جيمس جويس (1882 - 1941). في عام 1935 كتب روايته الأولى (مورفي). في عام 1947 كتب بيكيت مسرحيته (في انتظار جودو). عام 1969 حصل بيكيت على جائزة نوبل للأدب، ولما سمعت زوجته بالخبر قالت: إنها كارثة، واختفى بيكيت تماماً ولم يذهب لحفل تسليم الجائزة. في 22 ديسمبر 1989 مات بيكيت بعد تعرضه لأزمة في جهازه التنفسي.

السّارد في هذه الرّواية هو الكلام في حدّ ذاته، صوت لا صاحب له، لا اسم له، ينتقل من جسد إلى آخر إشباعا لنهم الاستمرار في القول. «لأنّ القضيّة هنا قضيّة كلمات، قضيّة صوت، لا ينبغي نسيان ذلك...». هنا في سياق التجرّد من الأجسام والمحسوسات يجدر التّنويه إلى أنّ اللامُسمّى هي خاتمة ثلاثيّة روائيّة (مولوي، مالون يموت، اللاّ مُسمّى)، راحت من رواية إلى أخرى تضيق دائرتها؛ فمن مولوي الأعرج العجوز الذي أصبح يزحف في النّهاية إلى مالون منتظرِ الموت الذي لا يكاد يتحرّك، إلى انعدام الجسد تماما في آخر المطاف. نحنُ إذًا إزاء انسياب كلاميّ لامتناهٍ لا يُشبعُ جوعَه للكلام سوى تفسير وجوب عدم الكلام، الأمر الذي يرفع تناقضا ويزجّ بالمُتلقّي في حلقة مفرغة، دوّامة محورها الكلام ومادّتها الكلام ومُحرّكها الكلام. «سأتكلّم لأقول لا أدري ماذا...». ثمّ في خضمّ عاصفة القول هذه تلتقي شخصيّات بيكيت وتنصهر كما لو أنّها تضرب موعداً في أرض غير الأرض التي نعرفها.

مكتبة نوبل